الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت –

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية(تاريخ)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة الغرب الإسلامي موسومة بـ:

سوق النّخاسة في الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط

إعداد الطالبة:

✓ حفصاوي حورية

من إشراف:

أ. تريكي فتيحة

اللجنة المناقشة:

الأستاذ: بـــورملة عربية.....رئيسا

الأستاذة:تريـــكي فتيحـة.....مشرفا

الأستاذة :.شـــرقي نوارة.....مناقشا

السنة الجامعية

1441-1442هـ/2019-2020

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (6) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (7) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (8) وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾

سورة النحل الآية(05-09)

اهـــــداء

اهدي تخرجي إلى الذي أوصاني الله به برا وإحسانا وأهدى لي سنين عمره الذي احنى ظهره التعب في سبيل وصولي لهذه المرحله والدي الحبيب إلى بحر الحب والحنان والنبض الساكن في عروقي التي لم تنام يوما إلا ورفعت يدها للسماء تدعوا الله ليحقق حلمي أمي الحنونة شكرا لكل من وقف في جانبي وساندني

حفصاوي حورية .

شكر و تقدير

ما كان لهذا العمل أن يتم و يرى النور لولا فضل الله عز وجل فالحمد لله على نعمه التي منا بها علينا فهو العلي القدير ونحمده سبحانه وتعالى على القدرة التي وهبنا إياها في انجاز هذا العمل ،كما لا يسعنا إلا أن نخص بأسمى عبارات الشكر و التقدير لأستاذتي الفاضلةتريكي فتيحة المشرفة على رسالتي لما قدمته لي من جهد ونصح و معرفة طيلة انجاز هذا العمل الذي والتي لم تبخل عليا بتوجيهاتها و إرشاداتها المهمة.

قائمة المختصرات	
تق	تقديم
تص	تصحيح
مر	مراجعة
تع	تعليق
تح	تحقيق
اع	إعتناء
ص	صفحة
ص ص	تعدد الصفحات
ط	طبعة
د،د	دون دار نشر
د،ت	دون تاريخ
ج	جزء
ق	قرن
هـ	هجري
م	ميلادي

مقدمة

مقدمة:

يعد الغرب الإسلامي من بين أهم الأقاليم التي جذبت الباحثين والدارسين في مختلف المجالات وذلك في فترات زمنية مختلفة، ولا تزال قائمة إلى يومنا هذا وبالرغم من كل الجهود المبذولة في سبيل التعريف به و إزالة ستار الغموض عليه والإحاطة به من كل الجوانب المبهمة ،وحتى الدراسات المتعلقة بالتاريخ الاجتماعي والاقتصادي في عصور الازدهار الإسلامي قليلة ،إذ صبّت معظم الدراسات حول قيام دويلات واندثار أخرى،ما غطى فهم تاريخ المنطقة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية على العموم ،ولعل أهمها الرِّق والحيوان اللّذان كانا عصب الاقتصاد آنذاك حيث كانا يؤديان الدور معا في خدمة الإنسان وانتعاش الحركة التجارية ولا سيِّما في الأسواق المخصصة لها ،والتي كان يتم فيه عمليات بيع وشراء العبيد على مختلف أصنافه،والدَّواب من المواشي وذوات الحوافر كالخيل والبغال،والتعاملات المصاحبة لتلك العملية من أسعار وتدليس ونزاعات وغير ذلك....

ومن هذا المنطلق جاءت فكرة الخوض في غمار الموضوع الموسوم بـ : **سوق النخاسة في الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط**،وهذا الموضوع أصيل،لم يسبق التطرق إلى دراسته بهذا العنوان على حد علمنا ،إذ تكمن أهميته العلمية في تسليط الضوء على فئة مغيبة تمثلت في الرقيق وكذا الحيوانات التي اعتبرت الثروة الحيوانية الداعمة في كافة القطاعات نخص بالذكر مجال المواصلات والنقل البري و المجال الفلاحي والمجال الحربي.

الدراسات السابقة:

نلاحظ وجود العديد من الدراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في الغرب والأندلس إلا أن جلها لا ينفرد بدراسة مستقلة بل تركز على عناصر جانبية لا تتعدى الفصل الواحد،ما يجعل مساحة البحث تتقلص في هذا النوع من الدراسات.

وحسبما توصلنا إليه وجدنا دراسته جادة تناثرت في طياتها عن سوق النخاسة بشكل مقتضب كدراسة الباحثة لطيفة بشاري حول الرق في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى رحيل الفاطميين من القرن (01-04 هـ / 07-10 م)،وهي أطروحة لنيل شهادة دكتوراه والتي تناولت فيها واقع الرق في العصر الوسيط ودوره في مجتمعاته خاصة المجتمع المغربي ،وخصته بفترة طويلة منذ الفتح الإسلامي إلى رحيل الفاطميين، حيث عرضت فيها الأسواق وما يُباع فيها،من الدوَّاب والرقيق ومن هذه الدِّراسة استطعت التعرف على ما يباع في هذه السُّوق ولما سُميت هكذا،وما أدى بأن أبحث بشكل مباشر عن المصادر التي تخدم هذا الموضوع.

كما وقفت على أطروحة لنيل شهادة الماجستير،بعنوان تربية الحيوانات في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سُقوط دولة الموحدين (القرن 01-07 هـ/7-13 م) من إعداد الباحث موسى هواري الذي ناقش فيها تاريخ المنطقة طبيعيا ونشاط الحيوانات فيها خاصة مجال الفلاحة ومنها استقيت معلومات كافية خاصة الفصل الثاني عن أنواع الحيوانات واستخداماتها.

ودراسة أخرى قام بها **عبد الإله بن مليح** تحت عنوان **الرق في بلاد المغرب والأندلس خلال القرنين الخامس والسادس للهجرة (11-12م)**، بحث فيها الاسترقاق في المغرب الأقصى والأندلس وروافد الاسترقاق فألم بجوانب كثيرة استفدنا منها في الدراسة خاصة الفصل الأول .

من خلال هذه الدراسات استطعنا الغور في سبر كتب النوازل،والارتحال بها من عالم نصوص الحروب إلى عالم المسكوت عنه.

إشكالية البحث:

رغم أهمية الدراسات المذكورة إلا أنها لم تلم ببعض الإشكاليات التي تكتنف موضوع أسواق النخاسة والنشاط التجاري المعمول بها في المغرب والأندلس وعليه فإن الإشكالية المحورية لموضوع

البحث حول الممارسة التجارية في هذه الأسواق ،وكشف أنواع التزييف والتدليس بها وما أهم عقود التَّبَايع فيها وما مدى تأثيرها المادي والاجتماعي على فئات المجتمع في العُدوتين وما هي العناصر المستهدفة في المجتمع التي ترتبط بها هذه الأسواق.

وكل ما يهم الآن هو الإجابة عن التساؤلات التي تفرعت من هذه الإشكالية المدونة أعلاه و التي من خلالها نحاول فهم الموضوع بشكل عميق وعن هذا نذكر:

- ما تعريف السوق وما هي أهم وظائفه وتشكيلاته؟
- ما هي أسواق النخاسة؟
- فيما اختصت أسواق النخاسة؟
- كيف تعامل تجار أسواق النخاسة بها؟

دواعي اختيار الموضوع:

يكتسي هذا الموضوع أهمية تاريخية مهمة وحساسة على مجتمع العدوتين من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ،ذلك أنه يبين نوع جديد من التعامل التجاري وهذا الأخير يختص بالاتجار بالبشر إن صح التعبير وهي ظاهرة لا نقول عنها جديدة،لكن في زمن الصراعات السياسية بالعُدوة المغربية وكذلك في زمن الازدهار الحضاري الذي عرفته العدوة الأندلسية وتتضاعف أهمية الموضوع في محاولة البحث والكشف عن جوانب خفية وعن واقع التعامل التجاري المعمول بهذه الأنواع من الأسواق.

ومما لا شك فيه أن أسواق النخاسة تتأثر بعوامل مرتبطة بتغيرات سياسية وكذا اجتماعية لا سيِّما مع بداية الفتوحات الإسلامية إلى زمن الموحدين في المغرب،وعصر الإمارة والطوائف في الأندلس،كغيرها من الأنشطة الاقتصادية من حرف وصنائع الأمر الذي أدى بنا في محاولة إماطة

اللثام عن التعامل التجاري بها،ومن هذا المنطلق يكون لنا مساحة بحث في بطون الكتب من مراجع متخصصة في هكذا موضوع و كذا مصادر على اختلاف حقولها المعرفية للتعرف على سوق النخاسة في الغرب الإسلامي.

ولعل سبب اختياري لهذا الموضوع يرجع لسببين:

ذاتي: على الرغم من صعوبة الموضوع والسير في أغواره إلا أنه اعتبر مغامرة وتحديا للنفس ، بالإضافة إلى أنني شديدة اللهفة للتعرف والإطلاع على تاريخ المغرب والأندلس،لا سيِّما الجانب الاجتماعي منه.

بالإضافة إلى الرغبة في إتمام التخصص ألا وهو تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط ومن دواعي هذه الدراسة أيضا الجانب الموضوعي: إذ لم تخصص أي دراسة مستقلة لهذا الموضوع باعتباره موضوع يخص فئة مهمشة من المجتمع ألا وهو الرق والحيوان في العُدوتين.

منهج الدراسة:

استخدمت المنهج التاريخي، في عرض التطور التاريخي لظاهرة الرق،وأسواقه المعروفة بالنّخاسة ولاستنباط المعلومات قمت باستقراء النصوص التاريخية وكذا استخدمت المنهج المقارن لاستخلاص مدى حضور الجانب الإنساني في هذه العينات من السلع .

هيكل الموضوع:

اشتملت خطة البحث على مدخل وفصلين وملاحق وخاتمة،جاء المدخل بمفهوم السوق وتنظيماته إذ تحدثت فيه عن موضوع السوق بصفة عامة والمدلولين اللغوي والاصطلاحي ،وتطرقت فيه عن وظيفة السوق والعوامل المساعدة على تطوره،بالإضافة إلى تشكيلات السوق وأنواعه،كما تطرقت إلى سوق النَّخاسة وهذا ما يقتضيه الموضوع للبداية به .

والفصل الأول كان للشق البشري عنوانه الرقيق بالغرب الإسلامي جاء فيه ، مفهوم الرقيق وضبط مسمياته وهذا للتعريف بالرق بصفة عامة والمبحث الثاني الرقيق ومصادره وأصنافه ويعود مردها إلى الفتوحات الإسلامية و الحروب التي خاضتها الدويلات بالمغرب والأندلس ما أسفرت عن أسر وسبي العديد من الناس الذين استرقوا فيما بعد ،ولسيولة تدفق السلع اشتهرت تجارة الرقيق وتعددت أصنافه من الرقيق الأوروبي والصقالبة وغيرهم، وتحدثت عن وضعيتهم الاجتماعية من الذكور والإناث خاصة ما يتعلق بأسمائهم وتحدثت عن السوق وما يجري فيها من العيوب والتدليس وعقود بيعهم من كيفية شراء العبيد من الجواري وتقليبهم لترويج هذه التجارة وما تدره من أرباح.

أما الفصل الثاني المتعلق بالشق الحيواني الموسوم بسوق الدواب بالغرب الإسلامي والذي يمثل ثروة هامة خاصة مجال النقل والزراعة جاء هو الآخر بثلاث مباحث فالمبحث الأول خصص للتعريف بهذه الثروة الحيوانية المتنوعة ببلاد الغرب الإسلامي ومجالات استخداماتها في الزراعة والنقل والتسميد ولا سيما المجال الحربي،وتلاه مبحث تكلمت فيه عن أمراض الدواب والعناية بهم، وهذه العناية تكفل بها مربوا الحيوانات و المراقبون والمحتسبون في الأسواق ولعل التزايد الملح لاستخدام الحيوانات أدى لرواج تجارتها و كثرت النزاعات و كثرت الفتاوى حول البيوع الفاسدة التي تتعلق بها فخصصت لها المبحث الثالث بعنوان تجارة الحيوان .

أما الخاتمة استعرضت فيها أهم النتائج المتوصل إليها في البحث،وتبعتها بقائمة الملاحق التي تضمنت معطيات إحصائية ونصوص اقتصادية وفقهية رأيت من المهم إرفاقها بالموضوع قصد التوضيح حتى يتسنى للباحثين الحصول على توجهات واستنتاجات تعتبر مفاتيح جديدة للولوج في دراسات مستقبلية حول النَّشاط التِّجاري بصفة عامة،وسوق النِّخاسة بصفة خاصة.

وقد توصلت إلى نتائج واستنتاجات من بحثي وهو أنه واجهتني صعوبات قد تواجه أي باحث مقبل على مثل هذه الدراسات النادرة المعلومات خاصة ما يعرف بنَّخس الرقيق إذ أنهم يمثلون الشريحة الدنيا في المجتمع ،وهو ما جعل المصادر تُهمل الحديث عنهم ،وتولي عنايتها بأصحاب القرار في السلطة والنشاطات العسكرية ،كذلك شح المعلومات إذا ما وجدت في المصادر لا يتعدى ما في شأنهم من معلومات إشارات عابرة لا تفي حاجة البحث ،وتجبر الباحث على قراءات مطولة في مؤلفات عديدة ومختلفة الاتجاهات كي يستطيع أن يجمع نتفا من الأخبار ليتم استخدامها في بناء موضوع متكامل، والقول نفسه ينطبق على الشق الثاني، من سوق النخاسة (سوق الدواب)، فصعوبة الموضوع تكمن في ضياع المؤلفات الخاصة بفلاحة الحيوان بالغرب الإسلامي، و إن وجدت فهي لم تحقق إلى يومنا هذا .

نقد المصادرو المراجع:

استقيت المادة المتعلقة بالموضوع من مصادر متنوعة تاريخية،من كتب الحسبة والنوازل وكتب الجغرافيا،تبعا لمقومات تجارية تخص البيع ولكل منها خصوصية من حيث طبيعة المادة واتصالها بعناصر البحث لذا سنستعرض كل واحدة منها على حسب أهميتها للموضوع.

المصادر:

أ- كتب النوازل :

ترجع أهمية المصنفات النوازلية بغض النظر عن أهميتها الفقهية البحثية كونها أهم المصادر الأصلية في كتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، وهي عبارة عن قضايا رفعت من مختلف فئات المجتمع إلى القضاة والمفتين للنظر فيها،وهي عادة ما تذكر القضية أو النازلة كما حدثت بأشخاصها

ووقائعها ذاكرة اسم المفتي والمستفتي فهي تعتبر مرآة صادقة تعكس هموم ومشاكل أفراد المجتمع وما يشغلهم في الفترة الوسيطة.

يتصدر كتب النوازل المعمول بها في هاته الدراسة:**رسالة جامعة لفنون نافعة في شري الرقيق وتقليب العبيد)، لأبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون المعروف بابن بطلان (توفي بعد 444هـ)**، والواضح من عنوان كتابه أنه اختص أيما اختصاص في ذكر العبيد وصفاتهم وكيفية التقليب باستخدام الفراسة ،وإفادته لي كانت في كشف تلبيسات يدلس بها النخاسون الرقيق على المشتري.

_كتاب القول السديد في اختيار الإيماء والعبيد ابن الأمشاطي(812هـ/1409م-902هـ/1496م)هو أبو محمود بن أحمد بن حسن بن إسماعيل ،مظفر الدين العينتابي،القاهري الحنفي،المعروف بالأمشاطي، قيمة هذا الكتاب بليغة بالنسبة لي إذا عرض فيه وصايا نافعة لمن يريد شراء الرقيق ،وهي وصايا احترازية في مضمونها تتصل بسيرة العبد أو الأمة ومعاودة التقليب والتفرس في الأعضاء عضوا عضواَ .

ـ المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب لأبو العباس أحمد بن يحي التلمساني الونشريسي(914هـ ـ 1508م)، تكمن قيمة الكتاب في أنّ المؤلف نقل فتاوى سابقيه من مختلف ربوع المغرب الأوسط،إذ أنه أفادني جزءه السادس في تقصي عيوب الرقيق و الدواب،وما يتوجب به في ذلك.

واعتمدت على كتب فقهية أخرى مثل **كتاب جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام لأبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي (الإمام البرزلي)ت 841هـ/1438م** حوت فتاوى البرزلي الكثير عن واقع الحياة الاقتصادية والاجتماعية خاصة قضايا الزراعة والريف وما أفادني منه كان في الفصل الثاني حيث ذكر فيه فتاوى تخص الدواب حول الزراعة وغير ذلك .

واعتمدت كذلك على **كتاب العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام ابن سلمون الكناني (ت741ه)** من المصادر القيمة والنفيسة في موضوع الأقضية والأحكام ،تكلم فيه صاحبه عن الأحكام الشائعة الجريان بين الناس وعن أحكامها بنصوص العقود التي ينبغي أن تكتب فيها ،لصيانة الحقوق ،ولاستقرار الأحكام ،ولإنفاذ القضاء على الوجه اللائق به، ومن المسائل التي ضمها هذا الكتاب البيوع ومنه أخذت بعض الفتاوى المتعلقة بالدواب لا سيما في مجال البيع الفاسد.

ب - كتب الفلاحة والبيطرة:

_ **كتاب الفلاحة لأبي زكريا يحي بن محمد أحمد ابن العوام الإشبيلي الأندلسي(توفي نحو سنة580):**أصله من اشبيلية ،عالم أندلسي في الزراعة والنبات ،عاش في القرن السادس الهجري،وأخذ على علماء وشيوخ عصره جميع العلوم المختلفة التي كانت منتشرة كما اشتهر بعلم الحيوان والبيطرة والطب، وكتابه الذي بين أيدينا يعد موسوعة زراعية جمع فيه خلاصات موثقة لما عرفته شعوب الأندلس ومصر والعراق والمغرب العربي في مجال الزراعة والبيطرة ، وكتابه في حقيقته تجميع شامل مفيد لمقتطفات من كتاب القدماء ممن سبقوه مثل:ابن بصال.و ترجم كتابه هذا إلى اللغتين الإسبانية والفرنسية، ولعل مواطن الإفادة منه ،جزئه السادس المخصص في باب له عن أمراض الحيوان وعللها وكيفية تقديم العناية لها من تغذية ومداواة ...الخ.

_ **كتاب اختصارات من كتاب الفلاحة لابن ليون التجيبي (681ه-1282م/751ه-1349م)** يعد ابن ليون مهندسا زراعيا وعالما بالنبات ألف هذا الكتاب في النصف الأول من القرن الرابع عشر وهو يدل على المكانة المرموقة التي كانت تحتلها الهندسة الزراعية في العلوم الأندلسية وفي مؤلفه هذا حدد فن الزراعة و شرح كيفية تطبيقه في الأندلس، وهذا الفن يدرس العناصر الأربعة

الضرورية وهي الأرض والماء والزبل والعمل، ومن خلال هذه العناصر استطعت أخذ ما يلزمني من معلومات في ما يخص الزبول ووظفتها في المبحث الخاص باستخدامات الحيوان في مجال الزراعة.

_ **كتاب البيطرة وما يتعلق بالدواب** ،مؤلفه مجهول، عبارة عن مخطوط في مكتبة جامعة الرياض، تحت رقم 45، تناول هذا المخطوط البيطرة وما يتعلق بالدواب من الجيد منها والرديء والصحيح والسقيم وما يلائم ذلك من الأمراض والعلل وكيفيتها والأسباب العارضة لذلك وعلاماتها ،ورغم أن هذا الكتاب مشرقي على حد علمنا،لكن أمراض الحيوانات ومداواتها تتشابه فمنه استفدت في توظيف بعض منها في متن الفصل الثاني الخاص بمداواتها و العناية بها.

ج - كتب الجغرافيا:

كتب الجغرافيا من أهم المصادر في التاريخ الاجتماعي وحتى الاقتصادي ،نظرا لما يحتويه على معلومات قيمة بحكم تسجيل الرحالة مشاهداته خلال تنقلاته في جميع أقاليم المغرب الإسلامي ومقارنته بحال وطنه الأصلي ،ولعل ما أفادني في موضوع سوق النخاسة :كتاب **أبو القاسم محمد ابن حوقل (ت367هـ/977م)**،**كتابه صورة الأرض** قدم فيه معلومات مهمة عن المدن وأسواقها خاصة في المغرب وكانت إفادته لي في المخل في ذكر أنواع الأسواق و تنظيماته.

الإدريسي(أبو عبد الله الشريف (548هـ 1154/م) أكبر جغرافي عرفته الحضارة الإسلامية وفي كتابه،ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،قدم معلومات هامة عن الثروة الحيوانية ولطبيعة الإنتاج والموارد الطبيعية.

الحسن الوزان الفاسي (ليون الإفريقي كان حيا سنة 957هـ1550/م)وصف إفريقيا،الوزان من أشهر الرحالة المغاربة أواخر العصر الوسيط ،تكمن أهمية هذا الكتاب في أن حسن الوزان خصص جزاءا منه للحديث عن أهم الحيوانات التي تعيش في بلاد المغرب الأليفة منها وغير الأليفة

إذ أشار إلى الخيول القصيرة التي تعيش في الجبال ،والذي أفادني أيا ما إفادة في الفصل الثاني المبحث الخاص بأنواع الحيوانات حيث تحدث عن البقر واستخدامه في الحرث بالإضافة لحديثه عن الإسطبلات، كما قدم معلومات عن المعاملات في الأسواق وغير ذلك.

د -كتب الحسبة: من كتب الحسبة التي أفادتني في الدراسة.

_**كتاب رسالة في آداب الحسبة للسَّقطي أبو عبدالله**من أهالي القرن الخامس الهجري وأحد المهتمين بالكتابة في الحسبة حيث أفادني في التعرف على سُلوكات المجتمع في الأسواق ،واستقصاء البيوع الفاسدة والتدليس بها،كما وصف طرائق الردع والكف عن الممارسات السِّلبية.

_ كتاب"**أحكام السوق "لأبي زكريا يحي بن عمر بن يوسف بن عامر الكناني(ت289هـ)**،يعد أقدم عمل في الحسبة استفدت منه في بعض الأحكام المتعلقة بالسوق المتمثلة في النهي عن شرب الخمر وكذا النهي عن عمل الصَّرارة من الخفاف للنّساء.

_كتاب "**ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة والمحتسب**"تضمن هذا الكتاب رسائل مهمة عن موضوع الحسبة،حيث اعتمدت على :

رسالة ابن عبدون، ورسالة ابن عبد الرؤوف من حيث الأحكام الزجرية وطرق التعامل مع القضايا لاسيما في أسواق النخاسة .

هـ_كتب التاريخ العام:

كتاب المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي الذي كان حيا سنة (712هـ/1312م) من أهم مصادر تاريخ المغرب الإسلامي يؤرخ لفترة تمتد من الفتح الإسلامي إلى نهاية عصر المؤلف وهو بداية للقرن الثامن للهجرة، مجزأة في عدة أجزاء يتعلق الجزء الأول منها

حول السَّبي في عهد الفتوحات الإسلامية حيث يعطينا هذا المصدر معلومات دقيقة ومفصلة عن هذه الفترة من الناحية الاجتماعية.

_ كتاب العبر **وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لإبن خلدون عبد الرحمان(732هـ-1332م/808-1406م)** :لا يستطيع باحث في تاريخ المغرب والأندلس إغفال كتاب يحويه المصدر من نظريات حول قيام وسقوط الدول ،ومنها تفسير لجوء الدول لاصطناع الرقيق وأثر ذلك على الأسواق وما أفادني فيه،حول السّوق و حول الزراعة وغير ذلك .

المراجع:

أفادني في بحثي هذا عدة مراجع خاصة في التوسع فيما أشارت إليه المصادر تذكر الدراسة التي _**جودت عبد الكريم يوسف،الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين(9_10م)**،استقيت من هذا المرجع العديد من المعلومات القيمة عن الرقيق وعن الدواب حيث ذكر فيه الأسواق وطرق التّبايع آنذاك.

_**آدم ميتز:الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري أو عصر النهضة في الإسلام**، أفادني هذا المرجع في ذكر مقتطفات من أسواق المغرب وطرق نظمه

مدخل

المدخل :مفهوم السوق و تنظيماته.

تعتبر الأسواق إحدى عوامل ازدهار النشاط التجاري فهي من المرافق الحيوية والضرورية لأي دولة ،إذ يرى ابن خلدون أن الإنسان مدني بالطبع[1]،فهو دائما بحاجة إلى آخرين من أجل اقتناء ضرورياته على الأقل ،ففرضت الحاجة على كل فرد أن يقايض الفائض مما يملك من سلعة أخرى هو بحاجة إليها فكان البيع والشراء [2]، وهنا وجب القيام بتنظيم الأسواق والتي لا تقتصر أهميتها في كونها مجالا لتبادل السلع والمنافع ؛بل إنها تعكس ذلك التفاعل الاجتماعي من عناصر اجتماعية مختلفة إذ ترتاد من قبل العامة والخاصة[3] .

تعريف السوق لغة:

حسب ابن منظور في لسان العرب تطلق كلمة السوق: موضع البياعات ولها معاني أخرى وأصل اشتقاق السُّوق من سَوَقَ الناس إليها بضائعهم[4].

وفي التنزيل قال تعالى : ﴿**وَما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ**﴾[5].

[1]- ابن خلدون (عبد الرحمن) ،العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط3 ،2006 ، مج1 ،ص :44.

[2]- جودت عبد الكريم يوسف ،الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنيين الثالث و الرابع هجريين (9-10م) ،ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية ، بن عكنون ،الجزائر ، د.ت ،ص :125.

[3] - خالد بالعربي، الأسواقفي المغرب الأوسط خلال العهد الزياني،مجلة كان التاريخية ،ربع سنوية،عدد 6 ،ديسمبر، 2009 ،ص :32.

[4]- محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري ،لسان العرب ، دار صادر، بيروت ،ط1 ، د ت ، مج 10 ، ص :167.

[5]- سورة الفرقان، الآية،08 .

وقوله تعالى أيضا:﴿ **وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا**﴾[1]

السُّوق بضم السين هي موضع البياعات التي يتعامل بها الناس، وهى تذكر وتؤنث والجمع أسواق[2].

وتَسَوقَ القوم إذ باعوا و اشتروا، وجاءت كلمة سُويقَة بمعنى تجارة وهي تصغير السُّوق ، سميت بها لأن التجارة تُجلب إليها وتُساق المبيعات[3] وعلى الرغم من أن المصادر لا تزودنا بالمعلومات الكافية عن السُويقَات إلا أن المجتمع المغربي لا يزال في الوقت الحالي يستخدم هذا المصطلح ويقصد به انعقاد بعض الأسواق المصغرة في الأوقات الاستثنائية ،كأوقات الأعياد ليقضي الناس حاجاتهم قبل حلول العيد أو أنها تقام في بعض الأماكن التي لا تقام فيها الأسواق المشهورة[4] .

اصطلاحا:

تعرف السوق بأنها جماعة من التجار يقومون بأعمال تجارية متشابهة ومن ثم فالسوق لا يدل بالضرورة على مكان معين إنما يشير إلى سلعة معينة وإلى المتابعين فيها الذين يتنافسون في معاملاتهم[5].

[1]- سورة الفرقان، الآية20.

[2] - أحمد الشرباصي، المعجم الإقتصادي الإسلامي ،دار الجيل ، دط،1981 ,ص :231.

[3]- ابن منظور ، المصدر السابق ، مج 10 ، ص :168.

[4]- غربي بغداد، العلاقات التجارية للدولة الموحدية ،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه ،علوم في التاريخ و الحضارة الإسلامية جامعة وهران، 2015/2014 ، ص : 71.

[5] - أمينة أبو حجر ،المعجم الجغرافي ، دار أسامة للنشر و التوزيع ، عمان ،الأردن ،ط1 ،2009 ، ص :433.

كما ورد لفظ السوق والأسواق في السنة الشريفة كثيرا ،فقد ذكر البخاري أربعة أبواب لها ،حيث ترجم الأول باب ما ذكر في الأسواق وأورد في عدة آثار وأحاديث فذكر: قال عبد الرحمن ابن عوف « لَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ قُلْتُ هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ قَالَ:سُوقُ بَنِي قَيْنُقَاعْ[1]..»[2].

وظيفة السوق:

لم تقتصر وظيفة السوق على الوظيفة التجارية فحسب، وإنما تعدت مهامها إلى وظائف أخرى وهذا ما لمسناه في المصادر التي كانت تتحدث عنها بين التنوع والأحداث الحاصلة بها نذكر منها:

1_ وظيفة اقتصادية:

تعتبر الأسواق مرآة عاكسة للحياة الاقتصادية، فهي توفر للناس مستلزماتها اليومية سواء من الخضر والفواكه والملابس أو مختلف المصنوعات وحتى وسائل البناء حيث يقول ابن خلدون في هذا الشأن "إنّ الأسواق تشتمل على حاجات الناس بشتى أنواعها فمنها الضروري وهي الأقوات من الحنطة وما في معناها كالبقلاء والبصل والثوم وأشباهه،ومنها الحاجي و الكمالي مثل الأدم والفواكه والملابس والماعون والمراكب وسائر المصانع والمباني "[3]، كونها مجالا لتبادل السلع والمنافع وهي المركز التجاري الرئيسي الذي يلتقي فيه التجار والحرفيون، فكان الناس يترددون عليها للكسب والشراء والتزود بما يحتاجونه من قريب أو بعيد[4].

---

[1]- * قينقاع: هو اسم لشعب من اليهود الذين كانوا بالمدينة و كان بها سوق يقال له سوق بني قينقاع ،ينظر ,ياقوت الحموي ،معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ،لبنان ،1977 ،دط ،مج4 ، ص : 424.

[2]- البخاري ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه و سلم و سنه و أيامه ،تح،محمد زهير بن ناصر ،دار طوق النجاة ،ط1 ،1422 هـ ، باب البيوع، رقم الحديث 3968،ص :746

[3]_ ابن خلدون ، العبر المصدر السابق،ص:396.

[4]- عبد الكريم جودت ،المرجع السابق،ص،135.

2_ وظيفة اجتماعية :

لا تقتصر الأسواق على نشاطها التجاري فقط ،بل إنها تعكس ذلك التفاعل بين عناصر اجتماعية مختلفة؛ فهي ترتاد من قبل العامة والخاصة والصغار،الكبار ،النساء ،والرجال يوميا ،كما يعد أيضا ملجأ للمتسولين وللأشخاص الذين يتظاهرون بالمرض قصد الحصول على المال،وهذا يظهر من خلال ما ذكرها ابن عبد الرؤوف بقوله:" كذلك يتفقد الذين يتخبطون في الأسواق ويُوهمون الناس بأنه صرع[1]...، والذي يظهر أنه مقعد ،والذين يُقرِحون أيديهم ويُوهمون الناس أنَّ ذلك كله بلاء نزل بهم، وهم يكذبون عنهم"[2].

من خلال هذا النص نسْتشف أنّ السوق كان موضعا للكثير من المحتالين وأصحاب الحيِّل لأخذ أموال الناس، كما نجد من الوظائف الاجتماعية للسوق أنه يرفّه عن أفراد المجتمع إذ كان يقصده بعض الأشخاص للقيام بحركات تشبه حركات الخفة؛ والتي اعتبرها ابن عبد الرؤوف من باب السحر بقوله:"كذلك يمنع أهل التخيل الذي يظهر أنه يفعل شيئا من غير فعله ويُخَيل به مثل ... قلب العين وما أشبه ذلك وهو من باب السحر"[3].

قد وردت مجموعة من النصوص التاريخية تكشف لنا قضايا اجتماعية مختلفة طُبقت فيها أنواع من العقوبات على أفراد المجتمع وذلك من باب الاعتبار والتأنيب و لكي تصبح ميدانا للتشهير للمحتالين واللصوص و تسدّ كل من تسول له نفسه في الخديعة والمكر.

---

[1]- داء الصرع: علة تمنع الأعضاء النفسية عن أفعالها منعا غير تام، وسببه شنَّج تَعْرِض في بعض بطون الدماغ وفي مجاري الأعصاب المُحَرِّكة للأعضاء من خلط غليظ أو لَزِج كثير فَتَمنع الروح النفساني عن السلوك فيها سلوكا طبيعيا فتشنج الأعضاء/ محمد العربي الخطابي، الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص 562.

2- أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف،ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة و المحتسب،تح،ليفي بروفنصال،مج2،دط ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي،القاهرة،1955،ص،113

[3]_ابن عبد الرؤوف،نفسه،ص113.

ويظهر ذلك من خلال ما ذكره الونشريسي فيمن غش في النقود المبهرجة[1] فيبحث عمن أحدثها فإذا ظفر به أناله من شدة العقوبة "وأمر أن يُطاف به الأسواق لينكل به ويشرد به من خلفه لعلهم يتقون عظيم ما نزل به من عقوبة و يحبسه بعد "[2].

كما يشير الدرجيني إلى وظيفة أخرى للسوق فيذكر" أنَّ صبيا يتيما جاء أبا معروف بدران ابن جواد كمستغيث فقال له :" يا عمي رأيت سيف أبي في يد دلال في السوق ليبيعه، وإنّما ناوله إياه بعل أختي وحقي في السيف باق..." فاستحضر أبو معروف الدلال فقال له : "...أشهر نصيب الابنة دون نصيب أخيها.." ففعل فلم يجد من يسومه بقليل ولا كثير فكان سببا لصونه عن اليتيم [3]،وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على رد حق اليتيم و رفع الظلم عنه.

ويذكر الخشني أن سليمان بن عمران طلب من غلامه بِشر أن يذهب إلى سوق الجمال وأنْ يبعث له أربعة جمال حتى أُطوف عليها رجالاً كانوا شهدوا عنده بالزور"[4].

ويذكر المراكشي أيضا نقلا عن ابن عمارة :

أَصْبَحَ فِيْ اَلْسُوْقِ يُنَادِيْ عَلَى رَأْسِي بِأَنْوَاعِ مِنَ اَلْمَالِ[5]

[1]_ المبهرجة بمعنى النقود الزائفة و المغشوشة/ينظر: العزفي أبو العباس أحمد التبسي،حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد،تح محمد الشريف،المجمع الثقافي ،أبو ظبي،1999،ص:113.

2- ابن العباس أحمد بن يحي الونشريسي،المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى افريقية و الأندلس و المغرب،تح،محمد حجي،دط، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية للمملكة المغربية،الرباط ،ج1401،6هـ/1981م،ص،47

[3]- الدرجيني , طبقات المشايخ بالمغرب , تح ابراهيم الطلابي , مطبعة البعث , قسنطينة , الجزائر ,دط, د ت, ج2 , ص :326.

4- أبي عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني القيرواني الأندلسي،قضاة قرطبة،مرا،السيد عزت العطار الحسني،ط2،مكتبة الخانجي،القاهرة ،1415هـ/1994م،ص،238.

[5]- خالد بلعربي ،المرجع السابق،ص136.

3_وظيفة دينية:

جُعل من السوق مكانا للعبادة ولإقامة الصلاة حتى أنه فرض على أصحاب السوق تعيين شخص يذكرهم بأوقات الصلاة وفيه يقول ابن عبدون:"يجب أن يرتب أهل السوق منذرا يشعرهم بآذان الظهر والعصر في كل مرّة ليتأهبوا للصلاة كل يوم،ويجمعوا له كل يوم جمعة شيئا يستعين به في معيشته"[1]. إنّ إشارة ابن عبدون حول صلاتي الظهر والعصر لها دلالة واضحة على ضرورة القيام بفرائضهم الدينية، ويؤكد لنا هذا الأمر ابن سهل حين ذكر أنه كتب إلى ابن عتاب[2] عن أناس لهم حوانيت اختاروا رجلا يتولى إمامتهم ظهرا وعصرا في وسط الحوانيت فأجابه :أنه من الأحسن لهم الصلاة في المسجد لكن يمكنهم الصلاة في أسواقهم إن كانت المساجد تبعد عنهم [3]،فينطبق عليهم بذلك قوله تعالى:﴿ **رِجَالٌ لاَ تُلهِيهِم تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَ إِقامِ الصَّلاةِ وَ إِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَومًا تَقَلَبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالأَبْصَار**﴾[4].

فصدق الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال: «جُعِلَتْ لِيْ اَلْأَرْضُ مَسْجِدًاْ وَ طَهُوْرَا »[5] بمعنى أنه متى حضرت للإنسان الصلاة وهو في أي موضع قام بتأدية صلاته.

---

[1]- محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي ،ثلاث رسائل في آداب الحسبة و المحتسب،تح،ليفي بروفنصال،مج3،مطبعة المعهد العلمي الفرنسي،للآثار الشرقية،القاهرة،1955،ص23.

[2]-ابن عتاب واسمه أبو محمد عبد الرحمان بن محمد بن عتاب بن محسن القرطبي،فقيه مالكي ،وعالم بالقرآت والتفسير واللغة،قال عنه ابن بشكوال :"هو آخر الشيوخ الأكابر بالأندلس في علو الإسناد وسعة الرواية ،ينظر:ابن بشكوال ،الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم، تح معروف بشار عواد،دار الغرب الأسلامي،ط2010،1،ص:167.

[3]- أبو الأصبع عيسى بن عبد الله الأسدي،الأعلام بنوازل الأعلام ،تح،نورة محمد بن عبد العزيز التويجري،ج2،ط1، دم،1415هـ/1990م،ص744.

[4]- سورة النور،الآية،37.

[5]- صحيح البخاري،باب الحديث ،رقم الحديث(1/128)،ص،231/ ينظرمحمد حسن نوبي،عمارة المسجد في ضوء القرآن والسنة،ط1،دار نهضة الشرق،القاهرة،2002،ص14

4_وظيفة تربوية:

لم تنحصر وظيفة السوق على الجانب الاقتصادي والاجتماعي والديني بلنجد له وظيفة أخرى وهي الوظيفة التربوية،حيث يعمل الفقهاء على تربية الناس بالابتعاد عن الحرام وأكل لحم الخنزير وشرب الخمر وذلك من خلال منع بيعها في الأسواق،وكذا منع ظهور القمارين والخمارين والسكارى ويؤدب من أقدم على ذلك، و مُنعت حتى الأواني التي تصلح للخمر ودليل هذا ما جاء في كتاب يحي بن عمر في القدور المتخذة للخمر قال :" رفع إلى عبد الله بن طالب بعض قضاته في أمر قدور من نحاس لا تعمل عنهم ولا تصلح لغير النبيذ، فقالوا إذا أردت قطع النبيذ والتضييق على أهله فاقطع هذه القدور ،فأمرت بها فجمعت من عند أهلها وصيَّرتها في موضع ثقة وأوقفتها وغيرت من أمرها وصيّرتها نحاسا ،وقيل ليحى هل تقول بهذا؟ قال نعم[1].

وتم منع كل ما نهى عنه الشرع كآلات الملاهي من عود وبوق و مزمر وطنبور[2]. كما أنّ السوق يربي الباعة على الأخلاق الحميدة لأنه: "من عرفت خيانته وخلاف استقامته من الدلالين يخرج من السوق فإنه سارق"[3]. ونظرا لأن السوق يقدم وظيفة تربوية فإنه لا يسمح لأي شخص أيًّا كان بدخوله لذلك نجد أن النساء غير المتخلقات يمنعن من دخول الأسواق حيث يقول ابن عبدون "قطع الطرازات عن السوق واجب "[4]حتى أنه وردت نازلة فيمن تخرج زوجته إلى السوق وهو قادر

[1]_ يحي بن عمر ،أحكام السوق،تح،محمود علي مكي،دط،ص:66.

[2]-أحمد بن سعيد المجليدي،التيسير في أحكام التسعير،تح،موسى لقبال،ط2،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر 1981، ص:64.

[3]- ابن عبدون،المصدر السابق،ص:47.

[4]- ابن عبدون، نفسه، ص:49.

على منعها ،وكان جواب أبو جعفر بن نصر الداودي[1] "لا يجرح زوج ولا ولي إذا ترك زوجته أو وليته تخرج إلى السوق إلا أن يعلم منها فساد فيتركها فيه"[2]

ولا يخالط النساء في البيع والشراء إلا ثقة قد عرف الناس خيره و أمانته ،ويرقب على ذلك أهل الصنائع،كما نهى يحي بن عمر الخَرَّازِين عن عمل الخفاف والصَّرَّارة خاصة إذا كانت "النساء يستعملنها عامدات لذلك ،فيلبسنها ويمشينا بها في الأسواق ومجامع الناس وربما كان الرجل غافلا فيسمع صرير ذلك الخف فيرفع رأسه" [3].

5_ وظيفة علمية:

تمثلت في عقد المناظرات منها مناظرة أبي عمران الفاسي وفقهاء القيروان حول مسألة الكفار "حتى تمارى الناس فيها ... بالأسواق وقام بعضهم لبعض وخرجوا عن حد الاعتدال من الجدال إلى القتال"[4].

ومن خلال ذلك يظهر أن السوق كانت تطرح فيه مختلف القضايا التي تشغل أفراد المجتمع والتي يبدون رأيهم فيها لاختلافهم في أحكامها كانت ترفع إلى الفقهاء والعلماء للإفتاء فيها .

[1]- هو أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي المسيلي الطرابلسي التلمساني المالكي،الملقب بشيخ الإسلام ،توفي سنة 402هـ بمدينة تلمسان،ينظر:أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي المالكي ،كتاب الأموال ،تح،رضا محمد سالم شحادة ،ط1،دار الكتب العلمية لبنان ،2008،ص،29.

[2]- القاضي عياض وولده محمد ،مذاهب الحكام في نوازل الأحكام،تح،محمد بن شريفة،ط2،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1997م، ص ص ،45.

[3]يحي بن عمر،أحكام السوق، المصدر السابق،ص:68.

[4]- يحي بن عمر الأندلسي،المصدر السابق، ص :77.

وبصفة عامة فإن السوق تعددت وظائفها ففيها تقع المنافرة والغدر وظفر بالثأر و تأديب سفيه ،وإغاثة يتيم ووعظ وإرشاد من فقيه وتنافس للشعراء وتزويج بنات وبيع دواب ودعوة إلى مذهب والعثور على مفقود إلى غير ذلك... .[1]

وقد كانت للأسواق آداب عامة يلتزم بها أهل السوق وإلا تدخل المحتسب[2] في الأمر ومن بينها الالتزام بالمحافظة على نظافة الأسواق والحذر من بيع كل ما فيه خصومة كأدوات المسروقة والمغصوبة[3] .

كما ورد في قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**﴾.[4]

أنواع الأسواق وتشكيلاته:

كانت تقام الأسواق حيث كانت توجد تجمعات سكانية فيخصص السكان مكانا يجتمعون فيه للتبادل التجاري وكان لابد من وجود تشكيلة للأسواق في الغرب الإسلامي حيث تبين لنا من المصادر الجغرافية والتاريخية أن أسواق المدن الإفريقية كانت عامرة رائجة فيذكر لنا ابن حوقل النصيبي الذي زار تونس وكان بمدينة القيروان عام (366هـ/974م)، والتي نالت بعض النظم التجارية اهتمامه،فذكر الأسواق وأنواعها والعاملين بالتجارة وكذلك الضرائب المفروضة على التجارة وغيرها...، فجاءت معلوماته عن النشاط التجاري غاية في التفضيل والشمول[5] ،وهي على أنواع :

---

[1]- سعيد الأفغاني،أسواق العرب في الجاهلية و الإسلام، دار الفكر ،دمشق،ط2 ،1960 ،ص:293.

[2]- المحتسب: مرقب مدني يقلده الخليفة أو الوزير أو القاضي بمهام منصبه التي تتضمن تطبيق مبادئ و الشرع تطبيق سليما،وكشف جميع المخالفات و إنزال العقوبات المناسبة بالمخالفين ، ينظر ،موسى لقبال ، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي , نشأتها و تطورها ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،ط1، 1971 ،ص:27.

[3]- جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق , ص:139.

[4]- سورة النساء , الآية :29.

[5]- ابراهيم صباح، النشاط التجاري في بلاد المغرب خلال القرن الرابع هجري، دراسة من خلال كتاب صورة الأرض لابن حوقل ،الجزائر، مجلة التاريخ العربي ،العدد السادس , 1998م ،ص:28-29.

1-الأسواق المؤقتة (الأسبوعية) :

هي الأسواق التي تقام في أيام معروفة من الأسبوع أو الشهر أو السنة وفائدة هذه الأسواق هي لأهل القرى البعيدة عن المدينة ،لذا هم يعقدون في أيام معلومة من أجل أن يأتي القرويون ليبيعوا بضائعهم ويتبضعوا ما يحتاجون من سلع ومنتجات زراعية وصناعية ،وقد عرفت أغلب مدن المغرب الإسلامي هذه الأنواع من الأسواق منها:

1_1-المدن:

القيروان أعظم مدينة بالمغرب و أكثرها تجارا و أموالا و أحسنها أسواقا،حيث أنّ ابن حوقل وصف أسواق مدينة سفاقس و سوسة بأنها عامرة و حسنة و أسواق مجانه صالحة، وأسواق قابيس عامرة [1]،ويتفق البكري مع ابن حوقل في وصف سوق سوسة بقوله :" إن أسواق مدينة سوسة كثيرة مخصوصة بكثرة الأمتعة والثمر ورخص الأسعار وأسواق مدينة تونس كثيرة ومتاجرها عجيبة[2]. وكانت هذه الأسواق كثيرا ما نجدها تحيط بالمساجد كأسواق مدينة القيروان حيث يقول المقدسي :" وبها جامع يسمى السِّماط[3] وسط الأسواق في سُّرة البلد" [4].وتشير الباحثة لواتي أنّ السّماط اسم أطلقه أهل القيروان على السوق الكبيرة عندهم، فهو عبارة عن شارع كبير متصل من القبلة إلى الجوف، مصطفة حوانتيهم عن اليمين وعن الشمال[5]، ممّا يدل على مدى سعة سوق القيروان وقد انتظمت الأسواق في المغرب الأقصى حيث كانت كل صناعة بناحية معينة من السوق

[1]- ابن حوقل النصيبي ، صورة الأرض ،بيروت , منشورات مكتبة الحياة ، 1979م ، ص:73..94.

[2]- البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب،دي سيلان ،الجزائر , 1977م , ص:40.

[3]_السِّماط أو السِّمت معناه جانب الطريق،ينظر،سلام محمد سلمان عيدة،ألفاظ الطرق في لسان العرب،لرسالة لنيل درجة ماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة الخليل ،أيلول،2011،ص:52.

[4]-المقدسي , أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2 , دار الصادر للطباعة و النشر، بيروت، ص:225.

[5]– دلال لواتي، عامة القيروان في عصر الأغالبة، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2015، ص 334.

مثل سوق النخاسين وسوق الزياتين وسوق الفاكهة وغير ذلك [1]، كما نذكر أسواق فاس التي كانت تحيط بجامع القرويين منها سوق المدول كانت محلاتها متلاصقة بسوق الجامع وبعضها الآخر يقابل هذا السوق وفي المقابل يقابل هذا السوق الباب الرئيسي للجامع سوق الغرب وسوق الفاكهة، ويليه سوق الشماعين والزهور والألبان، وإلى الشمال سوق الشراطين الذين يبيعون الحبال الغليظة والرفيعة ، وكانت مدينة فاس وغيرها من المدن المغربية لا تزال تزخر بأسواق الزياتين حيث يباع الزيت والزبد الطازج والزيتون والليمون وأسواق الدجاج والدلاء الجِلدية ، وسروج الخيل و المنتوجات وأدوات الأغطية الصوفية وغيرها[2].

وفي شمال قصر أبي موسى سوق أسبوعي يقام كل يوم خميس يجتمع إليه جميع قبائل بني مكناس وهي سوق نافعة لما يجلب إليها أو يقصد إليها من قريب وبعيد وتسمى السوق القديمة ،فشهدت مدينة أصيلة[3] سوق مؤقتة كانت تقام فيها يوم الجمعة ،وسوق آخر يقام ثلاث مرات في السنة وإلى ذالك أشار البكري "أصيلا سوقها حافلة يوم الجمعة"،جامعة ثلاث مرات في السنة وهو وقت اجتماعهم وذلك في شهر رمضان وفي عشر ذي الحجة وفي عاشوراء يعني أنها سوق تقام في أيام المناسبات الدينية ،وفي مدينة أغمات كان يوم السوق هو الأحد ووصف البكري هذه السوق قائلا:"سوق أغمات و وريكة يُقام يوم الأحد بضروب السلع وأصناف المتاجر ،يذبح فيها أكثر من مائة خروف وألف شاه وينفذ في ذلك اليوم جميع ذلك[4] ،فذبح هذه الأعداد من الحيوانات في سوق

[1]- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، المصدر نفسه، ص229/ أمينة بوتشيش، دراسة تاريخية و حضارية بين القرنين السادس و السابع هجري، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة أبي بكر بلقايد ،تلمسان، 1428-1429هـ /2007-2008م، ص:69.

[2]- أمينة بوتشيش، المرجع نفسه، ص:70.71.

[3]- مدينة أصيلا مدينة كبيرة ,التي سماها الأفارقة أزيلا أو أزلية أسسها الرومان وهي مدينة عامرة و آهلة كثيرة الخير و الخصب ينظر: بان علي محمد البياتي ،النشاط التجاري في المغرب الإسلامي خلال القرن (03-05هـ/09-11م) رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير, بغداد ,ص:94.

[4]- البكري المصدر نفسه،ص:95.

أغمات ووجود من يشتريها كلها يدل على نشاط هذا السوق مما يساعد على نشاط حركة التجارة فيه ،وجود أنواع مختلفة من السلع والبضائع.

أما مدينة درعة فكانت تزخر بالأسواق يوم الجمعة ،وأشار البكري إلى ذلك:"على وادي درعة[1] سوق في كل يوم من أيام الجمعة في مواضع مختلفة منها معلومة وبما كان عليه في اليوم الواحد سوقان وذلك لبعد مسافته وكثرة الناس عليه طول عمارته متصلة بسبعة أيام"، ويتضح لنا من خلال النص أنَّ وادي درعة تكثر فيه الأسواق المؤقتة التي تقام يوم الجمعة ويرجع ذلك لأن لكثرة العمارة والمنازل والقبائل التي تقيم بالوادي.

أما في السوس الأقصى فيقام السوق في المدينة نكاووست مرتين في الأسبوع ، وفي مدينة تيدسي يقام سوقها يوم السبت فيه الأعراب والفلاحون والجبليون.

وفي مدينة فاس يوجد بها باب سوق الأحد واحتمال هذه التسمية تعود أصلا ل وجود سوق بهذا الاسم ويقام يوم الأحد[2] .

وفي المدينة تادلة[3] ،أشار ابن الزيات الى أن أبى موسى عيسى بن سليمان و هو من أهل تاجنيت (وهي من بلاد تادلة) خرج ذات يوم فرأى الناس بسوق الأحد (برقدوقة) وما كان رأى السوق قبل ذلك فقال:" ما بال الناس قد إجتمعوا هنا؟ فقيل له: إنه يوم سوقهم فدعى لهم بالربح في تجارتهم فمن ذلك اليوم لا يشتري أحد في ذلك السوق تجارة إلا ربح فيها"[4].

وتوجد عدة أسواق مؤقتة و متفرقة تقام في القرى منها:

[1]- وادي درعة يقع على نهر سجلماسة وهي قرى متصلة وعمارات متقاربة ومزارع كثيرة ويشتهر الوادي بزراعة قصب السكر و يكثر به التجار اليهود،ينظر:الإدريسي،نزهة المشتاق،ج1،ص،226.

[2]_ البكري،نفسه،ص96.

[3]- تادلة تقع على بعد 200كلم جنوب شرق الدار البيضاء على ارتفاع قدره500م عن سطح البحر على الضفة اليمنى لوادي أم الربيع،واشتهرت بتربية الأغنام :ينظر:مسعد محمد عبد الله،أسواق المغرب الأقصى عصر دولة الموحدين،من سنة (609/541هـ-1212/1145م)،كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالإسماعيلية جامعة قناة السويس،ص:11

[4]- ابن الزيات ،التشوف إلى رجال التصوف ،مطبوعات إفريقيا الشمالية ،الرباط ، 1958، ص:86.

1_2- القرى:

سوق بني مَغروات ومجتمع هذا السوق يوم الثلاثاء وهي جامعة حسب ما ذكره المؤلف علي بياتي عن البكري إلى أن هذه السوق تقع في بلاد عمارة[1].

بالإضافة لقرية نصرين التي لا تبعد عن سبتة إلا مرحلة، كان يوم سوقها يوم الجمعة وقبائل بني مكناس يجتمعون في السوق كل خميس[2].

1_3- الحصون:

من الحصون التي كان لها سوق في يوم محدد من أيام الأسبوع نجد حصن أزلي الذي يبعد عن مدينة مليانة[3] مرحلة،وهو حصن له مزارع وأسواق وهو على نهر الشلف، وله سوق الجمعة يقصده بشر كثير،كما يوجد باشير"حصن حسن البقعة كثيرة المنافع وله سوق معروف يجلب إليه كل لطيفة ويباع بها كل طريفة[4]، إضافة إلى سوق الغبار أو السوق القديم الواقع قرب تِزركين وهو سوق أسبوعي كان يعقد كل يوم أحد ويتقاطر عليه سكان قلعة تاكرارات لتبادل السلع[5].

2- الأسواق اليومية (الدائمة):

هي الأسواق التي تقام داخل المدينة و تكون ثابتة ،وهي موجودة داخل كل مدن الأقصى فعند تشيد أي مدينة يبنى سوق ،كما حصل عند بناء مدينة فاس[6] والأسواق الدائمة في المغرب الأقصى

---

[1]- بان علي محمد البياتي ، المرجع السابق, ص:96.

[4]- الإدريسي ،المغرب وأرض السودان ومصر و الأندلس مطبعة بريل،مدينة ليدن،1363،ص،87

[5]- مدينة في جبال البربر بالمغرب الأوسط في طريق افريقية الغربي مقابل بجاية بالبر،وأول من عاصرها زيري بن مناد الصنهاجي ،وبناها سنة 324هـ :ينظر ياقوت الحموي،معجم البلدان ،دط،دار صادر،بيروت،مج1397،5هـ/1977م،ص196

[6]- مقديش محمود،نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار. تح،علي زواوي ومحمود محفوظ،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت ،لبنان، مج1، 1988م ،ص،95.

[1]- الإدريسي،المغرب و أرض السودان ،المصدر السابق،ص،09.

[2]- مقديش محمود ،المرجع نفسه ،ص:101.

أصناف منها أسواق المدن الكبرى كمدينة سبتة[1] بها سوق كبيرة للمرجان لأنه كان يصطاد من شواطئها ،كما احتوت مدينة طنجة على أسواق وصفها البكري بالأسواق العامرة ،أما ابن حوقل وضح قائلا أن أسواق مدينة فاس كانت عامرة ممتدة ومرتبة منسقة ميزتها التخصص وهذا النوع من الأسواق وجد في القلاع والحصون أيضا.

2_1- المدن:

نالت أسواق المدن اهتماما كبيرا ففي مدينة تونس قال البكري: "أسواق كبيرة ومتاجر عجيبة "كما وجدت كذلك بمدينة سوسة[2]،وهي مدينة عامرة بالناس كثيرة المتاجر والمسافرون إليها قاصدون،وعنها صادرون بالمتاع الذي يُعدم قرينه من أنواع الثياب[3]، وعرفت طرابلس بأنها حسنة الشوارع متقنة الأسواق ،وتحدث ابن حوقل عن أسواق برقة ،فقال "لها أسواق حادة حارة "وهذا راجع لحركة أسواقها ورواج سلعها وتنوعها خاصة الصوف والفلفل والعسل والشمع والزيت[4]،وشهدت مدينة تيهرت أيضا أسواقا عامرة [5].

كما نجد مدينة بني زيادة من بلاد مكناسة التي تبعد عن درعة مسيرة ستة أيام بأنها حافلة بالأسواق ،وتوجد سوق فنكور في الطريق من مدينة فاس إلى مدينة أغمات ،وهي سوق عامرة يعمل

[1]- تقع في داخل البحر بين بحرين المحيط والبحر المتوسط ،مدخلها من جهة المغرب وهو مدخل ضيق طولها من الشرق إلى الغرب نحو ميل ،طولها من السور الغربي المحيط يربطها إلى آخر الجزيرة خمسة أميال ،ينظر،الأنصاري،اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سنى الأثار ،تح،ليفي بروفنصال،دط،ص:111

[2]- بلد بالمغرب،وهي مدينة عظيمة ،لها ثمانية أبواب ،ولها تنسب الثياب الرقيقة السوسية: ينظر الحميري،الروض المعطار في أخبار الأقطار،تح،إحسان عباس ،ط2،مكتبة لبنان ،بيروت،1984م،ص331..

[3]- أبو عبد الله محمد بن محمد الإدريسي ،نزهة المشتاق في إختراق الآفاق ،ط1،مكتبة الثقافة الدينية ،بور سعيد القاهرة ،1422هـ/2008م،ص،80.

[4] - ابن حوقل ،صورة الأرض،المصدر السابق،ص،72.

[5] -الإدريسي ،نزهة المشتاق ،المصدر السابق،ص،87

بها برانس سود حصينة لا ينفذها الماء ،وفي نفس الطريق يوجد بلد كبير يحسن فيه القَطن وبه سوق لطيفة [1]

2_2 -أسواق القرى :

مثلما وجد أسواق بالمدن كذلك وجد ببعض القرى أسواق يومية ،ففي قرية مَرْمَاجَنَة التي تبعد عن القيروان بثلاث مراحل فيها أسواق حسنة[2] ،وفي الطريق المؤدي من القيروان إلى المسيلة توجد عدة قرى أخرى لها أسواق عامرة منها قرية تامسنت [3]،ومن الأسواق التي جاء ذكرها أسواق قرية مليلة ،وهي من أرض طنجة [4]،كما توجد قرى متصلة في الطريق من مدينة طنجة إلى مدينة فاس بها عدة أسواق[5] .

ومن خلال ما سبق نستخلص أن الأسواق في بداية النشأة كانت تحمل أسماء مدنها ،لكن بعد التطور الذي شهدته مختلف الصناعات تخصص كل سوق بحرفة ،فأصبح يسمى باسم تلك الصنعة أو الحرفة مثل سوق العطارين ،النجارين والحدادين...إلخ.

كما واختلفت أسواق القرى عن أسواق المدن في كونها توفر الحاجات الضرورية لأهل القرى وتتميز سلعها بقلة الكم و النوع بينما أسواق المدن فهي توفر لكل أفرادها كل ما يحتاجونه من ضروريات وكماليات كما تعتبر مقصد لأهل القرى لبيع مختلف سلعهم وشراء ما يحتاجونه من مستلزمات .

2_3- أسواق القلاع و الحصون:

[1]- البكري،المغرب،المصدر السابق،ص،155.

[2]- ابن حوقل ،صورة الأرض،المصدر السابق،ص،84.

[3]- ابن حوقل ،المصدر نفسه،ص،87

[4]- الحميري ،الروض المعطار،المصدر السابق،ص،545

[5]- البكري ،المغرب،ص،110.

اشتهرت بعض القلاع أو الحصون في بلاد المغرب بأسواقها منها الحصن الذي يوجد في الطريق من مدينة بجاية إلى القلعة به سوق دائمة تباع فيه الفواكه واللحوم كثيرة ورخيصة [1] .

كما توجد بتاهرت قلعة عظيمة تطل على سوقها،وفي قلعة المهدي الواقعة بين سجلماسة ،وتادلة أسواق كثيرة وحصن حصين فوق جبل شامخ[2].

3- الأسواق المتنقلة:

ينقسم هذا النوع من الأسواق إلى:

3_1- الأسواق التي تصاحب الجيوش (العسكرية):

فضلا عن الأسواق الدائمة والمؤقتة التي عرفتها بلاد المغرب نجد نوع آخر من الأسواق يمكن تسميته بالأسواق المتنقلة حيث وردتنا إشارات تخص هذا النوع من الأسواق ،و يبدوا لنا أن هذا النوع من الأسواق كان منتشرا بشكل أو بآخر ولكن ليس على نطاق واسع منها أسواق الجيوش ،حيث نجد عدد من الباعة والتجار يصاحب الجيوش أثناء تقدمها إلى المعارك حاملين معهم ما يحتاجه الجند من بضائع وسلع ،وقد أورد ابن أبي زرع إشارة عن هذا النوع من الأسواق ،وقد قيل عن سعتها أنك إذا غاب عنك رفيقك أو من تعرفه لا تكاد تلقاه إلا بعد يومين لكثرة الخلق[3].

3_2- الأسواق التي تر افق سيرقو افل الحج.

وهناك نوع آخر من الأسواق المتنقلة وهي الأسواق التي ترافق سير قوافل الحج ،حيث يقيم التجار دكاكينهم عند كل محطة استراحة ،ويعرضون فيها بعض السلع الضرورية حيث كانت هذه الأسواق

[1]- مقديش ،المرجع السابق، ج 1،ص،95

[2]- الإدريسي،المغرب و أرض السودان ،المصدر السابق،ص،76

[3]_ابن أبي زرع الفاسي،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وفاس،دار المنصور للطباعة والوراقة،1972،ص:98.

منتشرة كثيرة نظرا للمسافة بين بلاد المغرب والأماكن المقدسة في الجزيرة العربية إذ يتطلب توفير أقوات كثيرة للحجاج.[1]

بالإضافة إلى أسواق تنتسب للجماعات والطوائف الدينية كسوق المسلمين واليهود أو تسمى بالقرية أو المدينة التي تحتضنها مثل سوق قرب تلمسان ،وهي موضع يسمى قرية الجمعة كان يخرج منها 100 صريمة يعني مئة فارس و يقصد التجارة عليها ،وغالبا ما تسمى الأسواق الأسبوعية بالمغرب الأوسط باسم اليوم الذي تنعقد فيه مثل سوق الاثنين ،كما يرصد لنا البكري سوق أبو عَيق يسمى سوق الحد الواقع في الطريق بين بجاية والقلعة ،قلعة بني حماد بين مضيق بجاية خارجا ووادي رهت.[2]

كما كان حال السوق في مدن المغرب كانت أسواق مدن الأندلس هي الأخرى مزدهرة خاصة في العهد الأموي نتيجة لوفرة المنتجات الزراعية وتطور الصناعات الأندلسية إلى جانب توفر الأمن والاستقرار ،ما أدى إلى انتشار الأسواق في المناطق النائية ورؤوس الجبال والأرياف كسوق أندرش من أعمال مدينة ألمرية وسوق قرية شوذر من أعمال مدينة جيان[3]، يقومون بتزويد المارة والمسافرين بما يحتاجونه من خبز وفواكه وجبن وغير ذلك .

سوق النخاسة (سوق الدواب):

ويعد سوق النخاسة من أهم الأسواق التي جلبت لها العامة و السلطة معا وكانت محط أنظار السلطة الفقهية التشريعية، وقبل أن نَلِج موضوع سوق النخاسة جدير بنا أنْ نتعرف على دلالات هذا المصطلح على حسب ما رصدته لنا كتب اللغة، حيث ورد عند ابن منظور بقوله:"النخاسة:

---

[1]- كريم عاتي الخزاعي ،أسواق بلاد المغرب من القرن 06هـ حتى نهاية القرن 09هـ ،الدار العربية للموسوعات،بغداد،2009 ،ص:57.

[2]- بلهواري فاطمة ، الأسواق نظمها و ضوابطها ضمن كتاب النظم التجارية لدويلات المغرب الأوسط منذ ظهور الرستميين إلى نهاية الزيانيين160-962 هـ , منشورات CRASC , وهران ,2014 , ص:111,

[3]- حسن قرني، المجتمع الريفي في الأندلس في عصر بني أمية (138_ 422هـ/ 756_1031م)، المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة، 2012، ص 144.

نَخْسُ الدابة وغيرها يَنْخُسها ويقال : النَّخْسُ والنَّخاس بائع الدواب وسمي بائع الرقيق نخاسا والأول هو الأصل[1].

إنّ أسواق النخاسة بالأندلس كان يباع فيها العبيد أو الرقيق في معظم المدن الأندلسية وكان التعامل فيها يتم بواسطة السماسرة والنخاسين الذين يجلبون الرقيق إذ كان معظمهم من اليهود قد اختصوا بهذه التجارة ،ما وفرت الحروب الداخلية بين الكيانات الثغرية والممالك النصرانية موردا هام لهذه التجارة ومن التجارة المربحة التي كانت تدر على أصحابها أموالا طائلة عصر الخلافة الأموية بالأندلس تجارة الرقيق من الجواري، للإقبال المجتمع الأندلسي بمختلف فئاته على شرائهن ،إما للذة أو الخدمة وتباينت أسعار الجواري ،فالمتعلمات والجميلات وصغيرات السن كن أغلى ثمن من الجارية الكبيرة في السن أو الأمية لذلك حرص تجار الجواري على تعليمهن وتطوير مواهبهن من أجل زيادة أسعارهن ،فكان منهن المغنيات والعازفات على آلات الموسيقى و راويات الأخبار والأشعار[2].

أما فيما يتعلق بأسواق الدواب من بغال وخيول وماشية فقد أقيمت في الأراضي الكائنة في أطراف المدن ،فسوق الدواب في مدينة طليطلة كان يقع غرب المدينة إذ كانت تدر على تجارها أرباح وافرة حيث قدر الابتياع من الخيل في أعم السنين ثمانية آلاف فرس أما من الأغنام ما بين سبعين ألف رأس إلى مئة ألف رأس[3].

طرزبناء أسواق النخاسة :

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مج6، 4376

2- محمد عطى الله الخليفات ،أسواق الأندلس في عصر الدولة الأموية،مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية و الاجتماعية ،مجلد 01 ،العدد 01 ربيع الأول 1435 هـ/كانون الثاني 2014 ,ص:148.

[3]- محمد عطى الله خليفات، المرجع السابق ،ص:149.

جرت العادة في بلاد المشرق أن تختص كل صناعة بسوق وعادة ما تكون هذه الأسواق حول المسجد الجامع على نسبة اتصالها بها وظيفيا ،فهناك سوق الشماعين لوجود الإضاءة بالشموع في الصلوات الليلية ،أما الأسواق الحرفية فغالبا ما تكون بعيدة عن المناطق السكنية مثل سوق الدباغة والصباغة والحدادة وهناك سوق أخرى تكون على أطراف المدينة وهي سوق النخاسة التي تنتج عنها روائح كريهة نتيجة فضلات الدواب.

وهذا ما كانت عليه العادة من الأسواق في المغرب الإسلامي ،كمدينة مراكش وفاس خلال العصرين المرابطين والموحدين فمدينة فاس عرفت نشاط اقتصاديا كان يعقد بين سكان المدينة وسكان الريف بسوق خارج أسوار المدينة حيث كان الفلاحون يأتون بمنتجاتهم لبيعها كالأبقار والماعز و الحمير و الخيل و الطيور..الخ[1].

أما عن طرز بناءها فقد اختلفت تبع لمواقعها داخل كل مدينة من مدن بلاد المغرب،فمثلا كانت أسواق مدينة تونس مبنية بآجر ومسقفة بالأخشاب ،بينما تكون أسواق سفاقس مختلفة عبارة عن فرص متقنة التصميم حيث يمتاز سوق الكامور بأنه عال يضلله سقف مقام على شكل أقواس مبنية من الخشب بإضافة إلى الدروب الضيقة التي يتصف بها هذا السوق.

يشير حسن الوزان إلى طرز بناء بعض أسواق المغرب الأوسط فيذكر :"بأنها متقنة البناء منسقة كما يجب ،وأسواق مدينة مراكش في العصرين المرابطي والموحدي تجتمع في ترتيب منسق ومنسجم وكان بناءها من الآجر الفخاري الجيد[2] "،وغالبا ما تكون أحياء الصناع والمتاجر في السوق كشبه قرى مغطاة بالقصب ومسقفة بالأخشاب والعيدان[3].

[1]- كريم عاتي الخزاعي ،المرجع السابق،ص:52.

[2]- حسن الوزان ,وصف إفريقيا ,ج2 ,ص:50,46.

[3]- كريم عاتي الخزاعي ,المرجع السابق ,ص:77.

لا يوجد وصف لأسواق الرقيق في بلاد المغرب ،إلا أن آدم متز صاحب كتاب الحضارة الإسلامية في القرن 04هـ ،يشير إلى وصف لها ،فيذكر أنها سوق مربعة فيها طرق متشعبة ،وفيها الحجر والغرف والحوانيت للرقيق ، وكان بيع الرقيق الجيد في السوق العام بمثابة عقوبة تحط من قدره وأولى أن تباع في منزل خاص أو بواسطة تاجر كبير و على العموم كان تجار الرقيق في موضع تشنيع[1].

ذكر القاضي عياض أن ابن أبي طالب(قاضي القيروان) أتى برجل إلى سوق النخاسين فاشترى له زوج بقر وغنم كما ذكر نفسه نخاسي البغال مما يفيد أن النخاس متخصص بتجارة الحيوانات ،ربما كان يعرف هذا السوق أيضا باسم (موقف الدواب) الذي أورد ذكره ابن الصغير المالكي تاهرت[2].

العوامل المساعدة على تطور الأسواق:

لقد ساعد على ازدهار الأسواق لمدن المغرب عدة عوامل نذكر منها:

الأمن والاستقرار الذي شهدته البلاد ،إذ أصبحت السلطة السياسية في يد الأمراء هذا ما ساعد على استتباب الأمن وإشاعة الهدوء[3]،فعاش أهلها آمنين مطمئنين في عيش رغد ونعمة تامة وارتفع المستوى المادي للأفراد ،وبالتالي أقبل الناس على الشراء ،فلا تكديس في الأسواق ،وصارت الأسواق التجارية تموج بحركة دائبة في البيع والشراء[4].

1- آدم متز ,الحضارة الإسلامية في القرن 04هـ ,ج1 ,تر محمد عبد الهادي أبو ريدة ,المركز القومي للترجمة , 1203م ص:302.

2- جودت عبد الكريم يوسف ,المرجع السابق ,ص:226.

[3]_ حسن عيسا ني،دور الأوقاف الإسلامية وأثرها الاقتصادي و الاجتماعي في الحضارة الإسلامية ،عهد المرابطين و الموحدين(448هـ_668هـ/1056_1269م)،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية،تخصص حضارة إسلامية،الجزائر،1432هـ_1433هـ/2011_2012م،ص:65.

[4]_ عاتي الخزاعي،المرجع السابق،ص:80

وسنأخذ على سبيل المثال دولة المرابطين (461هـ_539هـ/1140م_1147م)كنموذج لإبراز عوامل تطور الأسواق لحسن تسيير هذه الأسواق من قبل الفقهاء والقضاة بها :

_ وجود حكومة مركزية قوية ساهرة تمكنت من حماية الطرق فيذكر السلاوي[1]، أنه في عهد علي بن يوسف كانت الرعايا آمنة بانقطاع الثوار واجتماع الكلمة،بعدما كان المغرب الأدنى والأوسط من قبل تحت سيطرة القبائل الهلالية[2] الذين نشروا الرعب والفزع في نفوس الأهالي فأثر ذلك على نشاط الأسواق ،الأمر الذي أدى بالقوافل إلى تغيير طرقها التجارية نحو مدن المغرب الأقصى لما وفرته الدولة من أمن ،ونتيجة لهذا لم تجد القوافل سبيلا إلا للمرور عبر ديار الملثمين .

_ كما كان اتساع رقعة الدولة حتى حدود طرابلس شرقا وصحراء الملثمين غربا والأندلس شمالا فبحكم موقعها بين الشمال والجنوب الذي توسطته ساد فيها تنوع المحاصيل ومختلف أنواع المعادن ووفر للأسواق المنتجات التي تحتاجها فراجت بذلك مختلف السلع ورخصت أسعارها[3].

يقول ابن حوقل "فتوارت الرياح على قوافلهم ومفردتهم فأهلكت غير قافلة وأتت على غير مفردة وقصدهم أيضا العدو وأهلكهم غير دفعة فانتقلوا عن ذلك الطريق وتركوه إلى سجلماسة" وهذا دليل على استتباب الأمن في الطرق التجارية والقوافل بدأت في التنقل بكل حرية إذ استطاع التجار نقل متاجر السودان إلى موانئ البحر المتوسط[4].

_ وممّا ساعد أيضا على تطورها لما تمتعت به الدولة من سمعة طيبة بين أوساط الدول ،من خلال حرصها على تطبيق تعاليم الإسلام السمحة ،فكسبت بذلك ثقة الناس وهذا بشهادة عبد الله بن

---

[1] _ السلاوي أبو العباس الناصري،الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،دط،دار الكتاب،الدار البيضاء،ج2،ص:55

[2]- القبائل الهلالية ،يطلق اسم الهلاليين لبني هلال على العرب الذين هاجروا ،وغزو إفريقية كمحطة أولى خلال القرن الخامس هجري،الحادي عشر ميلادي،ينظر:بوخالفة عزي،تغريبة بني هلال بين التاريخ والروايات الشفهية ،رسالة دكتوراه ،غير منشورة،جامعة الجزائر،سنة،2003/2002م،ص:73.

[3] - أحمد محمود حسن،قيام دولة المرابطين (صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى)،دط،دار الفكر، العربي،دم،دس،ص:401

[4]- ابن حوقل،صورة الأرض،المصدر السابق،ص،65

بلكين[1] ،آخر ملوك بني زيري(483_496هـ/ 1090_1102م)الذي صرح في مذكراته "ثم علمت قياس المغاربة أهل الحصون وعلمت ما فيهم من الخير ولم نظن قط أن أحدهم يبيع أيامى إنما وجست نفسي من الرعية لطمعهم من حط المغارم والذي شاع من الزكاة والعشر عند المرابطين"فاطمأن السكان إلى أن الحكم قائم بالدولة .

كذلك إلغاء دولة المرابطين للمكوس التي كانت حكومة زناتة قد فرضتها على التجار الذين يسلكون أقاليم المغرب الأقصى ،ففي عهد يوسف بن تاشفين (400_500هـ/1009_1106م) لم تفرض المكوس ولا ما هو خارج الشرع،كما و أن ابنه سار على نهجه في إلغاء الضرائب غير الشرعية ،حين قال لأهالي فاس سنة 515هـ "فما شبعتم الخبز إلا في أيامنا ولا كسبتم المال إلا في دولتنا بعد أن ذقتم من زناتة الأهوال"[2].

ونتج على ذلك هو تشجيع التجار على التنقل بين مختلف أرجاء الدولة ،ونقل سلعهم من إقليم إلى آخر قاصدين مختلف الأسواق ،فكثرت الأموال في فترة المرابطين ،حيث يذكر صاحب كتاب الاستقصا أنه في عهد علي بن تاشفين كانت الأموال وفيرة[3].

وعامل آخر تمثل في اهتمام ولاة الأمر بالتجارة والتجار ،حيث عملوا على توفير سبل الراحة للتجار فيذكر ابن أبي زرع أن يوسف بن تاشفين لما دخل فاس ،أمر ببناء الحمامات والفنادق ففي سنة 462هـ/ 1069م وبلغ عدد الحمامات بها عشرين حماما[4].

---

[3]_ عبد الله بن بلكين ،مذكرات الأمير عبد الله بن بلكين آخر ملوك بني زيري بغرناطة(469_483هـ) المسماة بكتاب التبيان،تح ليفي بروفنصال،دار المعارف،مصر ،1955،ص:119

1. جمال أحمد طه ،مدبنة فاس عصري المرابطين و الموحدين (448هـ_1056م إلى 668هـ_1269م)،(دراسة سياسية وحضارية)،دط،دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر،الاسكندرية،ص222.

[3]_ السلاوي،المرجع السابق،ج2،ص:55.

3_ ابن أبي زرع الفاسي ،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وفاس،دط،صور للطباعة والوراقة،الرباط،،1972م،ص:119.

وأدت الفنادق وظيفتين في آن واحد،تمثلت الأولى في خزن المتاجر والسلع لتوزيعها بعد ذلك بالجملة ،أما الوظيفة الثانية فتمثلت في إيواء النزلاء من التجار الوافدين ،و(دليل كثرة الفنادق دليل على رخاء الدولة وتوفر الأمن والاستقرار وكذا مجهودات الأمراء في توفير سبل الراحة) وحتى تحافظ الدولة على الأمن وتمنع استغلال التجار للرعية وضعت قائمين على السوق لحراستها ومراقب[1].

كما عملت على منع تهريب منتجاتها خارج بلاد المغرب ،وفيها يقول ابن عبدون: "يجب أن تحمي ضفة الوادي الذي هو مرسى المدينة للسفن أن يباع منها شيء أو يبنى فيها بنيان ،فإن ذلك الموضع عين البلد وموضع إخراج الفوائد مما يخرجه التجار ومأوى الغرباء وموضع إصلاح السفن فلا يكن فيها ملك لأحد إلا للسلطان وحده ويجب للقاضي أن يحمي ذلك كل الحماية فإنه موضع مجتمع التجار والمسافرين وغيرهم ويجب لصاحب المواريث أن لا يبيع منه شبرا واحدا"[2].

و عليه نستنتج أنّه ساعدت مجموعة من العوامل و الظروف الملائمة على ازدهار الأسواق وارتيادها من قبل العامة كثقة التجار في أمراء الدولة مع وجود رقابة قائمة ودائمة على الأسواق والتي كانت من اختصاص المحتسب، فالسوق في بلاد المغرب والأندلس شكلّ عصب الاقتصاد في الفترة الوسيطية ولقد جانب الصواب أحد العلماء بقوله"لا تستوطن إلا بلد فيه سلطان حاضر وطبيب ماهر ونهر جار وقاضي عادل وعالم عامل وسوق قائمة"[3].

[1] _ عيساني،المرجع السابق،ص،67.

[2] _ ابن عبدون،المصدر السابق، ص80

[3] – الجزنائي ،جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس،تح،عبد الوهاب بن المنصور،ط2،المطبعة الملكية،الرباط،1411هـ/1991م،ص:30.

الفصل الأول: الرقيق في الغرب الإسلامي.

مفهوم الرق وضبط مسمياته.

مصادر الرقيق و أنواعه.

العيوب و التدليس بسوق الرقيق و عقود بيعهم

المبحث الأول : مفهوم الرق و ضبط مسمياته.

من خلال هذا البحث سنحاول أنْ نرصُد ونضبط دلالة مصطلح الرق وبعض الألفاظ التي رافقت هذا اللفظ وأدت معه نفس المعنى والمضمون، كما نحاول أنْ نتعرف على أهم الاختلافات و الآراء التي ساقها لنا أهل الاختصاص وتتبع كيفية ذكرها في التراث العربي الإسلامي لنصل إلى معايير هذه الطبقة في الكيان والفكر الإنساني.

1- تعريف الرق لغة واصطلاحا:

تعددّت الدلالات والمفاهيم في تحديد مصطلح الرق ويرجع ذلك إلى تنوع الأفكار واختلاف آراء المؤرخين من خلال هذه الدراسة سأسعى إلى طرح جملة من المفاهيم والتعريفات التي تصب في الموضوع من خلال مايلي:

لغة:

الرق في اللغة مشتق من لفظ الرقيق ونقول رقَّ العبد وأرَقه واسْترَقه أي أدخله في الرق وسمي العبيد رقيقا لأنهم يرتقون لمالكهم ويذلون ويخضعون له وقيل الرق الشيء الرقيق و يقال للأرض اللينة رق [1].

فالرِّقُ بالكسر من المُلك وهو العبودية والرَقُ بالفتح ما يكتب فيه ومنه قوله تعالى:﴿**فِي رِقٍ مَنْشُور**﴾[2].

[1] - ابن متطور:لسان العرب،مج3، المصدر السابق، ص 170.

[2]- سورة الطور الآية 03.

والرَقة بالفتح اسم بلد ،والرُقاق بالضم الخبز الرقيق ،والرَقيق ضد الغليظ والتَّخين وقد رقَ الشيء يُرق بالكسر رقة،وترقيق الكلام تحسينه وترقَقَ له أي رقَّ له قلبه واسترق الشيء ضد استغلها واسترق مملوكه و أرقه و هو ضد أعتقه[1].

وقد جاء في معجم الوسيط أن الرق يعني الشيء الرقيق وجمع رُقوق و يقال أيضا الرق والرقة والرقيق الدقيق اللطيف، والمملوك كله أو بعضه[2]،والرَق بالفتح ما يكتب فيه و هو جلد رقيق ويطلق الرق على الذكر والأنثى وجمعه أرقاء[3]،والعبد المملوك الحر أو خلافه قال سيبويه في هذا الشأن:".... وهو في الأصل صفة قالوا رجل عبد والجمع أعبد وعبيد ومن الجمع أيضا عَبدان بالكسر وعُبدان بالضم ويقال فلان عبد بين العُبودة والعبودية والعبدية [4]وأصل العبودية الخضوع والتذلل ويقال الأنثى عبدة[5].

لاشك أن ضبط المدلول الاصطلاحي للرق به صعوبة فقد وردت العديد من التعريفات التي تحمل في طياتها معاني منها فقد الحرية وأن يصبح ملك لغيره فردا كان أو جماعة و يطلق على الذكر و الأنثى، بحيث كان هذا المصطلح يطلق في المشرق على الأبيض مملوكا وعلى الأسود عبدا والرق هو نظام الذي يسمح لشخص ما أو جماعة من تقييد حرية فرد أو أفراد يطلق عليهم الرقيق ،ويتم إجبارهم على

[1] - مجد الدين محمد بن يعقوب، الفيروز أبادي ،قاموس المحيط تحقيق التراث مؤسسة الرسالة،ط8 ،بيروت لبنان،2005 ص 887.

[2]- المعجم الوسيط:مجمع اللغة العربية, ط4 ،مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ، 2005 ،ص 366.

[3]- محمد عيوني ،دور الرقيق في الحياة السياسية و الثقافية ببلاد المغرب و الأندلس خلال ق 4 و 5 هـ ،مذكرة لنيل شهادة ماجستير في العلوم الإسلامية ،جامعة الجزائر ،2013 ،ص 14.

[4]_ سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان،الكتاب كتاب سيبويه،تح عبد السلام هارون،ناشر الكتاب ،الخانجي،،ط3،دس،ص177

[5]- ابن منطور ، المصدر السابق ،ج1ص 664.

ممارسة عمل أو تقديم خدمات،ويعتبر الرقيق ملكا شرعيا لذلك الشخص يتصرف به كما يشاء ضمن حدود متعارف عليها[1].

فالرق يعني أن الإنسان مستعبد لغيره مملوكا له ،فاقد التصرف بذاته و مكاسبه، أما الاسترقاق فهو الإدخال في الرق ،ويقال للواحد وللجمع فقط أرقاء وقيل هو الملك والعبودية أي نقيض العتق والحرية ومالك الرقيق هو سيد أو المولى والرق نظام قديم.

2- مفهوم الرّق في المنطومة الفقهية:

إنّ المدلول الاصطلاحي للرّق لابد أن يتم في إطاره الفقهي الذي رسمه له الفقهاء، وقد عرفوا الرق بأنه عبارة عن عجز حكمي يقوم الإنسان سببه الكفر ،وأنه عجز شرعي مانع للولايات من القضاء والشهادة وغيرهما ومعنى قوله الحكمي أن العبد ربما يكون أقوى من سيده جسما وطاقة[2]، والعجز الشرعي فيدل على أن العبد ممنوع من ممارسة حقوق الحر مثل الزواج بمحض إرادته أو تولي القضاء وقبول الشهادة، وسائر الحقوق التي يتمتع بها الحر.

وعليه فالرق هو امتلاك إنسان لرقبة إنسان آخر على سبيل الاستغلال والتسخير، والرقيق هو المملوك ذكرا كان أم أنثى صغيرا كان أم كبيرا، ومع ذلك فالذكر من الرقيق يسمى عبدا ويقال له القِن أو الغلام و تقابله الأمة عند الإناث التي تنعت بالفتاة أو الجارية[3].

وللرقيق أسماء أخرى،منها ما ذُكِر في القرآن كالرقبة وملك اليمين والعبد المملوك ،والفتى والفتاة والأمة .

---

[1]- احمد منصور ،استرقاق الأسرى و أثر ذلك في العلاقات بين دول المغرب و أوروبا خلال ق 18 م ،مجلة عصور،دار المريخ للنشر،لندن: العدد 28، ص 56.

[2]- الموسوعة الفقهية، ج23 ،،ط 2 :وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الكويت, 2008 ، ص 38.39.

[3] -محمد كتاني ، موسوعة المصطلح في التراث العربي ،ج 2 دار الثقافة للغرب: بيروت 2003 ،ص 110.

الرقبة: تعني في اللغة 'العُنق' أو هي مُؤخر أصل العنق وأعلاه أو اسم للبُينة سائرا، لأنها تطلق على جميع ذات الإنسان في إطار تسمية الشيء باسم بعضه، لأهميته[1].

ومن ذلك قوله تعالى:﴿**وَمَن قَتَلَ مُؤمِن خَطَأً فَتَحرِيررَقَبَة مُؤمِنَة أَو دِيةٍ مُسَلَمَةٍ لِأَهْلِهِ**﴾[2] فالرقبة هي كناية عن الإنسان المملوك سواء كان مسلما أو كافرا ذكرا أو أنثى كبيرا أو صغيرا ويقال "فك رقبة" أي إطلاق سراح أسير أو عتق رقبة،أي حرر شخصا من الرق وتعني كلمة الرقاب أيضا المكاتبين من الأرقاء وقد سموا بذلك لأنهم جعلوا في أرقابهم مالا، لم يكن يلزمهم فيكاتبون موالهم على التحرر نظير مال منهم بمعنى شراء الرقيق فيعتقون ويكون ولاؤهم للمسلمين.

العبد: ويسمى الرقيق عبدا وتطلق هذه التسمية على الذكر و الأنثى ولها لفظ مشترك بين الذكر والأنثى وبين الحر والعبد وكان في الأصل صفة فيقال: "رجل عبدالله أطلق على الأسماء ومصدر العبد هو العبودة والعبودية وأصلها الخضوع والذل، يقال عبدت فلان إذا ذللته واتخذته عبدا والعبد في المصطلح، فلان حر وفرق الناس بين العبيد والعبادة فجعلوا العبيد جمع عبد من الملك والعباد جمع عبد الله[3] وفي إفريقية و بلاد المغرب كان مصطلح عبد يطلق على جميع أنواع الرقيق من السودان و بيضان ومن هنا استعملت كلمة الرقيق والعبيد بنفس المعنى في موضوعي.

مِلك اليمين: يعني مصطلح ملك اليمين لغة ما يملكه الفرد، ويقال مِلك اليمين (بكسر الميم) ومَلكها (بفتح الميم) و مُلكها(بضم الميم)[4]، و يعني شرعا الإماء[5].

---

[1] - الجرجاني علي بن محمد ،التعريفات ، ضبطه و فهرسه، محمد بن حكيم القاضي ، دار الكتاب المصري: القاهرة 1403 هـ 1990م ،ص 123.

[2] - سورة النساء: الأية 98.

[3]- بطرس البستاني محيط المحيط، قاموس مطول اللغة العربية، مكتبة لبنان 1998، ص 571.

[4]- ابن متطور، المصدر السابق، مج 5 ، ص 528.

[5]- استعملت كلمة إماء لأن النساء اللاتي ملكن من تتزوج لا تكون سرية سيدها.

السراري: اللاتي ملكن ملكا شرعيا عن طريق السبايا في الحروب دافع فيها المسلمون عن دينهم وبقي أزواج تلك الإماء في دار الكفر ويرى الرازي أنّه من المصلحة أنْ لا تُعاد السبايا إلى أزواجهن أو أن هؤلاء قتلوا في دار الحرب[1]، وقد أشار القرآن إلى ملك اليمين في خمس عشر آية بصيغة "ملكت أيمانكم"،ومرة بلفظ فتياتكم وفي قوله تعالى﴿**فَمَن مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِن فِتَيَاتِكُم**﴾[2] وأخرى بلفظ الإماء بقوله تعالى ﴿**وانْكِحُوا الأَيَامى مِنْكُم وَالصَالِحِينَ مِن عِبَادِكُم وَإِمَائِكُم**﴾[3] وقد اقتصر استعمال مصطلح ملك اليمين على الكتب الفقهية تقريبا.

كما وردت مسميات أخرى للرق في المصنفات التراثية لم يَرِدْ لها ذكر في القرآن الكريم ومنها نذكر:

المملوك: ويسمى الرقيق مملوكا والجمع مماليك، وهو اسم مفعول مشتق من فعل ملك، ويعني الشخص الذي يُمتلك،أي العبد والمملوك عند أهل الشام ،يطلق على الرقيق الأبيض البشرة الذي يولد من أبوين حرين، تعرض للسبي فيباع ويصبح ملك لغيره[4] أي هو الشخص الذي مُلِك ولم يُملك أبواه، وزيادة في الرقة فإن العبد عندهم يكون أسود البشرة وينحدر من أبوين رقيقين ويتم شراء المملوك صغيرا قصد تربيته فيتعلم الكتابة في سنّ مبكرة ويحفظ القرآن والسنن والأحكام الشرعية،وعندما يكبر يتدرب على فنون الحرب من فروسيته واستعمال السيف ورمي السهام ليكون جنديا[5].

---

[1]- عبد الرحمن الرازي بن محمد بن إدريس أبي حاتم تفسير القرآن مسندا عن رسول الله و الصحابة التابعين ،تح ،أسعد محمد طيب : صيدا لبنان، ط2 ،1999 ،مج 3 ،ص 59.

[2]- سورة النساء، الآية،25 .

[3]-سورة النور، الآية 32.

[4]- بطرس البستاني، محيط المحيط ،المصدر السابق، ص862.

[5]- العابدي مختار احمد ،قيام دولة المماليك الأولى في مصر و الشام ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة و النشر الإسكندرية بدون تاريخ ، ص 11.

وكان الأغالبة(184-296هـ/800-900م)والفاطميون(297هـ_ 337هـ/909-948م) يتبنون هذا المنهج في تربية الصقالبة[1] وإعدادهم، ففي عصر الأغالبة كان حضور العنصر الصقلبي حاضرا في الحياة السياسية ،إذ شاع استعمال اللغة الصقلبية في بلاطهم، حيث أن إبراهيم الأغلب (184_196هـ/800_811م) كون فرقته العسكرية مستكثرا منهم [2]، أما عصر الفاطميين فقد برز منهم قادة عسكريون أمثال ميسور وفاتق وجوهر الصقليين[3]

الجارية: تسمى المرأة من الرقيق بالجارية جمعها جاريات[4]، وتعني الفتية من النساء و توسع مدلول هذه الكلمة فأطلق على كل امرأة وقعت في الرق، وإن كانت عجوزا لا تستطيع السعي وأصل لفظ جارية السفينة لأنها تجري في البحر وسميت المرأة الرقيق به لأنها تجري مسخرة في أشغال موالها وعرف نوع آخر من الجواري أطلقت عليهن تسمية **الجواري الغلاميات** وهن اللواتي كن يلبسن ملابس الغلمان تشبها بهم[5] ، وهذا النوع من الجواري ظهر كما يذكر المؤرخون في العصر العباسي أن الخليفة الأمين ابن هارون الرشيد ظهر ولعه الشديد بالغِلمان من خدمه ورفع منازلهم وأعلى من شأنهم، ويقال أن أمه زبيدة لما رأت ولعه هذا بهم اتخذت منهن المقدودات الحسان الوجوه وعممت

[1]_ إن أصل كلمة الصقالبة مأخوذة من صقلب، أما في اللغة الصقلبية فهي سلافينو(salabeninn) وكانت في الماضي تعني أهل تلك البلاد وعرفت في اللغة اليونانية (sklabeno)وهي تعني المعنى السابق نفسه واستمرت هذه التسمية حتى القرن الأول الهجري السابع الميلادي ومن ثم أصبحت تدل على معنى العبد(sklavos)ينظر: خزعل ياسين مصطفى، الصقالبة الخصيان في الأندلس عصري الإمارة والخلافة(138_422هـ/755_1030م)،دط،دس،ص:7

[2]- عيسى ابن وردان المدني (بعد القرن التاسع الهجري/الخامس عشر ميلادي)،تاريخ مملكة الأغالبة ،تح،محمد زينهم،مكتبة مدبولي،القاهرة،ص33.

[3]-محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف ابن أبي دينار،المؤنس في أخبار إفريقية وتونس،ط1،مطبعة الدولة التونسية،دار المسيرة،ص81.

[4]- بطرس البستاني محيط المحيط، المصدر السابق، ص 105.

[5]- حسن الباشا، دراسات في الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية : القاهرة ،1975 ، ص127.

رؤوسهن، وبعثت بهن إليه فاختلفن في يديه فاستحسنهن واجتذبن قلبه إليهن وأبرزهن للناس والعامة والخاصة[1] .

وتطلق على المرأة المملوكة أيضا تسمية **أمة** وتجمع على **إماء** ويقال: تَأَمَتْ المرأة بمعنى امتلكت وتَأَمَىْ الرجل أي اتخذ امة أو سرية وهي التي يبرها سيدها بيتا[2]، ويطأها وتنسب إلى السر لأن سيدها كثيرا ما يخفيها عن الحرية.

نعود للفظة أمة التي ارتبطت بالعبودية في تعدد من معاجم ،فلفظة الأمة هي المرأة ذات العبودية وفي لسان العرب "الأمة" :المملوكة خلاف الحرة وأشار الزمخشري إلى تسمية الحرة والعبودية بقوله كانت حرة فتأمت كما أن الأمة قد تمدح حريتها فإن الحرة قد تسلبها كذلك، لكن الحرة لا تفقد حريتها إلا إذا سلبت وبالعودة إلى ربط ابن منطور بين السبي والعبودية من ناحية وربط الزمخشري وصاحب بن عباد بين السبايا والجواري من ناحية أخرى، فإن العلاقة بين الجواري والعبودية قائمة لكنها بالتأكيد علاقة نسبية فالحرة إن سبيت ودخلت في الجواري فهي في عبودية طارئة غير متأصلة في تكوينها ونشئتها[3].

أما الأمة المَسْبِيَة فعبوديتها مرتبطة بها منذ ولادتها ولم تعرف الحرية أبدا وبناء على هذا التفسير اللغوي فإن لفظة الجارية تدل على المرأة الفاقدة لحريتها وأهليتها المملوكة لغيرها بسبي أو بيع سواء كانت حرة أم مملوكة في الأصل أما لفظ الأمة " الجارية " في الأندلس فقد ارتبطت بأبعاد اجتماعية كما تشير في ذلك بعض المصادر الأندلسية ،إذ أشار ابن بسام إلى"أن الأندلسيين أطلقوا لفظ ' أمة'

[1]- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(224-310ه)، تاريخ الطبري،تح، أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية،دط،دت،ص:177.

[2]- الفيروز الأبادي ،المصدر السابق ،ص 406.

[3] - فريال عبد الرحمن العلي، الجواري في الأندلس جدل العبودية و الإبداع ، مجلة التواصل الأدبي جامعة أم القرى ،العدد 10 جانفي 2018، ص207.

على "الجارية التي تتخذ الغناء أو الرقص مهنة "[1]في حين يفهم في سياق القصص التي أوردها ابن حزم"أن لفظة الجارية تطلق على الحرة والمملوكة على حد سواء إذ يستخدم أحيانا عبارة بيعت أو أعتقت أو جارية مما لا يدع مجالا للشك أن الجارية مملوكة في حين يشير في مواطن أخرى أن الجارية من ذوات المناصب والشرف أو امرأة من معارفي ومنها جارية من قرابتها ومثل هذا التحديد يعني أنها حرة[2].

الخادم: كما تطلق تسمية خادم وجمعها خدم وخدام على الذكر والأنثى، التي يقال لها كذلك خادمة والخادم هو الشخص الذي يعمل لغيره مقابل طعام بطنه وهو أيضا مملوك.[3]

المولى: يجمع مصطلح مولى على الموالي، ويطلق على الشخص الذي يتولى أمر الآخر.[4]

الفتى: ويستعمل اسم صفة وتعني في الأصل الشاب الحديث ومعناه فتيان وفتوان والفتية.[5]

الفتاة: وتعني المرأة الشابة تطلق على الأمة والخادمة والعجوز في آن واحد،وتجمع على الفتيات وسميت الأمة العجوز فتاة لأنها لا توقر تقوير الكبيرة الحرة[6].

---

[1]_ ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح، سالم مصطفى البدري،ج3، دار الكتاب العلمية،دط،دس،ص:67

[2]-ابن حزم الأندلسي،طوق الحمامة في الألفة والآلاف ،المكتبة العصرية صيدا ،بيروت ،دط ،ص112.

[3]- محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي،تاج العروس من جواهر القاموس ،ج1،تح،علي هلالي،ط2،التراث العربي،مطبعة حكومة الكويت،2004،ص209.

[4]-مرتضى الزبيدي،تاج العروس،ج2،ص126.

[5]-الزبيدي،المصدر السابق،ج3،ض:45.

[6]- المصدر نفسه،ص:48.

الغلام:والغلام يجمع على غلمان وتعني هذه التسمية الشاب ثم اتسع استعمالها، فأطلقت على صاحب الصنعة وعلى الخادم عموما حتى وان كان متقدما في السن كما أطلقت على العبد والمعتق في نفس الوقت، غير أن كلمة غلام التي تعني العبد غير شائعة في بلاد المغرب[1].

الأستاذ: وهذه كلمة فارسية، تعني الرئيس أو المعلم أو رب صنعة وتطلق على الخطيب وأطلقت في عهد الفاطميين على العبد الذي يقوم بتربية الرقيق وتعليمهم الكتابة والرماية وقد ذكر لقب الأستاذ لأول مرة في سيرة جوذر[2] في عهد الخليفة المنصور بالله الفاطمي(334– 341هـ/945-952م)حين استخلفه على دار الملك و سائر البلاد وأعطاه مفاتيح خزائن بيت المال عند خروجه لملاحقة أبي يزيد بن كيداد (322-341هـ)لكن مهمة جوذر في هذه المرحلة اختلفت عن مهمة الأستاذ كما جاء في التعريف لأن المهام التي اضطلعت بها هذه المرة كانت سياسية وادارية وليست اجتماعية وهناك أسماء أخرى للعبيد لم تستعمل في هذا البحث لأنها لم تستعمل ببلاد المغرب في فترة هذه الدراسة[3].

3- نبذة وجيزة عن الرق في الحضارات الإنسانية:

[1]- بشاري لطيفة، الرق من الفتح الإسلامي الى رحيل الفاطميين ق1-4 هـ/7 -10 م،أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط: جامعة الجزائر ،2008/2007 ص 31.

[2]- هو الرجل الثالث في الدولة الفاطمية بعد الخليفة وولي العهد، كان صباه عبدا من مماليك، تقدم عند القائم حتى استخلفه ،وهو لا يزال وليا للعهد (سنة 300هـ) على قصره وجعله صاحب بيت ماله ،والموكل بخزائن الكساء ،والسفير بينه وبين الناس في فترة خلافته ،توفي القائم وثورة مخلد بن كيداد على أشدها فأخفى المنصور وفاة أبيه وخرج لحرب ابن كيداد ،واستخلف جوذر على سائر البلاد وسلمه مفاتيح الخزائن،ولما عاد المنصور إلى المهدية وكان قد أخمد فتنة مخلد بن كيداد ،أعتق جوذر من الرق ،ثم كان مع المعز كما كان مع أبيه وجده،وسافر مع المعز في رحلته إلى مصر ،فمات في الطريق،في مكان يعرف بمياسر على مقربة من برقة،ينظر،أبي علي منصور العزيزي الجوذري،سيرة الأستاذ جُوذَر وبه توقيعات الأئمة الفاطميين،تح،محمد كامل حسين،محمد الهادي شعيرة،دار الفكر العربي،مصر،ص:39، 43،144./ينظر:علي ابراهيم حسن،تاريخ جوهر الصقلي،قائد المعز لدين الله الفاطمي،مكتبة النهضة المصرية،مطبعة السعادة،ط1963،2م،ص:9،10.

[3]- بشاري لطيفة ،المرجع السابق،ص 32.

نشأ الرق في فترة مبكرة ،ترجع إلى الحروب والصراعات التي كانت منتشرة بين الأمم والشعوب ثم وجد الإنسان ضالته في استخدام القوة التي يمتلكها لإلزام الضعيف بالاشتغال عنده ليحمل عليه أعباء الحياة وظاهرة الرق بدأت مع استقرار الإنسان وتشكل الحياة القروية المعتمدة على رعي الأغنام والزراعة التي تتطلب اليد العاملة[1]،ومنه فأول المستغلين كان أسرى الحروب ثم ظهر مصدر آخر للاسترقاق تمثل في بيع لقاء الديون كما تم بيع الأولاد من قبل آبائهم نتيجة الفقر،ويكون الاسترقاق أيضا نتيجة الميلاد من أبوين من العبيد ويأخذ المولود صفة الاستعباد مباشرة،وقد كانت أحوال الرق عند الأمم القديمة في أسوء صورها؛ فقد اتسمت معاملة السيد لرقيقه بالقسوة والجبروت وانعدام الحس الإنساني، بحيث كان يتم التعامل معهم على أنهم قطع أثاث وآلات جامدة تم تصنيفهم في مرتبة الدواب،ومن ثم إجبارهم على أداء أشقى الأعمال وكان لمالكهم مطلق الحرية في بقاء العبد على قيد الحياة أو تجويعه أو تعذيبه والتنكيل به وعلى سبيل المثال نأخذ الحضارة البابلية القرن الثامن قبل الميلاد، بحيث انتشرت ظاهرة الرق بسبب الدين لأن المجتمع كان إقطاعيا بالدرجة الأولى حيث كان يتم استرقاق الفلاحين في حالة عدم تسديد الديون وكانت نظرة المجتمع البابلي للرقيق دونية فقد تمت معاملتهم على أنهم حيوانات والهدف من وجودهم، العمل لإرضاء الآلهة وهذا أكده قانون حمو رابي الذي نص على جملة من القوانين تخص العبيد ومنزلتهم[2].

وقد ذكرنا بأن العبد رغم كونه جزء من ثروة سيده، فإن له حقوقا منها : حق مقاضاة الآخرين والاستقلال بسكن خاص والزواج بامرأة حرة بعد إذن مولاه،وإعفاءه من الخدمة عند الكبر ومن خلال هذه الحقوق والقوانين التي ذكرت نستنتج أن حمو رابي لم يعتبر العبد مجرد شيء وإنما

[1]- فاطمة قدورة الشامي،الرق والرقيق في العصور القديمة والجاهلية و صدر الاسلام ،دار النهضة العربية ،ط1 ،2009 ،ص:27.

[2] - أحمد فؤاد بليع ،مؤسسة الرق من فجر البشرية حتى الألفية الثالثة ،ج1 ،المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة ،2003، ص:109.

كانت له شخصية قانونية تمكنه من الزواج و يمنح السيد للعبد حريته منه بعتق اختياري وآخر إجباري[1].

أما في الحضارة المصرية الفرعونية لقد كان الرقيق من أهم السلع إضافة إلى العاج والذهب، وخير دليل على رواج التجارة الرقيق من قصة بيع سيدنا يوسف لعزيز مصر.

وقد كانوا يستخدمون الرق في العمل الشاق من الزراعة والبناء وكمظهر من مظاهر الزينة، فعمروا القصور والمعابد وبيوت الكهان بشكل عام وكأنهم دمى متحركة ليس لهم الحق في التعبير عن أدنى متطلباتهم. كان الرق ملكا للدولة أين أصبح الرجل العادي يمكنه تملك الرقيق ،نتيجة الحروب التي خاضها المصريون وتحصلهم على جموع غفيرة من الأسرى الرقيق[2].

أما عند اليونان و الرومان فقد كان نظام الرق في المجتمع اليوناني أمرا مقبولا و مسلم به، ولم يتصور اليوناني وجود عالم دون رقيق، لما يحققه تملك الرقيق من مزايا، ويكمن التميز بين صنعتين أو قسمين من الرقيق في المجتمع اليوناني فالقسم الأول منهم رقيق الدولة،ويطلق عليهم لفظ الهليوت منهم العبيد بالولادة والأحرار ممن استرقوا عن طريق الحرب يتميزون عن الصنف الآخر بأنه ليس لمولاه حق التصرف المطلق عليه، فلا يستطيع أن يسلبه حقه في الحياة أما القسم الثاني فهم الأرقاء،يتكون أغلبهم من أسرى الحروب الداخلية بين المدن يستخدمون في الحراسة وإدارة الجيش، والجوسسة وكل الأعمال الشاقة للاعتقاد اليوناني أن الرق وجد لإنتاج ما تحتاجه المدينة[3].

[1]- احمد فؤاد بليع ، المرجع السابق ،ص:110.

[2]- محمود سلام زناتي ،حقوق الإنسان في مصر الفرعونية،دار النهضة العربية ،مكتبة القاهرة، 2003 ،ص:72.

[3]- بشاري لطيفة بن عميرة ،الرق من الفتح الإسلامي الى غاية رحيل الفاطميين، ص:45.

وكانت سلطة السيد على عبده مطلقة، يعامله كالمتاع يمكنه بيعه وإيجاره ورهنه، ومعاقبته وقتله وإذا حكم على العبد بالموت، تنفذ عقوبته بالضرب المبرح،أو بإلقائه من فوق صخرة عالية إلى حفرة عميقة[1].

وقد كانت تجارة الرقيق رائجة جدا، حيث كان تجار اللحوم البشرية يتبعون الجيوش أينما حلوا وارتحلوا من أجل الحصول على أجود الرقيق وبيعه بأغلى الأثمان، وكان يعلق في رقبة الرقيق بطاقة تصف خصائص العبد كأصله وكفاءاته ومن شروط التي وضعها القانون الروماني لأسواق الرقيق،أن تدهن أرجل الرقيق باللون الأبيض لتبدأ عملية العرض والبيع بالمزاد العلني[2].

أما فيما يخص مفهوم وتطور الرق في الديانات السماوية،فنأخذ على سبيل المثال: الديانة المسيحية، إذ أنها لم تحرم ولم تحرر العبد لأن الكنيسة أنداك تبنت مبدأ الخضوع، ودعت الناس لذلك باعتباره مطلبا ربانيا وعلى هذا الأساس أسست شرعية الاسترقاق،و نصح رجال الكنيسة العبد المسيحي بالبقاء في الرق ولا يتطلع للحرية وإن منحت له[3]، وبذلك اعتبرت المسيحية الرق نظاما ألاهيا لا يقبل الزوال ،وكل ما فعلته الكنيسة أنها حثت على الرفق بالرقيق إلا أنها لم تخفف من آلامه، بل في ظلها كان السادة يمارسون على عبيدهم حق الموت[4].

أما الديانة اليهودية فقد كان نظام الرق معمولا به منذ ظهور الزراعة، ولم يعم انتشار هذا النظام إلا حوالي القرن الرابع عشر قبل الميلاد، عندما أغار بنو إسرائيل على بلاد كنعان فاحتلوها،وأبادوا أغلبية سكانها واستعبدوا من بقى من الأحياء ومفهوم الرق لدى اليهوديين هو أن يملك الإنسان إنسانا آخر،ويكون صاحب الحق فيه تصرفا ،إدارة وجسما، وامتلاك إنسان لآخر يجعل منه عبدا

[1]- المرجع نفسه ،ص:46.

[2]- احمد فؤاد بليع ،مؤسسة الرق ، ص:222.

[3]- عبد السلام الترمانيني، الرق ماضيه و حاضره ،سلسلة عالم المعرفة ،الكويت ، ط2 ،ص:22.

[4]- احمد فؤاد بليع ،المرجع السابق،ص :337.

خاضعا منقادا، لا يملك من أمر نفسه شيئا وكانت مصادر الرق لدى اليهود الحرب كأحد أسباب الرق، إذ كما ذكرت تحررهم لبني كنعان واسترقاق من بقى حيا وثانيهما الخطف و السلب و دليل ذلك قصة سيدنا يوسف حين باعوه إخوته بثمن بخس واستشهادا على ذلك قوله تعالى ﴿ **وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هذَا غُلَام و أَسَرُّوهُ بِضَاعَةً واللَّه عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ وَشَرَوْهُ بثَمَنٍ بَخْس دَرَاهِم مَعْدُودَة وكَانُوا فِيه مِنَ الزَّاهِدِينَ** ﴾[1].

بإضافة إلى عامل آخر الاسترقاق هو حق العقوبات فالسارق مثلا: إذا لم يجد ما يعوض به ما سرقه فإنه يقع عليه الاستعباد، و يباع بقيمة ما سرق [2].

أما عرب الجاهلية فقد اشتهرت الجزيرة العربية بأسواق النخاسة لاسيما يثرب ومكة،حيث أصبحت قريش تسيطر على جزء هام من هذه التجارة،وقد كانت طبقة الرقيق في الجاهلية تؤلف طبقة واسعة محرومة من أبسط الحقوق مثقلة بالواجبات مأمورين بأحقر الأعمال يتصرف بهم كسائر الأمتعة و البضائع، إذ كانت روافد الاسترقاق السبب الذي كان جراء القبائل المتصارعة فيما بينها إلى جانب العجز عن إبقاء الدين ،فيؤخذ ما يملك إلى أن لا تبقى إلا نفسه تسترق بالإضافة إلى أبناء الجواري لا يُعترف بنسبهم ويلحقون بأمهاتهم عبيدا[3].

4- مكانة الرقيق ودوره في الحياة العامة بالمجتمع الغربي وأهمية المتاجرة به:

رأى بعض الباحثين أن صاحب المتاجرة بالرقيق كان يجمع ثروة طائلة من ورائها،بدليل أنها كانت تحتل المرتبة الثانية بعد الذهب،فيما كان يجلب من بلاد السودان الغربي ،والمرتبة الأولى فيما كان يجلب من بلاد السودان الأوسط ،كما كانت تجارة الرقيق الأبيض مصدر ثراء لليهود الذين

[1]- سورة يوسف ،الآية :19-20

[2]- احمد شبلي ،مقارنة الأديان المسيحية ،ط2،مكتبة النهضة المصرية ، 1965 , ص:43.

[3]- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ،1989 ،ص:437.

يسيطرون عليها طيلة القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) و كونوا شبكة توزيع لها عبر العالم القديم ،غير أن القائمين بها كانوا يتعرضون لمخاطر جمة أثناء قطع طرق الصحراء ،كالمرض وارتفاع نسبة الوفيات بين الرقيق، وإباق بعضهم لدرجة الاعتقاد بأن نصف عدد العبيد كان يضيع في الطريق ،وجاء في رواية لأبي محمد عبد الله بن محمد السدراتي (عاش في القرن 5هـ_11م)أن خاله أبا محمد سافر إلى القبلة فجعل تجارته صامتا (أي ذهبا)،واشترى جملا لركوبه ومعه رجل حضري "جعل تجارته رقيقا"،فقفلوا إلى أهليهم فكان أبو محمد لا تعب عليه ولا نصب ،إذا ارتحل الناس ،ركب جمله ،وإذا نزل الناس ضرب خيمته يستريح،وكان الحضري يتعب وينصب للخيم والرقيق هزلت هذه ومرضت هذه ، وأبو محمد جالس في الظل وماله صرة في صرة[1].

وتعود أهمية مهنة النخاسة في المدن الإسلامية كونها تساهم في تزويد المجتمع بما يحتاجه من طاقة محركة في جميع النشاطات من العمل في المنازل إلى العمل في مختلف دواليب السلطة من إدارة وجيش مرورا بالزراعة والحرف والتنقل إلى غير ذلك[2].

واستطاع النخاسون الذين جمعوا ثروات طائلة أن يحضوا منزلة اجتماعية مرموقة بحيث سمحت لهم مهنتهم بالولوج إلى بلاطات الأمراء والخلفاء ،والتعامل معهم و تزويدهم بنفيس ما يصلون إليه من جواري وغلمان،ويستنجدون بهم لقضاء حوائجهم،وغالبا ما يجدون منهم العون المطلوب ،وقد أدى ثرائهم وترددهم على أولي الرأي إلى تزلف العامة لهم[3].

وقبل الحديث عن مصادر الرقيق وما هي أصنافهم وكيفية استغلالهم لابد من إبراز وضعيتهم الاجتماعية لاسيما فيما يتعلق بحياتهم الشخصية من سكن و لباس وغذاء .

---

[1].بشاري لطيفة، المرجع السابق ،ص 265- 266.

[2]-كمال السيد أبو مصطفى ،جوانب من الحياة الاجتماعية والإقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب،مركز الإسكندرية للكتاب،1996،د"،ص:36.

[3].بشاري لطيفة، المرجع نفسه،ص 266

وعلى حسب ما ذكره الباحث طه جمال أن حياة الرقيق كانت صعبة جدا وسيئة غذائيا،إذ كانوا يعملون دون هوادة ،وستغلو استغلالا فضيعاً، حيث سخروا في الأعمال الشاقة إلى جانب الأعمال المنزلية،إذ ما يكادون أن ينتهوا من عمل حتى يجدوا عملا آخرا في انتظارهم[1]

بالإضافة للأمور الشخصية،لم يكن لهم الحق في التصرف فيها إلا بإذن أسيادهم،حيث تمدنا المصادر الفقهية بالعلاقة بين العبد وسيده التي كانت فيها سلطة الأسياد سلطة مطلقة على عبيدهم،وإذْ كانوا يقومون بتزويج عبيدهم ويلزمونهم بشروط عقد نكاحهم واختلفت تلك العقود من عبد للآخر،حيث كان الأسياد يدفعون مبلغ صداق عبيدهم،وفي حالة عدم قيام السيد بدفع الصداق يدفعه العبد بعد استئذان سيده،ووصلت سلطة الأسياد على عبيدهم إلى امتلاك كل صلاحيات عبيدهم أو إيمائهم، ذلك أنه لا يسمح لأحد العبيد بنكاح أمة لأن العبد لا يتصرف بعقد نكاح نفسه فلا يجوز إقدامه على انكاح غيره[2]

وقد استمرت الروح الاستعلائية التي دعت إلى عدم مخالطة العبيد ومجالستهم وأمثلة دلت على ذلك،ففي العصر المرابطي حذر قاضي المرابطين مراد الحضرمي[3] من مجالسة الأمراء للخدم والعبيد يقول:"أن الخدم لا يكون نديما وأن العبد لا يكون للحر قرينا"[4]،وقد نظر إلى العبيد الأسود بعين الازدراء والسخرية والاستهتار،وتعدى بعض الشعراء إلى التعبير عن حقدهم للعبيد الأسود منهم أمية بن عبد العزيز أبي الصلت قائلا:

وَرَبُ بَيْتِ حُمَيْتُ غَيْظَاً مِنْ أُسُودٍ اَلْلَوْن كَالْخَبِيْـــــثِ

[1]- جمال أحمد طه،مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين 448ه/1056م إلى668ه/1269م دراسة سياسية وحضارية،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الإسكندرية ،دط،دت،ص:162.

[2].ابراهيم القادري بوتشيش ،الإسلام السري في المغرب العربي ،ط1،سينا للنشر،مصر ،1995،ص238.

[3]- أبي بكر محمد بن حسن المرادي الحضرمي ،كان قاضيا في العهد المرابطي ،توفي سنة 489ه/1096م ،ينظر ،الإشارة في تدبير الإمارة ،تر ،احمد طريق الزبيري ، دار الكتاب العلمية ،صيدا ،بيروت ،ص10.

[4]- مراد الحضرمي،الإشارة في تدبير الإمارة،المصدر السابق،ص:12.

بعض الأمثلة التاريخية حول نظرة السخرية و ذلك ما حدث بين ولاّدة بنت المُسْتكْفي[1] وابن زيدون[2] لما اتخذّ جارية سوداء و هذا ما ذكره أحمد المقري قوله:"ومن أشهر هن بالأندلس ولاَّدَة بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن ابن عبيد الله بن الناصر لدين الله،وكانت واحدة زمانها ،والمشار إليها في أوانها ،حسنة المحاضرة،مشكورة المذاكرة،كتبت بالذهب على طرازها الأيمن :

أَنَا وَاَللهِ أَصْلَحُ لِلْمُعَـــــالِي وَأَمِشِيْ مِشْيَتِي وَأَتِيْهِ تِيْهَـــــــا

وكتبت على الطراز الأيسر:

وَأَمْكِنُ عَاشِقِيْ مِنْ صَحْنِ خَدِيْ وَأُعْطِيْ قَلْبِيْ مَنْ يَشْتَهِيْهَـــــــا

وكانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعفاف،وفيها خلع ابن زيدون عذاره وقال فيها القصائد الطنانة ،وكانت لها جارية سوداء بديعة المعنى يقال لها عتبة،فظهر لولاَّدة أن ابن زيدون مال إليها، فكتبت فيه:

لَوْ كُنْتَ تُنْصِفُ فِيْ اَلْهَوَى مَا بَيْنَنَا لَمْ تَهْوَ جَارَتِي وَلَمْ تَتَخَيـــــــرْ

وَتَرَكْتُ غُصْنًا مُثْمَرًا بِجَمَالِـــــهِ وَجَنَحْتُ لِلْغُصْنِ اَلْذِيْ لَمْ يَثْمُرْ

[1]- ولادة بنت المستكفي (توفيت 484ه)،أميرة أندلسية وشاعرة عربية من بيت الخلافة الأموية في الأندلس ،ابنة الخليفة المستكفي بالله ،اشتهرت بالفصاحة والشعر ،اشتهرت بقصة حب بينها وبين ابن زيدون لكن هذه القصة لم تدم طويلا لأسباب كثيرة،ينظر:ابن بسام ،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ج1،المصدر السابق،ص:432.

[2]- هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب ابن زيدون(394ه- 1003م/463ه-1073م)،وزير وكاتب وشاعر أندلسي،عرف بحبه لولادة بنت المستكفي،ينظر:فوزي عيسى ،الرسالة الأدبية في النثر الأندلسي،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،دط،2009،ص:62.

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَنِيْ بَدْرُ اَلْسَمَـــاْ لَكِنْ وَلَعْتُ ،لِشَقْوَتِي،بِاْلْمُشْتَـرِيْ[1]

لعل من أكثر ما يبرز وضعيتهم الاجتماعية حرمانهم من تلقيب أنفسهم بأسماء الأشخاص الأحرار ،وكان يختار لهم اسم من الأسماء الملائمة للرقيق ،و كانوا محرومين من نسبهم، إذ لا يمكن لاسمه أن يسبق اسم أبيه أو أجداده و أسلافه، ولم نقف على إشارة في المصادر إلى اسم عبد أو أمة مسبوق بابن أو بنت، أو أبو ،أو أم إلا في حالات نادرة بالنسبة للعبيد ،وتكاد منعدمة بالنسبة للإماء خارج البلاط أو مجالس الترفيه ،لكن هناك إشارة إلى جارية رومية، في العصر الموحدي، هي أم الخليفة يوسف بن محمد الناصر"اسمها قمر،تلقب حكيمة"، ويبدو أن لا علاقة لذلك بنسب ما، وإنَّما يرتبط بمكانتها كأم ولد ،أو دورها في البلاط الموحدي[2].

والخلاصة أن اسم الرقيق ورغم أهميته سواء بالنسبة للعامة أو الخاصة، يقدم فكرة عن رغبة السادة في تجريد رقيقهم من أسمائهم، التي قد تبقى إلى جانب لون بشرتهم، مؤشرا كبيراً على انتمائهم الجنسية، وربما ساهمت هذه الرغبة، في قطع كل صلة له بأصوله وجذوره.

كما كان الأسياد يحرسون على عدم مخالطتهم والابتعاد عنهم ،وهذه من روح الاستعلاء والاحتقار وضروب المهانة التي عملت بها هذه الفئة ،وكانت أمثلة العامة [3]، تنصح بأن الأفضل عدم مخالطتهم ،وأيضا الشعراء[4] الذين كانوا يصبون جما غضبهم عليهم و هذا الأمر جعل الناس جاهلون لحقيقة مرارة العيش التي كان يتكبدها العبيد وعدم معرفة أحوالهم .

---

[1]- أحمد بن محمد المقري التلمساني،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،تح،احسان عباس،مج4،دار صادر،بيروت ،لبنان ،1968.ص:205.

[2]- ابن القطان المراكشي،نظمالجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان،تح:محمود على مكي،دارالغرب الإسلامي،دت،ط2،ص:196_198.

[3]- تقول العامة في نتائج مخالطة العبيد:من خالط الخدم ندم،ينظر:الزجالي القرطبي(ت694هـ/1295م)،أمثال العوام في الأندلس،تح،محمد بن شريفة ،منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي،دت،دط.ص:220.

[4]- يقول أحد الشعراء في ذلك: يا حسبنا الله قلي خادم سوء أي هروبك أخرج ...للضو

ومن المكانة الوضيعة للعبيد ننتقل للمكانة الرفيعة لهم لا سيّما في تسيير الشؤون المالية، ففي عهد الفاطميين ،تجلى دورهم في تسيير دواليب الحكم، حيث أنشأ عبيد الله بيت المال، وأقام له ديواناً وعين على رأسه جوذر الصقلبي وعلى إدارته نصير الصقلبي، الذي لقب بالخازن، ثم في عهد الخليفة القائم بأمر الله الذي صرف إليه النظر في بيت المال، وخزائن البر والكساء، وتعد هذه الوظيفة سامية في الدولة الفاطمية ،لأنها تسمح لمن يقوم بها، إذا كان مخلصا و كفأً ،أن يتبوأ مرتبة هامة في جهاز الدولة [1].

أما في المجال الثقافي والغناء، لمع نجم زرياب[2]، بمدينة القيروان ،سنة 250هـ/820م، بعدما غادر مدينة بغداد إثر خلاف دب بينه وبين مولاه ،إسحاق الموصلي[3]،فاحتفى الأمير زيادة الله الأول (201_223هـ/817_838م)به ،وكرمه ،فقضي في البلاط الأغلبي حوالي سنة،وساهم خلالها في تطوير الموسيقى،وعلم الجواري الغناء ،و العزف على العود ،ورفع مستوى الذوق الفني الذي اشتهر به ،لكنه ما لبث أن تعرض لغضب الأمير ،الذي حكم عليه بالجلد ،ونفاه من البلاد ،فعبر البحر إلى قرطبة ،وأثر هناك على الحياة الفنية والاجتماعية بالأندلس[4].

المبحث الثاني :مصادر الرقيق و أنواعه.

1- مصادر الرقيق:

سخط الله على بني قوقـــو ولعنهم وابل قنو بنـــار

ينظر الزجالي،المصدر نفسه ص:220.

[1]- أبي علي منصور العزيزي الجوذري،سيرة الأستاذ جوذر، المصدر السابق ،ص:20.

[2]-هو أبو الحسن علي بن رافع ،لقب بزرياب لسواد لون بشرته،وفصاحة لسانه،وحلاوة شمائله،تشبيها له بالشحرور،وهو طائرأسود الريش،ينظر:المقري،نفح الطيب،مج3،ص:122

[3]- كان زرياب تلميذ اسحاق الموصلي،ولما استمع هارون الرشيد إليه ،أعجب بإبداعه الموسيقى في الأداء وفي العزف على العود الذي طوره بنفسه ،وبشخصيته القوية،وأبدى رغبته في الإستماع إليه ،فأثار ذلك غيرة وحسد الذي أجبر تلميذه على مغادرة بغداد للنجاة بحياته ،فالتحق بإفريقية ،وبعد سنة غادرها إلى الأندلس،ينظر:المقري،نفح الطيب،مج3،ص:124-132.

[4]- المقري،نفح الطيب،المصدر نفسه،ص:127.

السبي لغة:

السِّبَاءُ ،وَتَسَابَى القوم إذ سبى بعضهم بعضاً ،فالسبي النهب ،وأخذ الناس إماء وعبيدا [1]،والمرأة المنهوبة تسمى سبِيَّة وجمعها سبَّايا[2] وفي الاصطلاح متعلق بالنساء والأطفال المأسورين في حرب شرعية فيسترق أطفال المأسورين ونساؤهم بسبيهم لبيت المال وأربعة أخماس للغانمين.

في بداية عملية الفتح للمغرب، كان من الطبيعي أن يكون هناك وفرة في السبي، نظرا للخصوصية العسكرية لهذه المرحلة، في هذا الشأن يورد ابن عذارى نصاً يتحدث عن السبي في عهد عبد الله بن أبي سرح والي مصر أيام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه فيقول :" يبعث المسلمين في جرائد الخيل، يغيرون على أطراف إفريقية، فيصيبون كثيرا من الأنفس والأموال"[3] وقد أنتصر أبن أبي سرح على جرجير صاحب سبيطلة فسبى النساء والأطفال ومنهم ابنة جرجير، فكان عدد السبي كبيرا مما لا يحيط به الوصف.

وفي سنة خمس وأربعين للهجرة بعث معاوية بن حديج إلى جلولاء فقاتلوا الروم المتحصنين بها وهزموهم،ثم دخلوا المدينة فأصابوا فيها سبيا كثيرا، وفي السنة الخمسين للهجرة[4] يولى عقبة ثانية ليفتتح باغاية وقرطا جنة ويسبي منهم خلقا كثيرا[5] .

كذلك أصاب من السوس الأقصى فقتل وسبى الكثير من النساء لم ير مثلهن في الحسن حتى بيعت الواحدة في المشرق بألف دينار، وبعد عقبة تولى حسان بن النعمان، الذي فرض حصارا كبيرا على قرطا جنة، بعد عودة الروم إليها فقتل منهم قتلا ذريعا وسباهم، وقد بلغ عدد سبيهم خمسة وثلاثين

---

[1]- ابن منظور ،لسان العرب.ج 14 ، ص30 .

[2] _ أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة،تح،رشيد عبد الرحمان العبيدي،دار إحياء التراث العربي،بيروت ،لبنان،دط،ت،ص332.

3- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار المغرب، تح ،بشار عواد معروف ط1 دار صادر ج2013،1434،1،ص: 36 .

4- ابن عبد الحكم،فتوح إفريقية و الأندلس،تح،،عبد الله أنيس الطباع،دار الكتاب اللبناني،ط1987،1 ص23

5- المالكي ،رياض النفوس ،تح، بشير البكوش ،دار الغرب الإسلامي،دط دس ج 1 ،ص23.

ألف رأس [1]، مما لم يدخل المشرق مثله من السبي ،فيهم وصفاء و وصائف[2] حيث دخل حسان بن النعمان إلى عبد العزيز بن مروان بمائتي جارية ،منهم بنات ملوك الروم إلا أن هذا الأخير لم يرض فسلبه جميع ما جلب، إلا أن حسان كان أخفى جوهرا وذهبا، وفضة قرب الماء،عندما وصل إليه أنه سيعزل عن ولاية إفريقية[3] ليعوض بموسى بن النصير الذي أشتهر سبيه فبلغ عددا مهولا حيث قام بن النصير بدراسات للمنطقة ،وإجزال الأعطيات للجند [4]،فبدأ بقلعة تقع في جبل زغوان فقاتلهم وسبى منهم عشرة آلاف، ثم واصل مهاجمة القبائل البربرية زناته، هوارة وكتامة فكان يقتل ويصيب منهم سبيا، وبعدها باغت صنهاجة فقاتلهم ووصل عدد سبيه مائة ألف رأس [5] ثم لاحق من فر من القبائل البربرية إلى أقصى المناطق الغربية، بعد أن قطع نهر الملوية فحارب رجال أوربة ، وبعد ثلاثة أيام أنتصر عليهم ، وبلغ سبيه فيهم مائتي ألف رأس منهم بنات ملوك البربر.لتستقيم له الأمور وتدين له البلاد كلها، ولم يستطيع أحد أن يجمع كلمة البربر،في هذه الفترة غيره ،وتوالت غزوات أبن النصير وسراياه،حتى بعث مولاه طارق بن زياد وافتتح الأندلس، وعاد محملا بالسبي والغنائم[6] .

وفي القرن الثاني للهجرة الثامن ميلادي ،أسند الخليفة هشام بن عبد الملك (105_125هـ/724_743م)،ولاية إفريقية لعبيد الله بن الحبحاب، مولى بني سلول بن قيس، وأمره بالمسير إليها ،فدخلها سنة ست عشر ومائة للهجرة،(734_735م)،واهتم هو الآخر بجمع الغنائم خاصة السبي،ومن أجل ذلك ركز نشاطه على غزو القبائل البربرية ،التي لم تعتنق الإسلام بعد،وسكان جزر بحر الروم (الأبيض المتوسط)،فجهز جيشا وضع على رأسه ،حبيبا بن أبي

1- ابن عذاري، البيان المغرب،ج1 ،ص:37.

2- الرقيق القيرواني ،.تاريخ إفريقية والمغرب،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990 .ص:71.

3- ابن عذاري،المصدر سابق،ج 1 ص39

4- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة،منشورات علي بيضون،دار الكتب العلمية،.بيروت، لبنان،ج 2 ص:229

5- مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار، تح سعد زغلول ،دار النشر العربية، الاسكندرية1985 ،ص 194

6- ابن الأثير،الكامل في التاريخ،دار الكتب العلمي،.بيروت ط3،مج1998،4ص: 252

عبيدة،حفيد عقبة بن نافع الذي توجه نحو الغرب ،يغزو القبائل الواحدة تلو الأخرى،حتى بلغ،السوس الأقصى ،فأصاب من الغنائم والسبي وملئ أهل المغرب منه رعبا،وواصل طريقه إلى "أرض السودان،ولم يقاتله أحد ؛إلا ظهر عليه،وأصاب ما شاء من السّبي"[1]،وقد ذكر ابن الأثير بأنه أصاب جارية أو جاريتين من جنس تسمية البربر "إجان"ليس لكل واحدة منهما غير ثدي واحد"[2]

وكان بعض الخلفاء يستحبون نساء المغرب،فيراسلون ولاتهم بالقيروان ،يطلبون منهم أن يبعثوا لهم الجواري؛ومن ذلك أن الخليفة هشام بن عبد الملك ،كتب إلى واليه عبيد الله بن الحبحاب:"أما بعد ،فإن أمير المؤمنين،لما رأى ما كان يبعث به موسى بن نصير ،إلى عبد الملك،أراد مثله منك،وعندك من الجواري البربريات ،المالئات بالأعين،والآخذات للقلوب،و ماهو معوز لنا بالشام وما ولاها ،فتلطف في الاقتناء ،وتوخ أنيق الجمال،وعظم الأكفال،وسعة الصدور ،ولين الأجساد، ورقة الأنامل، وسبوطه العصب ،وجدالة الأسوق ،وجثود الفروع، ونجالة الأعين،وسهولة الخدود ،وصغر الأفواه ،وحسن الثغور، وشطاط الأجسام ،واعتدال القوام ورخامة الكلام،ومع ذلك ،فاقصد رشدة المولد،وطهارة المنشأ،فإنهن يتخذن أمهات أولاد والسلام"[3].

وتضمن هذا الكتاب إشارة إلى سبي ابن نصير الذي لم يسمع قط بمثله،والذي تجاوزت أعداده من سبقه،ومن لحقبه،وقد حث الخليفة عامله ابن الحبحاب على الإقتداء به،فاعتمد على ابنه إسماعيل و عقبة بن نافع ،وحبيب بن أبي عبيدة،وحصل جميعهم على أعداد كبيرة من السبي[4].

وقد حاول ابن الحبحاب تلبية طلب الخليفة ،لكن الحصول على جوار تتوفر فيهن الشروط والمواصفات التي نصت عليها الرسالة ،يتطلب حشد عدد كبير من السبايا ،ثم انتقاء اللائي تنطبق

[1]– الرقيق القيرواني،المصدر السابق،ص:74.

[2]– ابن الأثير،المصدر السابق،ص:404.

[3]–ابن عذارى،المصدر السابق،ج1،ص:51.

[4]- ابن عذارى،نفسه،ج1،ص :53.

عليهن ،فتكلف لهم وكلفوه أكثر مما كان فاضطر إلى التعسف وسوء السيرة[1]،ونفذ سياسة عدم مصالحة القبائل بواسطة عامليه عمر بن عبد الله المرادي ،وحبيب بن أبي عبيدة ،ما جعل البربر تثور إزاء التعدي الواضح والذي تمثل في أخذ كل جميلة من بناتهم ،مع أنهم عصموا رقابهم من الأسر والسبي بإسلامهم ،فنتج عن هذا ثورات أولها ثورة ميسرة المدغري الذي قتل عامل طنجة ،ثم توالت الهزائم على جيوش الخلافة إلى أن قضى عليهم حنظلة بن صفوان الكلبي[2].

ولما تولي أبو جعفر المنصور الخلافة العباسية ببغداد ،أرسل إليه عبد الرحمان هدية وكتابا جاء فيه :"أن إفريقية اليوم إسلامية كلها ،وقد انقطع السبي منها ".

أما الفاطميون فقد قتلوا وسبوا منهم الكثير[3]،وتعددت الحملات الفاطمية في القرن الرابع الهجري،حيث تمكنت سرية أرسلها أحمد بن قرهب في سنة 300 هـ ،وهو والي صقلية لعبيد الله المهدي من سبي عدد من الروم ومنها حملة يعقوب بن إسحاق الذي أرسله الخليفة الفاطمي سنة 322هـ لمدائن الروم فأسر في طريقه مركبا لبعض التجار [4] توالت الغزوات والهجمات للمسلمين ومنها أسر جيش المعز لدين الله الفاطمي للروم المهاجمين لجزيرة إقريطش[5] ،وحصار القائد الفاطمي أحمد بن حسن الكلبي والي صقلية مدينة رمطة وما خلفته المعركة من سبي.

أما القرن الخامس الهجري شهد المغرب كيانات سياسية متعددة، الزيرية(362هـ543هـ/973-1048م) ،الحمادية(405هـ- 547هـ/1015 -1052م)، المغراوية البرغواطية(125هـ-455/743م-1063م)، قبل قيام دولة المرابطين نظرا للوضع السياسي نشبت معارك بين مختلف هذه الكيانات

[1]– ابن عذارى،المصدر السابق،ج1،ص:52.

[2]- ابن الأثير،المصدر السابق،مج4،ص:417.

[3]- القاضي النعمان، رسالة افتتاح الدعوة ،تح ،فرحات الدرشاوي ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،ط2،ص: 204.

[4]- ابن الأثير.الكامل، المصدر السابق،مج 4 ص: 107.

[5]- ابن خلدون ، العبر ،المصدر السابق، ص:450.

ومنها مواجهة بين العرب الهلالية وبربر صنهاجة وما نجم عنها من استرقاق بعضهم لبعض[1] ، كذلك كانت دولة برغواطة وجهة مفضلة للأمير اليفرني أبي الكمال تميم الذي قال عنه ابن أبي زرع:"كان مولعا بجهاد برغواطة ،يغزوهم كل سنة مرتين فيقتل منهم ويسبي"،فكانت كل فرقة تعتبر أعداءها مارقين عن الدين مما يخول لها قتلهم وسبيهم فالمرابطون أيضا قاموا بقتال برغواطة وسبيهم ،كما فعل الأمير المرابطي أبوبكر اللمتوني حسبما يؤكده نص لابن أبي زرع":حتى فروا بين يديه وهو في أثرهم يقتل ويسبي حتى أتخن فيهم[2] .

السبي في الأندلس :

رغم أنه ليس هناك معلومات وافية عن السبي إلا أنه هناك إشارات واضحة تدل عليه، حيث أن طريف بن مالك في حملته الأولى عاد من الجزيرة الخضراء محملا بسبي، ومغانم كثيرة. [3]

وكذلك الشأن مع طارق بن زياد عندما فتح الله عليه قرطبة عاد بعشرة ألاف رأس من الرقيق. وفي الأندلس الأموية بلغ سبي في حملة قادها أحمد بن يعلى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة للهجرة ألف سبية من جليقية[4] وعاد المنصور بن أبي عامر(366هـ-392هـ/976-1002م) من حملة ضد إسبانيا النصرانية بخمسة ألاف وخمسمائة وسبعين رأسا[5]، حتى أنه صار يطلق عليه الجلاب لكثرة ما كان يجلب من الرقيق،وقد قيل مات الجلاب أيام عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر عندما عاد منتصرا

[1]- عبد الإله بن لمليح.الرق في المغرب والأندلس، المرجع السابق،ص: 132.

[2]- ابن أبي زرع الفاسي ،الأنيس المطرب ،المصدر السابق،ص:110.

[3]- ابن عذاري،البيان المغرب ج 1، ص:145 .

[4]- الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية.ص:43 .

[5]-ابن بسام الشنتريني،المصدر السابق،ص:156.

من غزوة بن بلونة ولم يسبي الكثير " مما يدل على إن المسلمين في الأندلس كانوا ألفوا السبي ووفرته فلم يقبلوا بعدد لا يضاهى الأعداد التي ألفوها[1].

كانت الجبهة الخارجية هي المصدر الأساسي للاسترقاق في القرن الرابع الهجري،لكن بسقوط الدولة العامرية وتفكك الأندلس إلى دويلات متصارعة فيما بينها غاب صوت الجهاد وعوضته حملات الغزو المسيحي وتقدم لنا رواية ابن عذاري نموذجا عن السبي المسيحي[2] لفعل لهذا الهجوم قام المقتدرين هود صاحب سرقسطة بالهجوم على الروم وقتل وسبا منهم الكثير.

ونضيف إلى هذه الغزوة حملات مجاهد العامري تجاه سردانية فغنم وسبا[3] لكن هذا لا ينفي استرقاق المغلوبين من المسلمين أنفسهم فالفتنة التي عرفتها مدينة قرطبة والتي أدت إلى نهب ديار البربر وسبي نسائهم عقب انهيار الخلافة الأموية بالأندلس خير دليل على استرقاق المغلوبين ولو كانوا مسلمين بإطلال عصر المرابطين بالأندلس عملوا على حماية الثغور،وإرسال حملات عسكرية إلى إسبانيا المسيحية مع ما رافق ذلك من سبي وأسر، ولعل معركة الزلاقة أو معركة سهل الزلاقة كانت في يوم الجمعة 12رجب 479هـ /23 أكتوبر 1086م ،تعتبر أول معركة كبيرة شهدتها شبه الجزيرة الإيبيرية في العصور الوسطى وإحدى أبرز المعارك الكبرى في تاريخ الإسلامي ،إستطاع فيها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين قائد المرابطين يسانده جيش أندلسي بقيادة المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية إلحاق هزيمة كبيرة بجيش قشتالي مسيحي بقيادة ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون ،وقعت المعركة بعد تردي أحوال الأندلس ،والتي أدت لخضوع ملوك الطوائف لسلطة ألفونسو السادس ودفع الجزية له ،وانتهت هذه الحالة بسقوط طليطلة في يد ألفونسو وجيشه

[1]- ابن عذاري. المصدر السابق.ج. 2 ص:141.

[2]- ابن عذارى ،المصدر نفسه ،ص: 143.

[3]- ابن الخطيب،الإحاطة في أخبار غرناطة ،ط1،مطبعة الموسوعات ،ص: 117.

عام 479هـ/1086م [1]، كانت رافدا هاما لأعداد الأسرى الأسبان الذين وصلوا إلى المغرب[2]وعم أن الوسيلة الأولى للتخلص من الأسرى كانت قتلهم إلا أن المرابطين عملوا على الاحتفاظ بالأسرى وحسن معاملتهم من أجل افتدائهم[3].

يعد المصدر الأول للاسترقاق بالمغرب والأندلس، السبي بأنواعه سواء كان جزية،أم نفلا[4]،أو رقيق الخمس[5]، أو رقيق المنهزمين ويرى الباحث عبد الإله بلميح إضافة بعض المصادر الأخرى كاللقيط ،نظرا لاختلاف الفقهاء في حريته من عدمها ،كذلك كتب النوازل الفقهية على حالات للخطف ،حيث بيعت حرة نفزاوية على أنها جارية إضافة إلى الإهداء ،فقد يهدي ملك مسيحيا أبنته فيعدها البعض جارية [6] وفرة السبي هذه كانت سببا غير مباشر في انتعاش منبع آخر للرق إنه رقيق الشراء، فتنوعت أصول الرقيق ،وفما يأتي ببان لهذه الأصول والأصناف.

2- أصناف الرقيق:

السودان:

اسم أطلق على من كان يؤتى بهم من بلاد الحبشة، النوبة، الزغاوة[7]، يقول عنهم إبن خلدون"إنما تذعن في الغالب أمم السودان لنقص الإنسانية لديهم"[8]، وهذا دليل على كثرة تواجدهم في الغرب

---

[1]- شوقي أبو خليل ،الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين ،دار الفكر المعاصر ،بيروت ،ص26.

2- ابن عذاري.المصدر السابق ص:132.

3- بن لمليح ،الرق في المغرب والأندلس، المرجع السابق ،ص155.

[4]- يعد النفل من مصادر الاسترقاق،إذ يتحول الأشخاص الذين يقدمون نفلا إلى رقيق ،والنفل لغة من نفل نفلا،وأنفل ،ونفله(بتخفيف الوسط)،ويقال نفلته أي أعطيته نفلا ،والنافلة:الغنيمة والهبة.ينظر:الرقيق القيرواني،المصدر السابق،ص108.

[5]- الخمس من مصادر الرق ببلاد المغرب و هو لغة واحد من خمسة أجزاء ،وجمعه أخماس ،ويقال خمست مال فلان ،و الخمس اصطلاحا هو اسم الجزء الذي يأخذه أمير الجيش من الغنيمة قبل قسمتها ،ويجب في كل مال ،حصل عليه المسلمون بسبب الغزو ،ابن منظور ،المصدر السابق ،مج8 ، مادة الخمس ،ص903.

6- عبد الاله بن لمليح ،المرجع السابق،ص: 173.

7- ابن النديم ، الفهرست، دار المعرفة ، بيروت ،لبنان ،1997ص: 98.

8- ابن خلدون المصدر السابق.ص:157 .

الإسلامي، حيث أن طارق استخدم أحدهم للجوسسة على الأعداء، أثناء فتح الأندلس[1] ليصبح استعمالهم شائعا فقد استخدمهم الأغالبة و الفاطميون.،حيث اتخذ الخليفة عبيد الله المهدي كما تشير المصادر التاريخية أثني عشر ألف مملوك بين رومي وحبشي [2] "وإن اقتصرت أدوار العبيد السود في البلاط الفاطمي على حراسة القصور ومرافقة الأمراء في المواكب أو استخدامهم في تعذيب المخالفين، ونورد في هذا الشأن نصا يشير إلى تعذيب جعفر بن خيرون "وطلع السودان على السرير فقفزوا عليه حتى مات إلا أنه برز فيه صندل زهير الفتَّ [3] الذي قاد فرقة العبيد ضد تمرد كتامة. ونظرا لقدرة العبيد السود على الصبر والتحمل استكثر منهم الخلفاء و الأمراء في المغرب . ولم يختلف الأمر في الأندلس فقد زاد كلف أبو القاسم الحمودي صاحب مالقة بهم [4] إلى أن نصبهم قادة على أعماله ،كما شكلوا فرقة خاصة في جيش زهير الفتَّ ولا عجب في تواجدهم في البلاط المرابطي نظرا للعلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي، وباعتبار دولة المرابطين دولة حرب وجهاد لذلك استقدم الأمير يوسف بن علي عددا منهم يقدر بألفين فارس[5] كان للعبيد السودان دور بارز في معركة الزلاقة الشهيرة حيث فاق عددهم الأربعة آلاف فارس 130 ،وهذا نص للمقري يبدي مدى بسالتهم" ولم تزل الكرات بينهم تتوالى إلى أن أمر أمير المسلمين حشمه السودان ،فترجل منهم أربعة آلاف ودخلوا المعترك بدرق اللمط ،وسيوف الهند، ومزاريق الزان فطعنوا الخيل فرمحت بفرسانها ،وأحجمت عن أقرانها وتلاحق الأذفونش بأسود نفذت مزاريقه ،فأهوى ليضربه بالسيف،فلصق به الأسود ،وقبض على عنانه،وانتفض خنجرا كان متمنطقا به،فأثبته في فخذه،فهتك حلق ذرعه،ونفذ من فخذه مع لداد سرجه وكان وقت الزوال وهبت ريح النصر "لم

1- راغب السرجاني ،كتاب قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط ، مؤسسة إقرا للنشر و التوزيع ،ط1 ،1432هـ/ 2011 ص 78.

2- المالكي، رياض النفوس،ج1 ، المصدر السابق.ص:63 .

3- محمد بن محمد اليماني، سيرة جعفر الحاجب ،تح ،حسام خضور ،دط ،دار الغدير ،سوريا ص:122 .

4- ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،المصدر السابق،ص:110

5- بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، ط 1 ، 1998 م ،ص: 119.

يقتصر استخدام المرابطين للسودان كطاقة حربية فحسب،بل استخدموا في مختلف المجالات،كحراسة القوافل التجارية وإدلاء لها ،لم يتم الاقتصار على استخدام الذكران من العبيد السود ،فقد اشتهرت الجواري السودانيات خاصة جواري أودغست مع اختلاف الباحثين حول أصولهن إن كن مغربيات سكن الأكتاف،ضيقة الفروج،المستمتع بإحداهن كأنه يتمتع ببكر أبدا[1] ويبدوا أن هذا الصنف من الجواري كان يتخذ للمتعة،لكن اشتهرت الجواري السودانيات بحسن التدبير المنزلي ،والتفنن في صناعة الحلويات كالجوزيات و القطايف وغيرها حتى بيعت الواحدة منهن بمائة مثقال أو أكثر.

الصقالبة:

اسم أطلقه العرب، على سكان بلاد الخزر [2] بين القسطنطينية والبلغار وهم من أبناء يافث[3] وكلمة صقلبي قديم ومعناه عبد أو رقيق[4]، وقد استعملت هذه الكلمة في الأندلس إلى أن عممت ،وصارت تطلق على جميع الأرقاء من الأمة المسيحية، و أول من استخدمهم في الأندلس هو الحكم الربضي حتى بلغو أكثر من خمسة عشر ألفا في قرطبة وحدها[5].

أما وصولهم المغرب فكان في القرن الثاني للهجرة[6] ،دل على ذلك بعض الروايات التاريخية التي تؤكد وجودهم في البلاط ألأغلبي، حيث أن الأمير إبراهيم بن الأغلب كان يمتلك عددا منهم، وهناك رواية تاريخية تقص إخفاء زيادة الله الثالث ألف دينار ذهبي في أحزمة ألف صقلبي[7] لا يختلف الشأن بالنسبة للفاطميين إذ كان للعبيد الصقلبي دور أكبر و أخطر حيث جرت العادة على اقتنائهم

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش ، المرجع نفسه، ص: 130 .

[2]- ابن حوقل، المصدر السابق ،ص97 .

[3]- ابن خرداذبه، ابو القاسم عبد الله، المتوفى في حدود 300 هـ/ 912م" المسالك والممالك ،تح ،حما الله ولد سالم ، دار الكتب العلمية ، دط ،ص:112.

[4]- العبادي أحمد مختار، الصقالبة في الأندلس، المعهد المصري للدراسات الإسلامية .مدريد 1953 .ص81.

[5]- عبد الإله بن لمبيح.الرق في المغرب والأندلس، المرجع السابق.ص:217 .

[6]- القلقشندي.صبح الأعشى في صناعة الإنشا.المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة.القاهرة.ج. 5 ص:420 .

[7]- القاضي النعمان، المصدر السابق، ص:207 .

والاعتناء بهم منذ الصغر لينشأوا على الطاعة والوفاء، مما أهلهم لتولي مناصب هامة في الدولة والجيش فبرز منهم قادة كقيصر ومظفر الذين انفردا بالحكم، والنفوذ في المناطق المسندة إليهما سنة 349 للهجرة 138 وأما عن مصدر هذا الرقيق فكانت التجارة المصدر الرئيسي لجلبه ناهيك عن هدايا الأمراء والملوك، ومنهم باديس بن المنصور الزيري (374- 406هـ)الذي أرسل إلى الخليفة الحاكم الفاطمي بمصر هدية ومنها " :عشرون وصيفة بارعة الجمال وعشرة من الصقالبة [1] وفي ذلك دلالة على أن البلاط الزيري لم يخل هو أيضا من تواجد الصقالبة مع إطلال عصر المرابطين تغيرت المعطيات السياسية وبالتالي تغير مصدر الرقيق ، لذلك نجد كلمة الصقالبة تبدل بالعلوج، الحشم، الروم، أو الفتيان [2] إلا أن هذا لا ينفي وجودهم بالبلاط المرابطي فابن عذاري يقول عن يوسف بن تاشفين ": وبعث إلى الأندلس فابتيع له جملة من الأعلاج " ليتم استعمالهم في الحرس الخاص للأمير يوسف بن تاشفين .ويقصد بهم غالبا الرقيق الذين لم ترد بشأنهم إشارة صريحة حول أصولهم خاصة في العهد المرابطي[3] .

وأما الرقيق الجليقي فكان مرتبطا بالحدود السياسية للأندلس والصراع الدائم مع الجلالقة، ومصدر الرقيق الإفرنجي فمن فاسكونية، واثبت المصادر التاريخية وجوده بالمغرب والأندلس[4] .

أما الرقيق البربري، فتمثل في بداية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب مصدرا هاما للتزود من الرقيق البربري خصوصا الجواري البربريات اللواتي تميزن بحسنهن وجمالهن،فأبهرن المشارقة، فألحوا على طلبهن للإنجاب واتخاذهن أمهات أولاد حتى أن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان(26هـ-86هـ/646-705م) قال " :من أراد الباءة فعليه بالبربريات[5] وقد ملك الدنيا بأبناء من بربريتين وهما

1- ابن عذاري،المصدر السابق. ص:261 .

2- إبراهيم القادري بوتشيش.مباحث.ص:78 .

[3]—ابن عذارى،المصدر السابق،ص:113.

[4]- بن المليح. الرق في المغرب و الأندلس.ص:219 _ 218 .

[5]- التجاني، تحفة العروس،ونزهة النفوس، تحقيق أبوهاجر.دار الجليل بيروت.د.ط.ص:159 .

المنصور وعبد الرحمن ورغم هذا فإن البربريات[1] اقتصر دورهن على الإنجاب ولم يكن لهن أي تاثير ثقافي أو سياسي من المشاركة في دفة الحكم أو المشاركة في الحياة الثقافية أو حتى الإسهام في الأعمال الخيرية [2].

الخصيان:

الخصاء عادة مارسها الشعوب قديما، وتثمثل في تجريد الذكر من فحولته، كانت عملية الخصي يقوم بها تجار يهود، وهذا ما يؤكده ابن حوقل الذي زار الأندلس في القرن الرابع الهجري[3] ، والشيء نفسه ذهب إليه آدم ميتز بقوله": وقد احتال المسلمون وللإفلات من حرمة الخصى بأن كانوا يشترون الخصيان تاركين لليهود والنصارى إثم هذا العمل الشنيع"،وكان هذا النوع من الرقيق مفضلا للاستعمال، كخدمة الحريم وتربية الأطفال[4].

ويذكر الشيخ المقدسي كيف كانت تتم هذه العملية ": يمسح القضيب والمزودان في مرة واحدة، أو يشق المزودان فتخرج البيضتان ثم يجعل تحت القضيب خشبة، وجعلوا في منفذ البول مرود رصاص إلى أن يبرؤو كي لا يلتحم [5]" ويذهب بعض الباحثين إلى أن الخصاء لم يقتصر على اليهود، بل مارسه المسلمون ويذكر العذري نصا يصف فيه عملية خصاء عبيد الحبشة[6] " يعاد عليهم بالموسى مرة ثانية، لينفتح مجرى البول لأنه يكون قد استد عند القيح.

قدم لنا الجاحظ بعض خصال الخصيان بقوله " : وأما خصالهم القبيحة فمنها خبث العرق و

---

[1]- السيوطي. تاريخ الخلفاء.تحقيق محمد أبو الفضل.دار الفكر العربي القاهرة 1991 ، السيوطي، ص:. 304

[2]- السيوطي. المستظرف من أخبار الجواري. تعليق أحمد عبد الفتاح.شركة السهاب.الجزائر. 1991 ص:12 1.

[3]- ابن حوقل ،المصدر السابق، ص: 106 .

[4]- متز، ادم" الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، المرجع السابق ،ج 2 ص152 .

[5]- المقدسي،" احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ،المصدر السابق،ص: 71.

[6]- عبد الإله بن لمليح.ظاهرة الرق في الغرب الإسلامي.منشورات الزمن.الرباط.ص:184 .

صنانه ونتن الرائحة، و إذا قطعت خصيته قويت شهوته . وسخنت معدته ولانت جلدته وان جردت شعرته واتسعت فتحته، ثم عن خصيان الصقالبة أكثر غلاء من الأحباش لأن الحبشي إذا خصي سقطت نفسه وأثقلت حركته وذهب نشاطه عكس الصقالبة "[1] .

ويقال أن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك أولمن اتخذ الخصيان ولم يشد المغرب والأندلس عن القاعدة فعجت قصورهم بالخصيان، فقد حشد الحكم الربضي قصوره بالخصيان بل أنه تجاوز الأمر فأصبح يأمر يخصي من اشتهر بالجمال من أبناء رعيته ليدخلهم إلى قصره، عملوا في الحجابة و نافسوا العنصر العربي[2] في المناصب في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (300_350 هـ – 912 /) (961م) ومن المدن التي اشتهرت بتزويد المغرب والأندلس بالرقيق الخصيان، Pechina المدينة المحضية للخصي وأغلب سكانها من اليهود احترفوا مهنة الخصي، ومدينة فردان بفرنسا مدينة وشلو وعنها يقول العمري متحدثا عن تجار الرقيق " :يعرجون إلى وشلو ليخصوهم به.

والجارية أنثى فقدت حريتها ،وسخرت لتلبية أوامر سادتها والجارية في الإسلام، كل امرأة أخذت أسيرة في الحرب شريطة أن تكون غير مسلمة ، ويباح لمالكها أن يعاشرها معاشرة الأزواج ليكون ذلك سبيلا لتحريرها في المستقبل، والجواري ثلاثة أصناف، جواري اللذة أو المتعة، جواري الخدمة، وأمهات الأولاد.[3]

أما جواري اللذة، فهن اللواتي يمتعن أسيدهن وينشرن أجواء البهجة والفرح، وشكلت جواري اللذة عددا كبير من جواري المغرب والأندلس وأما من تجاوزهن سن الشباب فخصصن لخدمة أسيادهن والقيام بالأعمال المنزلية إلا أن المصادر التاريخية لم تتناول أخبارهن إلا ما ورد عارضا كخبر جارية القاضي أبي العباس المرواني التي كانت تنسج في إحدى زوايا البيت، وأما الصنف الثالث فأمهات

[1]- الجاحظ ، كتاب الحيوان، تحقيق فوزي عطوي دار صعب.ط 1968 . 1 ص:69 _ 71 .

[2]- عبد الإله بن لمليح المرجع السابق.ص:88 .

[3]- محمد سعيد الدغلي، الحياة الإجتماعية في الأندلس و أثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي، دار أسامة ، 1404هـ/1984م ،دط، ص:55.

الأولاد، وأصلهن جواري متعة تمكن من الإنجاب من سادتهم وكان ذلك أقصى ما تتمناه أي جارية لأن ذلك لم يكن فقط سبيلا إلى التحرر والإعتاق فقط بل كان موصلا إلى مكانة مرموقة تصل إلى غاية التدخل في شؤون الحكم أو الحكم وهذا سنتطرق إليه في الفصل الأخير فابن حزم يقول في هذا الصدد:"لم يل الخلافة في الصدر الأول من كانت أمه من الإماء سوى يزيد إبراهيم بن الوليد، ولم يل الخلافة في الدولة العباسية من كانت أمه من الحرائر سوى العباس السفاح والمهدي، والأمين ولم يل الخلافة في دولة بني أمية من كانت أمه من الحرائر أصلا[1].

علا شأن الجواري في المغرب والأندلس، فصار منهم الأديبات والكاتبات في قصور الخلفاء ومنهم هشام ابن المؤيد وجاريته نظام الملك التي اتخذها كاتبة لحسن تحبيرها الرسائل حيت أنشأت الرسالة التي جدد فيها المظفر عبد الملك العهد بالحجابة للمنصور بن أبي عامر، وعزاه فيها بأبيه محمد بن أبي عامر سنة 392 للهجرة وقد ذكر عبد الواحد المراكشي خبرا أنه كان بقرطبة 270 امرأة يكتبن المصاحف بالخط الكوفي[2] و يؤكد عبد السلام الترمانيني انه كان للجواري نصيب في النهضة العلمية والأدبية كما أتقن فن الموسيقى والغناء ،بل تعدى دورهن دور الحرائر في البناء الحضاري [3] حيث يقول بن لمليح أن : طبيعة حياة الجواري تتطلب أن يتعلمن فنونا علمية كثيرة مما عرفته الأندلس، أما الجواري المغنيات المشرقيات وحدهن من احترفن فن الموسيقى والغناء كذلك وجد من الجواري الأندلسيات من برعن في مختلف هذه الفنون[4]، ولعل قصر الخليفة الحكم بن هشام" الذي ولي الحكم وله اثنتان وعشرون سنة يكنى أبو العاص أمه أم ولد اسمها زخرف وكان طاغيا مسرفا وله آثار سوء قبيحة وهو الذي أوقع بأهل الربض الوقعة المشهورة فقتلهم وهدم

[1]- عبد إله بن لمليح ،المرجع السابق ،ص 223.

[2]- عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تح، محمد سعيد العريان ،مطبعة الاستقامة ، القاهرة ط1 1426هـ ،ص 183.

[3]- عبد السلام الترمانيني ،المرجع السابق ،ص 56.

[4]- ابن لمليح ، المرجع نفسه ،ص99.

ديارهم ومساجدهم وكان الربض محلة متصلة بقصره فاتهمهم في بعض أمره ففعل بهم ذلك فسمى الحكم الربضي لذلك[1] ، شاهد على امتلاء القصور بالقينات والجواري.

تملكت قلبه مهجة التي شغف بها لحسن صوتها وبراعة تلحينها،ولم تكن وحدها بل عاش في كنفه الكثير من الجواري اللاتي أحسن الغناء كالجاريتين عزيز وفاتن واستمر عشق القينات إلى زمن ملوك الطوائف وعلى رأسهم أمير ألمرية المعتصم بن صمادح ،الذي اشترى قينته غاية المنى بمئة ألف درهم مما أهلها لتكون له الحظوة في قلب سيده [2] ،وأما نزهة الوهبية فقد وصفها ابن الأبار بأنها من عجائب القيان في الأندلس لحسن طبعها،وظرفها وجمال إنشادها الأشعار إضافة إلى معرفتها بالحكايات والأخبار وأيام العرب، كانت غزيرة العلم مما دفع بابن الأبار إلى تشبيهها بقيان المشرق المتقدمات[3] تعدت مصادر الجواري وتنوعت ثقافاتهن، وأصبح الزواج منهن عادة شائعة [4] وحاولت الجواري غرس ثقافتهن في أولادهن باختيار أسماء تتماشى مع أصولهن السابقة وقد حافظ بعض الجواري على دياناتهم السابقة وأسمائهن كثريا وبهار بينما أسلم بعضهن وغيرن أسماءهن كمارية و أورورا اللتان أصبحتا مزن وصبح[5] وخلدت بعض الجواري أسماءهن في التاريخ الإسلامي بأن أطلقن أسماءهن على مساجد ومدن وحتى جزر، ومنهن الجارية شعاع التي سمت مسجدا باسمها، والزهراء[6] التي طلبت من الناصر تسمية مدينته الجديدة باسمها ،وجزيرة أم حكيم التي اشتق اسمها من جارية طارق بن زياد.

---

[1]- المراكشي، المصدر السابق ، ص:92.

[2]- ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، ج 1 ، تحقيق :إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والتراث، بيروت، ط 2 ، 1987م،ص:147 .

[3]- ابن الأبار،الحلة السيراء ، ج 2 ، تحقيق :حسين مؤنس، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط 1 ، 1963 م.،ص:62 .

[4]- بن حيان،المقتبس من أنباء أهل الأندلس،تحقيق محمود علي مكي،دار الكتاب العربي،د.ط،بيروت، 1973 ،ص110 .

[5]- رسائل ابن حزم الأندلسي، المصدر نفسه ،ص148.

[6]- ينظر الملحق رقم 01،قائمة ببعض أسماء الإيماء بالأندلس والمغرب.

وكان للجواري أثر كبير في الحياة الشعرية في الأندلس فكانو مصدر الهام للشعراء ومحفزا لنظم الشعر فيهن، حتى ان الشعراء في الأندلس نظموا فيهن سبعمائة وثلاثة وستين بيتا وثلاثة موشحات و أرجوزة و أزجالا مختلفة.

كما أن معظم الجواري ملكن القدرة على نظم الشعر فنظمن ثمانين بيتا في موضوعات متعددة ،وعملن على نشر 145 بيتا شعريا وثلاثة موشحات كما ساهمت الجواري، في نقل الثقافة المشرقية، وخصوصا الشعر المشرقي الذي غنينه و نقلن ألحانه إلى الأندلس أو صغن له الألحان عن دورهن في حركة الغناء وانتشر الغناء بإفريقيا وشغف الناس بالموسيقى وأسرف بعضهم أحيانا في الاستماع إلى الشعر والمغنين.[1]

عقدت المجالس خصيصا لذلك في قصور الأثرياء الأمراء والخلفاء وكان هولاء يتسابقون في شراء الأصوات الجميلة من الجواري ،ويدفعون فيهن أثمانا مرتفعة حيث بلغ ثمن جواري اشتراهن الصولي ليهديهن زيادة الله الاغلبي للخليفة المكتفي بالله بعشرة ألاف دينار.

ونورد نصا لابن بطلان [2] يبين خصائص الجواري حسب مصدرهن:

كان لكل نوع من أنواع الرقيق ميزات خاصة يعرف بها، فالهنديات عرفن بالوداعة ولين الجانب والهدوء وحسن رعاية الطفل ولكن سرعان ما يعرض لهن الذبول، وامتاز الرقيق من رجال الهنود بتدبير المنزل والمهارة في الصناعات اليدوية ولكنه عرضة للموت الفجائي في ريعان شبابه، وأغلب الرقيق الهندي يجلب من قندهار، واشتهرت السنديات بالخصر النحيل والشعر الطويل، واشتهرت مولدات المدينة يعني الإماء اللاتي نشأن بالمدينة وربين فيها لدلال والميل إلى السرور والفكاهة والمجون وبحسن الاستعداد للنبوغ بفن الغناء، مولدات مكة وعرفن برقة المعصم والمفصل

[1]- جانان عز الدين شبانة،الجواري وأثرهن في الشعر العربي في الأندلس،رسالة ماجستير من جامعة الخليل، 2005 ،ص:99.

[2]- ابن بطلان ،رسالة في شري وتقليب العبيد،تحقيق عبد السلام هارون،سلسلة نوادر المخطوطات،ط1 ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة،القاهرة، 1945 ، ص: 145-146.

والعيون الناعسة، والأمة البربرية المغربية لا تبارى في حسن الإنتاج وهي لدماثة خلقها ولين عريكتها صالحة لأن تعود نفسها القيام بأي نوع من العمل والمثل الأعلى للجارية، كما قال أبو عثمان الدلال : أن تكون من أصل بربري فارقت بلادها وهي في التاسعة من عمرها ومكثت ثلاث سنين في المدينة ومثلها في مكة ثم رحلت إلى العراق في السادسة عشر من عمرها لتتثقف، فإذا بيعت في الخامسة والعشرين كانت قد جمعت بين جودة الأصل، ودلال المدنيات، ورقة المكيات، وثقافة العراقيات.

وكان السودانيون يغمرون الأسواق وقد عرفوا بقلة الثبات والإهمال، كما عرفوا بالميل إلى الضرب على الدف والرقص، وهم أحسن خلق الله بياض أسنان لكثرة لعابهم، ويعابون عادة بنتن الإبط وخشونة الملمس .وعرفت الحبشيات بالضعف والترهل والاستعداد لأمراض الصدر، وهن على العكس من السودانيات لا يحسن الرقص ولا الغناء ولكنهن قويات الخلق، موضع للثقة أهل للاعتماد عليهن .والتركية بيضاء البشرة على حظ عظيم من جمال وحياء ولها عينان صغيرتان جذابتان وهي في الغالب بدينة أميل إلى القصر ولود كريمة نظيفة تجيد الطهي ولكن لا يوثق بها ولا يعتمد عليها، والأمة الرومية بيضاء البشرة في حمرة ناعمة الشعر زرقاء العينين طيعة مستعدة للتشكل بما يحيط بها من ظروف مخلصة ثقة .والعبد الرومي يجيد تدبير المنزل ويحب النظام ويميل إلى القصد في الإنفاق ويجيد الفنون الجميلة .والأرمن شر الجنس الأبيض بنيتهم جيدة ولكن أقدامهم قبيحة لا يعرفون بالعفة وتفشو فيهم السرقة وخشونة في طباعهم وخشونة في كلامهم إذا أنت تركت الأرمني ساعة بلا عمل، عمدَ إلى الأذى يرتكبه، وهو إنما يعمل للخوف فيجب أن تحمل له العصا دائما وتعنفه ليعمل ما تريد.[1]

[1]- ابن بطلان ،المصدر السابق ،ص104.

ونورد أيضا نصا للسقطي[1] في نفس الإطار حيث يقول": الخادم الربربرية للذة، والرومية لحيطة المنال والخزانة، والتركية لإنجاب الولد، والزنجية للرضاع والمكية للغناء، والمدنية للشكل، والعراقية للطرب ، أما الذكور من الهند والنوبة لحفظ النفوس،والأموال، والزنج والأرمن للكد والخدمة ومعها العطاء، والترك والصقالبة للحرب والشجاعة،والبربريات أطبع الخلق على الطاعة وأنشطهم على العمل، وأصلحهم للتوليد واللذة،وأحسنهم للولد،وبعدهن اليمنيات ويشبهن العرب، والنوبة أكثر الخلق إذعانا للموالي، وكأنما فطروا على العبودية،وفيهم السرقة وقلة الأمانة، والهنديات لا يصبرن على الذل ويرتكبن العظائم وسهل عليهم الموت،والزنجيات أشد خلق الله وأجلدهم على الكد ، وفيه الأرمينيات لديهن الحسن و الثيب كالبكر "وهذا ما جعل قصور الخلفاء والأمراء والأغنياء مأوى الرقيق من أمم متعددة تختلف في الطباع والعادات ،فأدى اهتمام الخلفاء والعامة لاكتساب الجواري إلى ظهور مراكز لتقيين الجواري[2] وتولى كبار النخاسين الإشراف على دور التقيين، ومن أشهرهم ابن شماس في المدينة، وإبراهيم الموصلى الذي كان أول من علم الجواري الحسان ،ضروب الغناء والموسيقى،ثم صارت هذه الدور تعلم الجواري كل فنون الأدب والظرف والدل،ومن الجواري المتأدبات بدور القيان ،ثم انتقلن إلى الأندلس جاريتا عبد الرحمن الداخل فضل ،وعلم "و العبادية جارية المعتمد بن عباد ، وجارية إبراهيم اللخمي صاحب إشبيلية "قمر " التي عرفت بظرفها وحسن غنائها[3] .

المبحث الثالث :عيوب و تدليس الرقيق.

1- عيوب و تدليس الرقيق.

[1]- السقطي ، في آداب الحسبة،نشر كولان وليفي بروفنسال،مكتبة إرنست لورو،باريس، 1931 ، ص:48 .

[2]- الجاحظ،رسائل الجاحظ،تحقيق عبد السلام هارون،ج 2 ،مكتبة الخانجي،القاهرة، 1964 ،ص:174 .

[3]- عبد السلام الترمانيني، المرجع السابق ،ص:97 .

احترف بعض رجال المغرب الأوسط النِّخاسة ،وكان بعضهم يقوم بمهمة الجلاب ،ففي سوق النخاسين كانت تباع الأبقار والأغنام أيضا ... ،وغيرها بالإضافة إلى النَّخاسين المختصين ببيع العبيد والجواري ، [1] كما ذكرنا سابقا منهم اليهود الذين كانوا أكثر احترافية في هذه المهنة.

فقد ذكر جودت عبد الكريم، أن هناك بعض التجار يلجئون إلى الغش والتحايل في إخفاء بعض عيوب الإيماء،لذلك كان المشتري عندما يريد شراء عبد أو جارية يقوم بتقليبها كما يقلب السلع الأخرى كالأقمشة والأواني فيتفحص سائر جسمها كالعين والأسنان والأنف والخصر[2]...وغيرها من الصفات وللتأكد من خلوها من أية عيوب ،كما كانت هناك امرأة تعمل في بعض الأسواق مع النخاسين تساعدهم في البيع كما تساعد المشتري في تقليب الجواري تسمى "بالأمينة "وهذا ما ذكرته كتب الحسبة والنصوص منها على سبيل المثال قول السقطي" :إنهم(النخاسين)ينصبون بسوقهم امرأة يسمونها الأمينة [3]"وكانت هذه المرأة تتحايل على المشترين بإخفاء هذه العيوب وتأخذ أجراً معلوما على ذلك وهذه حيلة من حيل النخاسين لكي يقوموا ببيع الجواري ،وهذا ما ذكره لنا السقطي بقوله " وكم من نحيفة بيعت بخصبة ،وسمراء كَمِدة بيعت بصفراء مذهبة أو بخر الفم بطيب النكهة، وكم صفروا البياض الحادث عن القروح في العين والبرص و البهق في الجلد وجعلوا العين الزرقاء كحلاءً بأن يقطر فيها لبن أتان حار،وكم من مرة سمنوا الوجوه المقعقعة ،وأكسبوا الشعور الشقر حالك السواد ،ودملجوا السيقان المعرقة وطولوا الشعور الممرطة وأذهبوا أثار الجدري والوشم والنمش وكل هذا بغسول مصنوع من عروق القصب واللوز المر والكرسنة والباقلا وحب البطيخ معجون بالعسل[4] ،فقد كان النخاسون يقومون بخداع المشترين بتزيينهن ،وعرضهم في الأسواق مثل البضائع الأخرى، ويقدمونهم في أحسن حال،ويتطلب ذلك اهتماما

[1]- جودت عبد الكريم : المرجع السابق، ص:101 .

[2]- جودت عبد الكريم، المرجع نفسه ، ص:230 .

[3]- السقطي :المصدر السابق، ص:20 .

[4]- السقطي :المصدر نفسه ، ص:22 .

بمظهرهم الخارجي لترغيب الزبائن في اقتنائهم وكسب بائعيهم أكثر ما يمكن من الأرباح ،ويتم التركيز بصفة خاصة على أمرين اثنين ،نظافة الجسم والهندام والتجميل ،وقد لجأ النَّخاسون إلى استخدام بعض المواد كالمستحضرات الخاصة ببشرة الوجه والبدن ،وصبغ الشعر،وتصفيفه وعمد بعضهم أحيانا إلى إخفاء بعض العيوب والعاهات، ،وسهروا على تنظيف أجسام الرقيق من الطفيليات ،كالقمل مثلا ،حيث استخدموا لذلك بعض المواد منها: البورق وماء السِّلق والصابون[1]،وتنقية أبدانهم من الشعر،باستعمال بيض النمل أو دهنا طبخت فيه ضفادع خضراء أو مرارة الأرنب ثم يغسل الجسم بالشَّب ،والبورق وتنظيف الأظافر بإزالة الشهت من أصولها وغسلها بالخل والعسل ،ووضع دهن الورد واللوز المر عليها بعد ذلك وتنظيف أفواه الجواري فاستعملوا السواك و الأشنان ،والسكر ،ومسحوق الفحم أو الملح المدقوق ،وإزالة رائحة الأنف بواسطة سعوط[2] من دهن المرزجوش[3] والبنفسج ،والياسمين وكذلك حبر الفحم كمستحضر يتكون من: بسابس ،وماء الورد ،والقرنفل، يؤخذ من كل صنف جزء ومن الصمغ العربي جزءان.

وتمزج هذه المواد بالطريقة التالية: يحل الصمغ بماء الورد وتوضع فيه بقية المواد بعد أن تسحق وتنخل ثم تصنع منه حبوب وتجفف وتؤخذ كحب لتطبيب الفم،ويطيب الجسد بالصندل والورد،كما توضع في ثياب الرقيق البذور المطيبة، كما استخدمت بعض المستحضرات لإزالة الصنان من أبدان الرقيق منها على سبيل المثال كمية من السنج الأبيض ويعجن بماء الورد ويتخذ أقراصا وتدفن في الورد حتى تجف وتحفظ إلى وقت الاستعمال ،ويستخدم مستحضر آخر،يتكون

[1]- السقطي, المصدر السابق،ص:50.

[2]_ وهو المسمى باليونانية بطومنقي ومعناه المُعطس ويسمي عود العطاس أيضا وهي الشجرة التي يعمل منها سُعوط الدواب عند البياطرة بالأندلس وهو شجرة لها أغصان رقاق كبيرة مستديرة وزهرة النبتة هذه تُعطس،ينظر:ابن البيطار،الجامع لمفردات الأدوية والأغذية،ج3،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،دط،دت،ص:22

[3]– ويقال مرزنجوش أو مردقوش وهو فارسي واسمه السمسق بالعربية و العنقر أيضا و حبق القثاء وهو نبات كثير الأغصان ينبسط على الأرض في نباته وله ورق مستدير عليه زغب وهو طيب الرائحة .ينظر،ابن بيطار ،الجامع لمفردات الأغذية والأدوية ،ج4 ،ص429.

من التوتية المغسولة ،تدق وتنخل وتوضع في ماء وملح ثم ورد وكافور، وتتخذ ذرورا، كما تصنع أقراص من الورد الأحمر والمسك والسُّنبل، والسعدي، والشَّب وتخلط هذه المواد بماء الورد وتستعمل عند الحاجة[1].

وقد استعملت عدة مستحضرات ،كانت تصنع من النباتات، والزيوت، والدهون لتغيير لون البشرة كتبييض الوجوه المسمرة، أو لتنقيتها حتى تكتسب صفاء ورونقا ،ومن ما ذكره السقطي في طريقة استعمالها نقع الباقلاء في ماء البطيخ ستة أيام، ثم تنقع في لبن حليب مدة سبعة أيام مع التحريك يوميا، وبعد ذلك يوضع الخليط على وجه الجارية فتبيض بشرتها، واستعمال مستحضر من دقيق الباقلاء، والكمرشة خمسة أجزاء، ومن عروق الزعفران، وبورق من كل صنف ربع جزء، ويغمر الوجه بالخليط ،فتحمر الخدود الباهتة اللون، والمصفرة، ويزال شعر الخدود واللحا.

ويدهن العبيد بزيت البنفسج والطيب ،لتحسينها وينعم الخشن منها بتدليكها بالشمع واللوز المر، كل ذلك مخلوط بماء الورد ودهن البنفسج، وتغطس الجارية السمراء في حوض مليء بماء الكرويا، وتترك فيه مدة أربع ساعات من نهار،فتخرج منه، وقد صار بدنها ذهبي اللون.

وقد شاع استعمال هذه الوسيلة في بلاد المغرب والأندلس، وراج هذا النوع من الجواري بهما[2].

وكانت الجواري البيضاوات تصبغن أطرافهن بالأحمر ،والجواري الصفروات تصبغنها بالأسود والسوداوات بالأحمر أو الذهبي واستعمل النخاسون أنواعا من الصبغة، لتغيير لون الشعر بإكساب الشعور الشقراء حالك السواد ،مستخدمين في ذلك دهن الأس[3] ،ودهن قشر الجوز

[1]- السقطي،المرجع نفسه, ص:53.

[2]- جودت عبد الكريم يوسف ،المرجع السابق.ص:203

[3]- شجر دائم الخضرة بيضي الورق،أبيض الزهر،أو وردي وثماره تؤكل غضة وتجفف وتكون من التوابل ،وله عدة أسماء يعرف بالحبلاس والهدس والحملوش،يستخدم زيته كمستحضر تجميلي،ينظر:ابن البيطار،الجامع لمفردات الأغذية ،المصدر السابق،ج1،ص:119.

الرطب ودهن الشقائق، ثم غسل الشعر الذي تم صبغه بصبيغ الأملج[1]، وتجعيد البسط منه باستعمال مستحضر من نبات السدر والآس، واعتنوا بألوان العيون، بتغيير لون العين الزرقاء إلى سواد، وذلك بتقطير ماء قشر الرمان فيها.

وألبسوا الجواري ما يتناسب قوامهن، وألوان بشرتهن واختاروا الثياب الشفافة، والألوان الوردية للبيض، والأصفر والأحمر من الإستبرق والسندس والديباج، والحرير، والحلل المطرزة للسود مع إضافة لمسة من الجواهر، والحلي، من دمالج في المعاصم، والخلاخل في الأرجل وقد نتج عن هذه الممارسات، ارتقاء صناعة التجميل الذي أصبح فنا، يحتاج إلى مختصين، وكثرت مواده واتسع استعماله[2].

ويدل اهتمام النخاسين بالجواري ،على رواج تجارتهن وتفيد بعض المعلومات حول أنواع الأقمشة التي كانت متداولة ،والألوان التي كانت مستعملة، كما أن التنسيق بين اللباس والحلي يعكس الأذواق التي كانت سائدة في القرون الأولى من انتشار الإسلام[3].

ومن الأشياء التي دخلت باب المحرمات، وكان النخاسون يمارسونها هي محاولة إخفاء بعض العاهات والعيوب مؤقتا، إلى أن تتم الصفقة ،وعدم الاكتراث بظهورها بعد ذلك كمحاولة إخفاء البرص والكلف باستعمال معجون ،يتكون من الشونيز[4] ،أصل قثَّاء الحمار[1] وورق الخبازى[2]

[1]- أملج،هي ثمرة سوداء تسبه عيون البقر،لها نوى مدور حاد الطرفين ،فإذا نزعت قشرته انشق النوى على ثلاث قطع ،والمستعمل منه ثمرته التي على نواه،وهو من الأدوية المقوية للأعضاء كلها،ينظر،يوسف بن عمر بن علي الغساني التركماني،المعتمد في الأدوية المفردة،تح،محمود عمر الدمياطي،دار الكتاب العلمية ،ط2000،1421،1م،ص:7.

[2]- السقطي، المصدر السابق, ص:53.

[3]- آدم ميتز, المرجع السابق, ص:271.

[4]- له رأس شبيه بالخشخاش في شكله ،طويل مجوف يحوي بزرا أسود حريفا،طيب الرائحة ،وربما يخلط بالعجين وخُبِز ،له قوة لطيفة ،يشفي من الزكام ،وينفع من البهق والبرص طلاءا بالخل،وإذا سحق وعجن بهن الورد ،نفع من أنواع الجرب،ينظر: التركماني،المصدر السابق،ص:274.

والجرجير[3]، وأصل الكرم، يخلط الكل بالعسل ،ويدهن به الجسم وغرز مواضع البرص بالإبر وضع خليط القلقاس[4] ،والعفص[5] والزنجار بكميات متساوية ،تعجن الأصناف بالماء ولبن التين ثم يوضع الخليط تحت أشعة الشمس مدة أربعة أيام وبعد ذلك يكون جاهز للاستعمال ،فيوضع فوق المكان المغروز بالإبر،ثم يزال بعد أربعين يوما ،وينظف المكان بالخل وأشنان مغلي أو بماء.

ويزال النمش، والوشم بغمر بقعة بغسول مصنوع من عروق القصب واللوز المر، والباقلاء ،وحب البطيخ تعجن كلها بالعسل ثم توضع على شكل قناع فوق موضع النمش أو الوشم ويخفي بياض العين بصبغة بتقطير لبن أتان حار فيها، كما تخفي العروق التي تظهر في سيقان الرقيق بدمجلتها[6] .

2- تقليب الإيماء والعبيد:

حرص البائع والمشتري في سوق النخاسة على أن معاملة تجارية لابد أن تمر عبر مجموعة من الخطوات إلى غاية الوصول إلى مرحلة الرضا بين الطرفين حول الشيء المراد التبايع بشأنه ،فكانت هذه العملية تتم عبر تقليب الإيماء تقليبا جسديا والتفرس في جميع أعضاء جسده وهذا ما ذكره الأمشاطي في كتابه تقليب العبيد منها:

---

[1]–وهو القثاّء البري،وهو العَلْقَم،وهو أصغر من القثاّء البستاني،وله أصل أبيض كبير،وينبت في خربات ومواضع رملية ،وأجوده المستقيم وعصارته تنفع من اليرقان،ينظر،المعتمد في الأدوية،المصدر نفسه،ص:379.

[2]–منه البستاني يقال له الملوكية،ومنه بري معروف،كالخطمي ،يصلح للأكل ،وهو رديء للمعدة،ملين للبطن،مدر للبول،وهو نوع من الملوخية،ينظر،التركماني،نفسه،ص:115.

[3]- هو صنفان بري وبستاني،والبري يسمى الأيهقان،ويسمى خردلا ،مدر للبول ملين للبطن،يستعمل في الطبيخ كثيرا،ينظر،المصدر نفسه،ص:66.

[4]- ما يؤخذ من شجرة وهو غض صغير مضرس ملزز ليس بمثقب معناه أملس خفيف ،ينفع كضماد لجميع الأورام الحادثة في الدبر،ينظر :ابن بيطار ،المصدر السابق،ص:174.

[5]-هو شيء ينبت على المياه وله ورق كبير أملس يشبه ورق الموزإلا أنه ليس بطوله وهو مجفف يشبه ورق القرع،ينظر ،ابن بيطار ،المصدر نفسه،ص،277.

[6]- آدم ميتز،المرجع نفسه، ص:271.

دلائل الطول ،فالطول المفرط صاحبه أهوج، قليل العقل ،جبان، يضمر الشر مع خبث ورذالة الطبع ،ودلائل القصر المفرط تدل على الخبث والغدر والمكر وإضمار الشر والسمن المفرط ،يدل على كثرة العفن في الجسم ،وغلبة البلغم ،ويدل على العجز وقلة الحركات فاللحم الكثير في البدن يدل على غلظ الحس ،والفهم واللحم اللين يدل على جودة الطبع ودليل آخر هو المفرط في النحافة يكون ذليلا ،ضعيفا ،ويخاف عليه السل ،بالإضافة لدلائل المشي والحركة فأحسن المشي من كان مشيه متئنيا ،واسع الخطوة وهذا يدل على تأن ووقور في العقل ،والضد بالضد ،فإن سرعة المشي يدل على الطيش وبطؤه يدل على البلادة ،وقصر الخطأ وسرعتها يدل على عجلة وعناية بالأمور من غير تحكم فيها ،ودليل آخر في الضحك فكثرته تدل على الدناءة وقلة الاهتمام بالأمور،ومن له عند الضحك سعال فهو وقح ،ومن ابتسم دليل الحياة و الضحك من غير عجب من قلة الأدب،كذلك دلائل في العبوسة أن تكون فساد مزاج وصاحبه يكون مخالفا، لا يقبل النصيحة ،ولا يرشده إلى الخير ولا يرضى بما يعمله الناس وفي الأغلب يكون جهولا ،وغالب أعماله فاسدة[1].

وقد ذكر الأمشاطي في خاتمة من كتابه عن كيفية تقليب الرقيق وما يخفيه النخاسون ويسترونه من العيوب.

علم أنه بما كان لأهل السلع والنخاسين، تداليس لستر العيوب عندهم مشهورة لتلفيق سلعهم وترويج أموالهم ،وجب علينا أن نذكر شيئا يوضح ما يخفونه من العيوب ،ويرشد إلى الغرض المطلوب ويوضح أيضا ما يخفي من العلل الباطنة والظاهرة[2] وإذا حضر الغلام أو الجارية للشراء

[1]- محمود بن احمد العنابي الأمشاطي ،(ت903ه/1492م) ،القول السديد في اختيار الإيماء و العبيد ، رسالة نادرة في شري و تقليب العبيد ،تح، محمد عيسى صالحية ،ط1 ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ،1917ه/1996م ،ص102.

[2]- الأمشاطي ،المصدر نفسه ،ص:104.

،فينبغي أن يمعن النظر أولا في اللون فإنه دليل عظيم عما يخف من العيوب والأمراض الباطنة فإن اللون الحايل يدل على علة في الأعضاء الباطنة[1].

وإذا كان في لون البدن شيئ متغير ،فإما أن يكون إلى البياض أو إلى السواد أو إلى الخشونة ،فالبياض الخفيف يدل على البهق[2] ،وهو مقدمة البرص والسواد الخفيف هو البهق السود والخشونة ،وإن كانت خفيفة فهي القُوْب[3] ،وإذا كانت خشونته متقشرة فهو القوب المتقشر ويكون مقدمة الجذام.

وينبغي أيضا أن يمعن النظر في الشامة ،وأثر الكي والنار والوشم ويفحص ذلك ويسأل عن سببه ،فربما كان في الجسد شيء من الأمراض الرديئة فتشكلت في شامة أو موضع الوشم فادخله الحمام ودلكه جيدا أو غسله بالماء الحار ثم بعد ذلك يدلك الموضع بالأشياء الجالية كالبورق[4].

ثم بعد ذلك تفقد خدوده وأطرافه وأمعن النظر فيه، فإنه إذا نشر بهما البرص ما خفي فإنه يظهر حول الكي أو الوشم بياض ثم بعد ذلك تفقد كلامه وسمعه وبصره ،وأنظر في سواد العين هل فيه أثر وعلى ذلك الأثر في الوسط على ثقب الباصرة ،أو محاذ له فإن كان على الثقب الغليظ فإنه يدل على عدم الإبصار ،وإن كان في وسط العين كدورة أو زرقة أو بياض فذلك من علامات المنذرة بالماء ،وإن كان على حرف بياضها عند الموق الأكبر زيادة حجم فذلك يدل على الظفرة[5]

[1]-الأمشاطي العنتابي،المصدر السابق،ص:105.

[2]- البهق: داء يصيب الجلد فيقضي على الجسام الصباغية في بعض أجزاء بشرة ،حيث تظهر بشكل بقع بيضاء واضحة للعينين ،مختلفة السعة وربما تتسع اكثر فأكثر ،ويزداد عددها لعتم مساحات كبيرة من الجسم.

[3]- القوب:تعرف باسم الحزازه ،وهي داء تظهر على الجلد و الأجرد كاليدين و قد يظهر على الوجه شبه فطريات شعرية تكون بشكل دوائر.

[4]- البورق: يشبه الملح المعدني منه الأحمر و الأبيض ، يجلي الأوساخ.

[5]- الظفرة: الزيادة من الملتحمة من الحاجب المحيط بالعين ، عصبية أول بناتها عن المق الأكبر ثم تبسط الى سواد وسط العين ،حتى إذا عظمت تحت الناظر منعت من النظر.

وإن كان على العين عروق دل ذلك على السبل[1] ويأمر بالمشي والذهاب والمجيء وتحريك الأعضاء كل عضو على حدته، وينظر كل عضو مع مقابله فإن لم يكن مقابلا فينسبه إلى عضو يليق له.

وينبغي أن يأمر العبد أو الجارية أن يرسل يديه، فإن وصلت إلى الركبة فهو دليل خير وإن قصرت فهو دليل شر[2].

وأن يجمع بينهما وينظر إليهما جميعا لئلا تكون إحداهما أقصر من الأخرى ،فإن ذلك عيب يضر بالأعمال وينظر أيضا إلى عضلاتهما وقوتهما وضعفهما، نعومتهما وخشونتهما .

وجاء في كتاب ابن بطلان[3] ثلاثة وثلاثون وصية ينتفع بها في البيع والشراء تم إدراج ما يستلزم منها وهي ثلاثة عشر وصية:

أول وصية: معاودة التقليب لكي يظهر التصنع ويكشف المدلس.

ثاني وصية: أن يحذر شراء الرقيق في المواسم ففي مثلها يتم للنخاسين الغش فكم من سمراء كمدة بيعت بصفراء مذهبة ،وأنجز الفم بطيب نكهة وكم جعلوا الزرقاء كلاء وحمروا الخدود المصفرة ،وسمروا الوجوه المقعقة وأكسبوا الشقراء شعر حالك السواد ،وجعدوا الشعور بالبسطة وبيضوا الوجوه المسمرة وكم من مريض بيع بالصحيح ،قال بعض النخاسين، درهم حناء يزيد في ثمن الجارية مائة درهم فضة ،ولهذا قد تهتم نظرك فيما تستحسنه حتى يكون الاستحسان دائما على الصورة لا ينقصها تكرار النظر ولهذا لا يتم إلا في دفعات.

[1]- السبل: غشاوة تعرض العين مع انتفاخ عروقها الظاهرة في سطح الملتحمة و العروق تمتلئ دما غليظا تحمر ،و يكون معها سيلان.

[2]- الأمشاطي ،المصدر السابق ،ص:106.

[3]- ابن بطلان ، المصدر السابق ،ص:178.

ثالث وصية: ألا يقطع بأول كلام يسمع الغلام أو الجارية فربما جاء اتفاقا أو تلقين فواقن من مسامعه قبولا ،ولا يكون وراء ذلك الكلام أمثاله ،ولكن خذ بسوء الظن تسلم.

رابع وصية: ليحذر الرؤساء ممن كان له سمعا ،ويخشى عليه منه ،أو يخاف أن يطلع على سر شراء الخادم أو الجارية خاصة إن كانت كاتبة ،وخرجت من دار سلطان.

خامس وصية: التحرز من شراء مملوك كان يكثر ضربه أو جارية قد تمرنت على العقوبة فان هذه الصفة قد تفسد وامتنع عنه وجه الإصلاح والتأنيب.

سادس وصية: ألا يشتري مملوكا ذا جرأة على ذم مولاه وتنقيصه.

سابع وصية: أن لا يغفل عن مسألة سبب بيعه وشراءه ،فذلك استنباط ما يدل على الصلاح في ارتباطه وتسريحه وتركه.

ثامن وصية: ما وصي به قبل استخدامه ،فالمملوك على أول ما يراه منك فأول دخوله دارك فإن أطعمته طمع ،وإن هذبته انقمع ،وان خالطه من الغلمان فسد.

تاسع وصية: التحرز في استبراء الأمان من الحبل قبل الهلك ،واحذر بالسداد والدواعي الكاذبة ،فان كثير ما تجعل خرقهن دم غيرهن ولكن ممن يشتري لك منها امرأة تكره أن يلصق بك ولد غيرك ، ومرهما...ثديها وحسن حشاها ، وتأمل شحوب لونها وشهوتها للطعام المالح الدال على التوحم ،وان تشقى عند النوم وعند المساء ترمل في الثياب وتدخن على قمع بخور فإن خرج الدخان ورائحته من الأنف والفم فليس بها حبل[1].

[1]- عبد العزيز عينوز ، و آخرون ، الرق في تاريخ المغرب ،ندوة نظمها مختبر تاريخ التراث في جهة الغرب ،الشراردة بني حسن ،جامعة القنيطرة، 2010 ،ص:103.

الوصية العاشرة: بعد الشراء وهو التحرز المشتري من أجل أن تحبل الجارية بغير إرادته ،ذلك أنه إذا اشترى غير البالغة فربما بلغت في منكحه وهو لا يعلم ،وتكتمت عنه ذلك رغبة في الولد ويحذر الجواري اللواتي توهمن أنهن عقيم ،وهن كارهات للحبل ،فربما خدعن الملك بذلك[1].

الوصية الحادية عشر: ألا تخرج الجارية من منكحة إلا في دم ،فربما حبلت في حجرة القاس وأدعت أنه من بائعها على أن ذلك من الجواري.

الوصية الثانية عشر: أن تجتهد في البراءة من كل عيب يخرج جسمها وأن لا يعقل عن البراءة من الكي يكون في ثديها ،فكثير من طوائف الترك يكوي الجارية على ثديها حتى لا تسترخي ومنهن من يكوي الجارية في وسط رأسها ولا نعلم أحدا قد أمكن من هذا إلا أهل فإن احدهم إذا باع جارية كتب بينه وبين المشتري شرطا مجتمعا على تعديل سائر العيوب والأمراض واحدا واحدا ،والبراءة من جميعها فان رضي وإلا لن يبعه.

الوصية الثالثة عشر: للمسافر بالعبيد والجواري أن يشهد بعض أهل المدينة أول وصوله إليها على إقرار المملوك والجارية بالعبودية له ،والاختيار بشهادة القوم عليه في منزله وخدمته ،فهذا القدر الكافي في الاحتراز من نشوز الغلام أو الجارية وهربه طالبا الحرية[2].

3- عقود التبايع:(تجارة الجواري ،مراحل شراء الجارية، الأسعار)

قبل أن نعرج في تبيان عقود التبايع لابد لنا من الحديث عن مجتمع الأندلس و أسواقه الذي تتم فيه بيع الجواري وهذا ما سنذكره في المتن التالي .

[1]– عبد العزيز عينوز ،نفسه، ص103.

[2]- ابن بطلان، المصدر السابق، ص179.

ضم المجتمع الأندلسي أعداد كبيرة من الجواري فقد دخلن الأندلس سبايا حرب وفي قوافل الرقيق العابرة أو بضاعة يرجى بيعها في أسواق الأندلس ،وعرض في هذه الأسواق الكثير من الجواري المتعددات الأجناس والألوان وكان إقبال الأندلسيين على الجواري الصقليات أكثر من غيرهن إلا أن شرائهن أو شراء غيرهن من الجواري لم يكن بالعملية السهلة وأن شرائها يمر بمراحل متعددة وطويلة أولها اختبار الجارية والتعرف إلى ملكتها والتأكد من خلوها من العيوب وثانيها الاتفاق على سعرها وكتابة عقد البيع والشراء ،وثالثها اصطحاب الجارية إلى المنزل وتعريفها بالقهرمانة *، إن وجدت[1].

3_1-تجارة الجواري:

عمت المدن الأندلسية بتجار كثيرين ولعل قرطبة اختصت بتجارة الجواري[2]، وقد رأينا أن بعض ملوك الطوائف كان يرسل إلى الأسواق قرطبة ليشتري الجواري الحسان[3] ،وأن أمير قرطبة تلقى ثلاث رسائل في يوم واحد من أمراء يطلبون جواري موسيقيات[4] .

كان اليهود أهم من يقوم بهذه التجارة ،ويسافرون من المشرق إلى المغرب ،ومن المغرب إلى المشرق برا وبحرا ،ويبدو أن أعداد الجواري وكثرتهن أتاحت لكل أندلسي قادر على شرائهن وأن يختار جارية أحلامه من بين الألوان والأجناس المتعددة التي ملأت الأندلس،ويبدو أن معظم الأندلسيين ابتعدوا عن الجواري الجيلقيات لما اتصفن به من غدر وخيانة ،وفضلوا عليهن الجواري الصقليات ،وعلى

[1]- القهرمانة: إمرأة و ربما كانت جارية , تقوم بإحصاء كل ما تحضره الجارية من ملابس و حلي و متاع معها الى بيت مالكها الجديد , ثم تكتبه و يبين عدد أغراض الجارية و تصفها ثم تقدم القائمة الى المالك و قد يحوي القصر أكثر من قهرمانة, أنظر جانان عز الدين, المرجع السابق، ص:84.

[2]- جانان عز الدين ، المرجع السابق ، ص:84.

[3]- محمد عبد الوهاب خلاف ، قرطبة الإسلامية في القرن 11 ميلادي و الخامس هجري ، الحياة الإقتصادية و الإجتماعية, دار التونسية للنشر ، أفريل 1984 ، ص:132.

[4]- جانان عز الدين ، المرجع نفسه ، ص:85.

الرغم من أن بروفنسال يرى أن الأندلسيين فضلوا الجواري اللواتي لا يتحدثن العربية ،إلا أن الروايات والأخبار تدل على أن الجواري اللواتي تتقن العربية وثقافتها وأجدن الشعر واللغة وكن مطلب كل أندلسي ،ولكن لم يحظى بأمثالهن إلا الأغنياء لارتفاع أسعارهن ،ومن الطبيعي أن تسعى الجارية إلى التعلم والقراءة وأن سيدها علمها وأدبها إما بنفسه أو بإحضار معلمين لها إن كانت لديه القدرة المالية على ذلك[1].

3_2- مراحل شراء الجارية:

لم تقتصر متطلبات الأندلسيين على صفات الجواري وعلومهن فحسب، فقد كان لهم معايير في التاجر الذي سيشترون منه الجارية ،ويدفعون له المال لذا بحثوا عن تاجر أمين عفيف عادل كما كان على الأندلسي الراغب في شراء جارية التأكد أن التاجر مصدر ثقة حتى لا يشتري جارية حرة ،أو مسروقة ،أو فيها أي عيب فتضيع نقوده هباءا.

وعلى المشتري أن يتأكد من خلو الجارية من العيوب ،فتجار الرقيق على استعداد للقيام بأية حيلة تحقق لهم الكسب الوفير،وقد اتبعوا الكثير من الحيل والغش كتغيير لون البشرة وتطويل الشعر،وتسمين الأطراف وإزالة العيوب وغيرها من الحيل التي ذكرت في رسائل شراء العبيد[2].

لم تتحدث المصادر الأندلسية عن طريقة شراء الجواري، لكن ما وجد أن هناك خبرا أندلسيا تحدث عن حيلة قام بها تاجر أندلسي في رجل من أهل ألبيرة*[3] اشترى ألبيري جارية أعجمية رائعة الجمال على أنها جارية أعجمية لا علم لها بأرض الأندلس أو بلغة أهلها ،وألبسها ثوب من حرير

[1]- المرجع نفسه ، ص:87.

[2]- ابن بطلان ، رسالة جامعة لفنون نافعة في شري الرقيق و تقليب العبيد، المصدر السابق ،ص:238.

[3]- إلبيرة (ELVIRA) بليدة قرية أندلسية قريبة من ساحل البحر و لها مرسى ترسي فيه السفن ما بين مرسية و ألمريةحولها أنهار كثيرة ، و بينها و بين غرناطة ستة أميال و مدينة ألبيره بين القبلة و الشرق من قرطبة انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج 1، ص:526.

كنساء ملوك العجم وكانت على ظهر بغلة ،ولم تتوقف الجارية طوال الطريق عن القيام بإشارات تدل على دهشتها وإعجابها بكل ما تراه ،ولما وصلوا ألبيرة ، دجلها الألبيري وطلب من الجارية أن تنتظر مع غلامه خارج المدينة حتى يحل الليل ،ولما حل الظلام ،دخل الغلام والجارية المدينة فالتقيا برجل مسن عرف بعبثه ومجونه في الماضي ،وعندما رأته الجارية قالت بالعربية المتقنة (شيخ السوء يعيش) فرد قائلا: فلانه أوقد جئت ؟ !" فتعجب الغلام من كلامها وفصاحة لسانها ولما وصلا بيت سيده أخبره بما سمع ،فجن جنون سيده وأرسل يستقصي أخبار الجارية ،فقيل له " فلانه الشاطرة حديثة الخلطتين وصاحبة لفتاك المنقطعين ! " فأخذ يفكر في التخلص منها دون أن يخسر نقوده فلما أحست بما يضمر فقالت له : "لا عليك بما تعني إليك ! إن كنت تخاف على مالك احملني إلى ألميرية تأخذ زائد على ما وزنت ،ففعل ما أشارت عليه ،واحتال بالحيلة نفسها التي جرت عليه فباعها بسعر أكبر مما دفعه فيها[1] .

وبعد أن يحدد الراغب في اقتناء جارية وفق معاييره ومتطلباته فيها ،ويختار تاجرا يثق به ويتأكد من خلوها من العيوب عليه أن يساوم السعر ذلك أن الرقيق تجارة من التجارات التي تقع عليه المساومات والمشارات بالثمن ،ويحتاج البائع والمبتاع إلى أن يستشفا العلق*[2] ويتأملاه فيجب فيه خيار الرؤية المشترط في جميع البيعات ،وإن كان لا يعرف مبلغه بكيل أو وزن ولا عدد ولا مساحة، فقد يعرف بالحسن والقبح.

ولاشك أن ثمن الجارية اعتمد على جنسها وجمالها والعلوم التي تعرفها ،والمهارات التي تتقنها فكلما زاد علم الجارية وجمالها ازداد سعرها وبيدوا أن تجار الرقيق استغلوا ميل الأندلسيين لشراء جواري مثقفات على دراية بالعلوم المختلفة والغناء والعزف والرقص فرفعوا أسعارهن، وربما ابتاع

[1]-جانان عز الدين , المرجع نفسه , ص:90.

[2]- العلق: النفيس من كل شيء ،ابن المنظور ،لسان العرب ، ص :268.

التاجر جارية بمائة دينار ثم باعها بألف دينار بعد أن يعلمها ويصقل مواهبها فيحقق بهذا مكاسب كبيرة ،فقد كان لأبن الكتابي جارية لا نظير لها أجادت اللغة والأدب والخط والكتابة والغناء والرقص والطب ولعب بالسيوف وغيرها من العلوم ،ولم يتمكن الملوك من شرائها لارتفاع سعرها إلا أن عبد الملك بن رزين*[1] تمكن أخيرا من شرائها بثلاثة آلاف دينار.

وعندما يتفق الطرفان على سعر الجارية المنشودة عليهما أن يخضرا كاتب عقود كي يدون عقد الشراء ويكتب أسباب التي تطلبت الجارية من أجلها ،وبعد الانتهاء من الشراء ومغادرة سوق الرقيق على صاحب الجارية الجديدة أخذها إلى القهرمانة المسؤولة في بيته إن وجدت، كي تقوم بكتابة تقرير كامل يضم كل ما جاءت به الجارية من ملابس وحلي ومتاع وتسلمه إلى سيدها[2].

وعلى الرغم من شراء أي جارية لم يكن بالعملية السهلة كما تقدم إلا أن هذا لم يمنع الأندلسيين من شرائهن وتكديسهن في قصورهم .

3_3- أسعار الرقيق:

انه لمن الصعب تحديد سعر الرقيق في الفترة التي نقوم بدراستها، ذلك أن الموثقين في، تلك الفترة ما كانوا يحددون ذلك حيث كانوا يكتفون في عقودهم بكتابة عبارة "بثمن يبلغ كذا "أو " بكذا وكذا ذهب "أو " بثمن جملته هكذا[3] "فقد كان ثمن الرقيق يختلف من فترة إلى أخرى ففي القرون الأولى

[1]- *عبد الملك بن رزين هو ابو مروان عبد الملك بن رزين بن هذيل ذو الرياستين حسام الدولة , ولي بعد أبيه الحاجب عز الدولة , تمكن من ضم بعض أمثال بنسبه الها , كان شابا جميلا قاسيا رفيع العمة من أكابر برابر الثغر نظم شعرا معظمه ضعيف و كان مع شرفه و أدبه بخيلا على الشعراء , كانت وفاته سنة 496 هـ , أنظر الفتح ابن خاقان , قلائد العقيان و محاسن الأعيان،ج1 ، تح، حسين يوسف خريوش ،مكتبة المنار،ط1 ، 1409ه/1989م ،ص:157.

[2]- جانان عز الدين شبانه , المرجع السابق , ص:91.

[3]- نشيدة معوش، الإيماء في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط،إشراف:رضا بن نية،مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص :تاريخ مجتمع المغرب الأوسط في العصر الوسيط،جامعة محمد لمين دباغين، سطيف ،ص42.

للفتح كانت تخضع لمعايير العمر والجمال والقوة وغير ذلك ،فقد ذكر الرقيق القيرواني [1] أن عقبة ابن نافع عند دخوله بلاد المغرب أصاب من السبي نساء لم يرى الناس في الدنيا مثلهن فقيل أن الجارية الواحدة كانت تبلغ بالمشرق ألف دينار.

كما ذكر أن حسان ابن النعمان بلغ سبيه مائتي جارية منها ما يقام بألف دينار،فقد بيعت أمة بربرية في عصر الولاة بألف دينار[2]وأخرى غير محدودة الجنس في الفترة الرستمية بخمس دنانير[3]،وفي عهد العبيديين بيعت بربرية بخمسة درهم[4]،وفي بجاية الحفصية بيعت رومية وسودانية بالمقايضة حيث قال الغبريني" بيضاوان من الروم بسوداء من الوخش[5] ".

وفي الفترة الزيانية بيعت سودانية بمائة دينار[6]،كما تختلف الأسعار أيضا من جارية لأخرى حسب جملة من المعايير والمواصفات كاحترافها لصنعة أو لجمالها أو لذكائها وفطنتها ،أو لصغر سنها مع الصحة ،فكلما كانت الجارية تتصف بهذه الصفات زاد ثمنها في الأسواق لذلك كان هؤلاء النخاسين يقومون بتعليم الجواري القراءة والكتابة والرقص والعزف على الآلات الموسيقية لإمتاع الزبون فهذا النوع من الجواري يباع بأسعار مرتفعة.

لقد كان تحرير عقود التبايع في المغرب الأوسط صعب ،لذلك فمن العسير الوصول إلى وثائق تدل على ذلك لأن المصادر في هذا الصدد ضئيلة وغير متوفرة إلا ما كتبه بعض القضاة في التسجيلات حيث أوردوا لنا طريقة كتابة العقود آنذاك أو الصكوك[7] كما كان يقال لها في العصور الوسطى فقد

---

[1]- الرقيق القيرواني :المصدر السابق، ص:44 .

[2]- ابن عبد الحكم، فتوح إفريقية و الأندلس ،المرجع السلبق ص: 68.

[3]- أبي زكريا يحي ،سير الأئمة وأخبارهم،تح ، اسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي ،ط2، 1982، ص:143 .

[4]- النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح :المجيد ترحيني،ط2 ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1334 م، ص:40 .

[5]- الغبريني، عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح :عادل نونيض، ط1 ، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 2232م، ص:40 .

[6]- ينظر الملحق رقم 02 أسعار الرقيق .

[7]- حسين علي أحمد محافظة، الرقيق في المجتمع العربي الإسلامي حتى ثورة الزنج (100هـ/ 412 /م)، إشراف :صالح الحمارنة، رسالة لنيل مذكرة الماجستير في التاريخ، الجامعة الأردنية، كلية الآداب، قسم التاريخ، 2013 م، ص: 138.

كانت هذه الصكوك يحملها المبايعون تضمن لكل طرف من أطراف هذه العملية حقه في حال وقوع النزاع ،لأنه كما ذكرنا سابقا كان النخاسون يلجئون إلى الخداع أو الحيلة ،فيقومون بإخفاء العديد من صفات العبيد والجواري على الباعة ،فعند اكتشاف المشتري ذلك يقوم باسترجاع ما اشتراه وفسخ العقد أو إعادة مراجعته وفي بعض الأحيان يستدعي ذلك تدخل القضاء لحل هذا الأمر والفصل بينهما، ومنه سنرى كيف كانت تعقد عقود التبايع في الإماء فقد كانت تقوم على جملة من المحاور،حيث تتجلى لنا بنود الاتفاق بين الأطراف المتبايعة في نقاط من أهمها:

أ-تسمية المتعاقدين : ومن صيغتها" اشترى فلان من فلان مملوكة[1] " ،إن هذه الوثيقة يذكر فيها كلا الطرفين البائع والشاري إن كانا مجهولين يذكر أنسابهما بناءا على قولهما وما يعرفان به وان كانا مشهورين شهرة بالغة فلا يليق به ذكر حليتهما[2].

ب-ذكر جنس ونوع العبيد : ومن صيغتها" اشترى فلان من فلان خادمة اسمها كذا[3] "أي يقوم بذكر نوع وجنس العبد كما يذكر موطنهم الأصلي لأن بعض النخاسين كانوا يقومون ببيع بعض الجواري من جنس ويقولون بأنها من جنس أخر أو ببيع الأحرار على أنهم عبيد ثم يكتشف الشاري انه خدع في ذلك فيكتب " ويذكر أن العبد صغير يميز أو لا يميز، بالغ قرب البلوغ ،أو شاب أو كهل أو شيخ[4] .

ج-صفات العبيد : كما تكتب الصفات التي تتميز بها هذه الأمة ،"مستديرة الوجه ،بلجا خنسا ممتلئة الجسم ،حسنة القد، فصيحة اللسان بالعربية وبالبربرية ،وشقراء اللون ،شهلاء العين مدورة الوجه ،أسيلة الخد سبطه الشعر وحسنة القِد خفيفة اللحم ،رقيقة الأطراف...غائرة العينين.

[1]- نشيدة معوش :المرجع السابق، ص:44 .

[2]- حسين علي أحمد :المرجع السابق ، ص: 137.

[3]- نشيدة معوش :المرجع نفسه ، ص:42 .

[4]- حسين علي أحمد ،المرجع السابق، ص: 138.

د- الاستبراء من العيب :إذا كان بالأمة عيب يذكر وقد ذكرنا بعض العيوب سابقا ،يقوم الشاري بالتعهد بأنه قبلها بعيبها كما ذكر ذلك الونشريسي"وأنه رضي بالعيب كذا وكذا أي إذا كان المشتري راضي بالعيب فيقول شراءا صحيحا شرعيا بثمن مبلغه كذا وكذا ويكمل المبايعة[1].

وفي الأخير قبض الجارية المتعاقد عليها حيث يقوم البائع بتسليمها للمشتري أو يوصلها إلى غاية بيته بنفسه ويقبض عوضها مبلغ من المال المتفق عليه أما في حالة وجود عيب بالإماء وعرف المشتري ذلك فيما بعد وأراد إرجاع بضاعته والإشهاد على ذلك بالشهود مع ذكر أن العيب كان قديما والتاريخ الذي ابتاع فيه البضاعة واستعادة المبلغ الذي أقبضه إياه ورفع يده عن التصرف في الشيء الفلاني رفعا تام .

وفي الأخير نستنتج مما سبق أن بائع الرقيق احترف التدليس بأنواعه فهو بذلك يخفي العيوب الظاهرة بمستحضرات متكونة من دهن وأعشاب وعقاقير من أملج وشونيز وغير ذلك ،كما كان يخفي آثار الكي والنمش وحتى البرص ،ويمرر سلعته على المشتري في صورة حسنة ويتم عقد البيع مستوفيا كل شروطه.

[1]- الونشريسي ،المعيار ج6ص:224

الفصل الثاني :سوق الـ ب بالغرب الإسلامي.

الثروة الحيوانية واستخداماتها بالغرب الإسلامي.

أمراض الدواب و العناية و الرفق بها.

تجارة الدواب.

المبحث الأول :الثروة الحيوانية ببلاد الغرب الإسلامي ومجالات استخداماتها.

1- أنواع الدواب:

خلق الله تعالى الحيوانات و سخرها للإنسان لتخدم مصالحه ومنافعه في الحياة و جاء قوله تعالى:﴿**والْخَيْلَ و الْبِغَال وَالْحَمِير لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَة ويَخْلُقُ مَالَا تَعْلَمُونَ**﴾[1].

وتعتبر هذه الأصناف الثلاثة نوعا واحدا،فهي من ذوات الحافر ،وقد جمع الله بينها في صنف واحد ولعل الخيل أهم هذه الأصناف.

1_1- الخيل:

انفرد الحسن الوزان بوصف الخيول حين قال أنها "تنتشر في الجبال، لا تصفح حوافرها وهي في الغابة بحيث تقفز كالقطط من الأعلى إلى الأسفل،وأنها أكثر سرعة وخفة،...وأهم اختبار لسرعة هذه الخيل هو العَدوُ وراء حيوان يدعى اللَّمْتُ[2] ،أو خلف نعامة ،فإذا أدرك أحد هذين الحيوانيين قدر ثمنه بألف مثقال أو مائة بعير"[3].

ويدُّل كثرة الخيل عند الفتح ما لاحظه عمر ابن العاص عندما فتح بلاد طرابلس (21هـ_642م)، وكتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يخبره بما أفاء الله عليه وأن ليس أمامه إلا بلاد إفريقية وملوكها كثير وأهلها في عدد عظيم وأكثر ركوبهم الخيل[4].

---

[1]- سورة النحل ، الآية8.

[2]- هو حيوان يشبه الثور في شكله لكنه أصغر منه ،وحوافره وقرونه أدق،يميل لون جلده إلى البياض،إلا أن أظلافه شديدة السواد ،وهو سريع جداً بحيث لا يسبقه حيوان آخر في الجري ماعدا بعض الخيول المغربية ،ينظر:حسن الوزان ،المصدر السابق،ص:263.

[3]- حسن الوزان،المصدر نفسه،ص:262.

[4]- ابن عذاري ،المصدر السابق، مج1 ،ص:08.

وقد اندهش العرب قوة وصلابة هذه الخيول ،و راحوا ينقلونها إلى المشرق ،حيث كانوا يتنافسون على امتلاكها ومن أمثلة ذلك ما يرويه ابن عذاري ،أن الفاتح حسان بن النعمان عندما عاد إلى المشرق حمل معه أنواع الدواب والرقيق ، وسائر أنواع الأموال فسلبه أمير مصر عبد العزيز بن مروان (ت 85 هـ/704 م) جميع ما كان معه من الخيل[1].

وأثارت هذه الخيل اهتمام الخليفة سليمان بن عبد الملك فسأل عنها موسى بن نصير بعد عودته إلى المشرق، وقال له: أي الخيل رأيتها في تلك أسبق؟ فأجابه موسى بقوله:الشقر*[2].

واستمر حمل الخيل إلى المشرق في فترات لاحقه،حيث خرج الأمير عبيدة بن عبد الرحمن من إفريقية سنة 115هـ/733م بالكثير من الخيل والدواب[3].

ويذكر ابن الصغير المالكي أن عبد الرحمن ابن رستم عند تأسيسه لمدينة تيهرت(144-296هـ/761-908م)[4] كان يملك فرسا وحيدة ويربطها في ناحية من داره ،ما يوحي بأن الخيل وسائر الدواب كانت قليلة و في موضوع آخر يصف ابن الصغير المالكي تبدل الأحوال بعد ذلك فيقول :"...فقوي الضعيف وانتعش الفقير وحسنت أحوالهم وخافهم جميع من اتصل به خبرهم وأمنوا ممن كانوا يخافون أن يعتروهم" [5]وقد لاحظ المشارقة عند عودتهم للمرة الثانية بعد ثلاث سنوات

[1]- ابن عذاري ، المصدر نفسه ، مج1، ص:24.

[2]- ابن عذاري ،المصدر نفسه ،مج2 ، ص:21.* الأشقر من الدواب الأحمر و العرب تقول: أكرم الخيل و ذوات الخير منها شقرتها "ابن منظور : المصدر السابق, مج2 ص:339.

[3]- ابن عبد الحكم ،المرجع السابق، ص:93.

[4]- فاطمة مطهري،مدينة تيهرت الرستمية ،دراسة تاريخية حضارية (القرن 2_3هـ/8-9م)،مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي،جامعة ابي بكر بلقايد ،تلمسان،قسم التاريخ واللآثار،1430-1431هـ/2009-2010/.ص:53.

[5]- ابن الصغير المالكي، أخبار الأئمة الرستميين ،تح ، محمد ناصر ،مطبوعات الجميلة ، الجزائر ، 1986 ،.ص:187.

من زيارتهم الأولى ، هذا التغير الذي حصل وذلك أنهم نظروا إلى القصور التي قد بنيت وإلى البساتين قد غرست وإلى الخيول قد ركبت[1].

وبعدما كان عبد الرحمن ابن رستم يبيت فرسه في داره ،صار ابنه الأمير عبد الوهاب يتخذ دارا للدواب مليئة بالأفراس وصار يعد في عسكره ألف فرس أبلق[2]، وقد حضي أهل تاهرت بالفروسية،لدرجة أبهرت ملك السودان عندما رأى محمد بن عرفة ،رسول أمير أفلح عبد الوهاب وخبرته بركوب الخيل، كما كان ليعقوب بن أفلح أخلاق في لباسه و ركوبه تخرج عن طبع البشر منها ركوبه لفرسه من بين يديه وتذكر المصادر أنه اتخذ فرنسا أشقر عظيم الشأن لم يكن بالمغرب مثله قبله ولا بعده.

واهتم الفاطميون باقتناء الخيول ،حيث امتلك الداعية أبو عبد الله الشيعي الكثير منها ،وهذه العادة معروفة ببلاد المغرب ،يقول المالكي أن عبيد الله المهدي حين غضب على احد وزرائه ،رماه في إسطبل الدواب تمشي عليه فركضت في بطنه حتى مات[3] ،ويستنتج من هذه الرواية انه كان يملك إسطبلات للدواب وكان بعض رجال عبيد لله المهدي يعتقدون أن خيله مقدسة فيبيتونها في المساجد إذا خرجوا ويروي ابن الصغير ،أنه قالوا لمن أنكر عليهم ذلك:" إن أروثها وأبوالها طاهرة لأنها خيل المهدي"[4]

[1]- ابن عذاري ،المصدر السابق،ص:33

[2]- الأبلق مصدره البلق و البلقة ، و هي السواد و البياض ، أنظر: ابن منظور : المصدر السابق ،مج1، ص:259.

[3]-ابن الصغير المالكي،أخبار الأئمة الرستميين،المصدر السابق،ص97.

[4]- ابن الصغير المالكي ، المصدر السابق، ص:98.

وظلت الدولة الفاطمية تعتمد على خيول بلاد المغرب حتى بعد انتقال خلفائها إلى القاهرة ،حيث أخرج نصير الدولة باديس بن منصور بن بلكين بن زيري (374هـ-406هـ) هدية إلى الخليفة الحاكم بأمر الله في مصر كان فيها مائة فرس[1].

كانت الخيول المغربية تنقل إلى الأندلس،ومنها انحدر الجواد الأندلسي ،حيث أهدى الأمير المغراوي الزناتي زيري بن عطية (ت391هـ/1000م)،إلى الحاجب المنصور بن أبي عامر سنة (381هـ/991م) في جملة هدايا كثيرة تمثلت في مائتي فرس من عتاق الخيل فجدد له بذلك عهده على المغرب[2].

وحين تولى ابنه عبد الملك المظفر الحجابة لهشام بن الحكم ،عقد للمعز بن زيري بن عطية على فاس سنة (397هـ/1007م)،وقبض على ابنه المسمى "معنصر" رهينة ،واشترط عليه عُدَّة من الخيل والسّلاح يحملها إلى قرطبة كل سنة،واستمر المعز في إرسال الخيول بعد موت المظفر،وتقديم أخيه عبد الرحمان (ت400هـ_1010م)،لحجابة هشام المؤيد ،إذ بعث إليه سنة (399هـ/1009م) بهدية فيها مائة وخمسون فرسا،فرد إليه عبد الرحمن ولده "معنصر"مكرَّمًا،فجمع المعز كل فرس كانت عنده وبعث بها إلى قرطبة وكان مبلغها تسع مائة فرس وهي هدية لم يصل من المغرب إلى الأندلس أعظم منها[3].

وتواصل إرسال الخيول إلى الأندلس بعد معركة "الزَّلاقة" ،"...فلم يزل أصحاب يوسف بن تاشفين يطوون تلك الممالك مملكة مملكة ،إلى أن دانت لهم الجزيرة بأجمعها ويوسف بن تاشفين في ذلك كله يمدهم في كل ساعة بالجيوش إثر الجيوش والخيل إثر الخيل"[4] .

---

[1]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، مج1 ، ص:260.

[2]- ابن أبي زرع الفاسي،المصدر السابق،ص104.

[3]- ابن أبي زرع ،المصدر السابق،ص،116_117،ابن عذارى ،المصدر السابق،مج1،ص:554،252.

[4]- عبد الواحد بن علي المراكشي،المعجب في تلخيص أخبار المغرب،وضع حواشيه خليل عمران المنصور،دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان،الطبعة الأولى،1419هـ/1998م،ص:115،114.

1_2- البغال:

أصل هذا الحيوان متولد من الفرس والحمار ،لذلك صار لها صلابة الحمار وعظم الخيل ويجعلها ابن الفقيه من أعظم الثروات الحيوانية الموجودة لدى أهالي بلاد المغرب ،وكانت تجهز من المغرب إلى المشرق.

وهو ما يؤكده صاحب صورة الأرض بقوله :"ولهم الخيل النفيسة من البراذين [1]والبغال الفره [2]والإبل والغنم ،وما لديهم من ماشية البقر،وجميع الحيوان الرخيص.[3]

أما بالنسبة للمغرب الأوسط فقد اكتفت بعض المصادر الجغرافية بالإشارة إلى كثرة الدواب بمدينة المسيلة إلى جانب الأنعام ،ووفرة البغال بتاهرت ،والظاهر أن الاهتمام بتربيتها استمر حتى الفترات الأخيرة من الفترة الوسيطية، وهذا ما يؤكده صاحب وصف إفريقيا،من خلال وصفه للحمير الجميلة ،كبيرة القامة التي كانت تربى بوجدة[4].

ويعد ركوب البغال أقل درجة من ركوب الخيل ،حيث جاء في المدونة أن صاحب الحمار والبغل يعد في تقسيم الغنائم راجلاً،ولا يقسم له مثل الفارس الذي يأخذ من الغنيمة ثلاثة أسهم منها سهمان لفرسه ،وقد لايعد بعضهم راكب البغل أو الحمار أو غيره فارسا أصلا،وهذا لم يمنع بعض الأشراف من ركوبها حتى لقب بعضهم ب"رواض البغال"،"عاشق البغال"[5]

---

[1]– يطلق على غير العربي من الخيل والبغال من الفصيلة الخيلية عظيم الخلقة غليظ الأعضاء،قوي الأرجل،عظيم الحوافر مجموعه براذين،ينظر المعجم الوسيط،ص:377ينظر؛رينهارت دوزي ،تكملة المعاجم ،تع محمد سليم النعيمي،ج2، دار الرشيد للنشر ، 1980،ص:283.

[2]- البغال الفره :الفاره من الناس ،المليح الحسن ومن الدواب الجيد السير،ويقال للبرذون والبغل والحمار،فاره بين الفروهة،ينظر:الجوهري إسماعيل بن حماد(ت393ه)،الصحاح ،تاج اللغة وصحاح العربية ،دار العلم للملاين،بيروت ،لبنان،ط1990،4،ج2،ص:43.

[3]_ حسن الوزان ،المصدر السابق ،ج2،ص:14

[4]_ الوزان ،المصدر نفسه،ص:14

[5]_ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ،رسائل الجاحظ، ،ص216،

وكان الأمير الأموي مسلمة بن عبد الملك (ت120هـ_738م)،يقول :"ماركب الناس مثل بغلة قصيرة العذار طويلة العنان ،وقال بعضهم عن البغال لمن عاب عليه ركوبها :أنها من خيلاء الخيل ،وارتفعت عن ذلة العير ،وخير الأمور أوسطها[1].

وقد ذكرت المصادر أن بعض الأمراء والأشراف في بلاد المغرب كانوا يركبون البغال ،مثل أبي العباس "أخ الأمير الرستمي "أفلح بن عبد الوهاب "الذي كان يركب بغلة شهباء هملاجة (بمعنى حسنة السير) ،وأهدى يوسف بن تاشفين لابن عمه "أبي بكر بن عمر خمسين من البغال ،وقد كان منصور الموحدي(554-595هـ/1160-1199م) يتخذ بغلات للركوب ،بنى لها إسطبلا آخر يضم مائة بغل ،وقد بيعت البغال بتلمسان بأغلى الأثمان ،وهذا دليل على أهميتها بالنسبة للأفراد ، لكن لا توجد نصوص تشير إلى قيمتها المالية[2] .

أما في الأندلس فقد أورد أبي المزايا نصا يشير فيه إلى استخدام البراذين والبغال في خطة البريد إذ يقول:"ومن نزل به بريد المسلمين لزمته ضيافته،من غير تقصير ولا إسراف،وكذلك علف دوابهم ،ويكونون من أهل المعرفة بالطرق،وقوة الأجسام ،ويأخذهم الإمام باستئجار الدواب واختيار القوي منها من البراذين والبغال،فإنها إن كانت لهم كانوا أحوط عليها[3].

1_3-الإبل:

إن الجمل من أهم وأكثر الأنواع الحيوانية انتشارا بالمنطقة ،وهي الحقيقة التي يؤكدها ابن حوقل في معرض حديثه عن بلاد المغرب وصحاريها قائلا :"الجمال الكثيرة في براريهم وسكان صحاريهم التي

[1] _ الجاحظ، رسائل الجاحظ،المصدر السابق،ج2،ص:218.

[2] _جودت عبد الكريم يوسف،الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية...،المرجع السابق،ص،66

[3]-أبي المزايا محمد ابراهيم بن أحمد بن جعفر الكتاني الحسني،الاجتهاد والمجتهدون بالأندلس والمغرب،تح،الشريف حمزة الكتاني، دط،دت،ص:141.

لا تدانيها في الكثرة إبل العرب "[1]،إن قوة احتمال الجمل على العطش وتحمل المسافات الطوال جعلته الأكثر قربا للحياة العامة للمناطق الصحراوية ،وأهم حيوان في تلك الربوع الشاسعة إلى جانب الأغنام.

يرى ابن خلدون أن الإبل من مكاسب أهل النجعة ومميزاتها تحمل الأثقال مدة أربعين أو خمسين يوما دون أن تستلزم علفا في المساء ،وإنما تنزع عنها الأحمال وتترك ترعى في البرية قليلا من العشب والشوك وأغصان الشجر "[2]،غير أن مسارح التلول ونباتاتها لا تكفي الإبل في قوام حياتها خاصة وأنها تحمل أثقالا قد يصل وزنها من 150_200كغ،ولم يعرف بربر شمال إفريقيا هذا الحيوان إلا من القرن الرابع بعد الميلاد ،لتتغير معه حياة سكان الصحراء تغيرا عظيما ، وكان عاملا رئيسيا ساهم بقدر كبير في نمو التجارة ، خاصة الصحراوية وأصبحت القوافل تسير على ظهر الإبل بين تاهرت وإفريقية مدة شهر[3].

ويشير أحد الباحثين إلى الاهتمام بتحسين نوع هذا الحيوان عن طريق التلقيح ،فظهر نوعان يتميز الأول بقدرته على حمل الأثقال وقوته وهو بطيء السير ويمتاز الثاني بالرشاقة والخفة فهو سريع العدو وربما عرف هذا النوع بالمهاري ،التي يشير إليها ابن حماد قائلا[4]:" توغل ابن خزر في الصحاري فارا على المهاري"[5].

---

[1]-ابن حوقل،المصدر السابق،ص112.

[2]- ابن خلدون ،المصدر السابق، ج 2 ،ص:232

[3]- إبراهيم بحاز ،الدولة الرستمية (160-296هـ/777_909م)،دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية ،منشورات ألفا ،الجزائر،ط2010،3،ص:201.

[4]- ابن حماد ،أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ،تح،عبد الحليم عويس،دار الصحوة،القاهرة،دط،دت،ص:87

[5]- صلاح عبد الستار محمد الشهاوي،الإبل في التراث العربي و الإسلامي الإبل سفائن البدو ومهور الحرائر،مجلة الداعي ،دار العلوم ديوبند ،ربيع الأول،1433هـ-2012م،العدد،"،ص33.

كما استخدم المرابطون الإبل والتي لم يقتصر دورها على حمل الأثقال في معركة الزلاقة ،بل استعملوها بدل الخيل لكي يستعينوا بمظهرها الغريب في بث الرعب في نفوس جند النصارى،و خيولهم إذ كانت تجمح لمنظرها ،ومن الروائح المنبعثة منها و أصواتها[1].

إذن كانت الإبل هي السلاح الحاسم لدى المرابطين في معارك المغرب الأقصى،حيث نرى عندما غزا المرابطون مسعود بن وانودين المغراوي[2] بجيش عدته ثلاثون ألف جمل مسرج،فهزموه شر هزيمة[3].

نستنتج من ذلك أن المرابطين كانت تتوفر لديهم الإبل بكثرة في صحرائهم أكثر من الخيل لملائمتها العيش في الصحراء .

1_4- الأغنام و الأبقار:

يعتبر الضأن من بين المواشي التي اشتهرت بتربيتها المناطق السَّهبية من إقليم المغرب الأوسط ولعل أهم المدن التي اشتهرت بتربيتها هي مدينة بونة[4] ،حيث يفيدنا ابن حوقل أن من تجارتها " الغنم والصوف والماشية من الدوال وسائر الكراع"[5]واشتهرت الجزائر بني مزغنة بذلك فكان أهلها أكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم سارحة في الجبال ،ومدينة تدلس كانت بها الغنم والبقر موجودة كثيرا وتباع جملتها بالأثمان يسيرة لكثرتها وكان بتاهرت البراذين والخيل كل حسن وأما الغنم والبقر كثيرة جدا ،وأكد ابن حوقل أنها معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين الفراهيه أما إشارة الزهري فتفيد أن مدينة تلمسان كان بها من الصوف كل بديع من المحررات والأبدان وأحارم

---

[1]- ابن عذارى المراكشي،البيان المغرب،ج4،ص115.

[2]- مسعود بن وانودين آخر أمراء مغراوة من بنو خرز الذين حكموا سجلماسة ودرعة توفي 413هـ،ينظر:ابن الخطيب ،أعلام الأعمال،المصدر السابق،ص:357.

[3]- البكري،المغرب،المصدر السابق،ص :197.

[4]- من المدن التاريخية تسمى هيبون أو بونة أو بلد العنّاب،تعتبر مدينة وميناءا من أهم الموانئ الجنوبية للبحر المتوسط وإشارة المقدسي تؤكد ذلك بقوله:"وبونة بحرية مسورة"،ينظر:مرزوق بتة،مدينة بونة وموقعها الإستراتيجي في العصر الوسيط،جامعة المسيلة،ص:284

[5]- ابن حوقل ،المصدر السابق،ص،98.

الصوف والسفاسير والحنابل المكلكلة مم يدل على أن تربية الغنم كانت بها مزدهرة ،كما كثرت الأغنام بمرسى الدجاج و طبنة وشرشال.[1]

أما الأبقار فقد كانت ترتكز بالجهة الشمالية بالمغرب الوسط ،حيث المراعي الخضراء ، والأراضي المنبسطة الخالية من السفوح الشديدة الانحدار ،وبالرغم من قلة عددها مقارنة بالأغنام إلا أن هذا لا ينفي الاهتمام المتزايد بها ،هذا وقد أكدت المصادر الجغرافية استفادة أهل المنطقة من لحومها وألبانها وجلودها واستخدامها في أعمال الفلاحة أو في مجالات أخرى كالتجارة والحروب ، فابن حوقل كان شاهدا على وفرتها في مدينة بونة وقال:"إنَّ أكثر أسوامهم البقر"[2]،ونفس الملاحظة أكد عليها البكري الذي ذكر :"أن أكثر لحمانهم البقر،...كما اشتهرت جزائر بني مزغناي بوفرتها... ،أما وهران فإن البقر والغنم بها رخيصة بالثمن اليسير "[3]، ومن الدلالات التي تأكد وفرت الأبقار بمنطقة الأوراس تلك الرواية التاريخية التي حفظتها لنا المصادر خاصة الإباضية منها حول ثورة أبو يزيد مخلد ابن كيداد[4] ضد الحكم الفاطمي ،حيث أورد الدرجيني (ت.670هـ/1240م) أن أبا يزيد استخدم خمسمائة ثور لفك الحصار الذي ضرب عليه من طرف الفاطميين في منطقة الأوراس[5]

[1]- عمر بلباشير ،بعض المعطيات عن المحاصيل الزراعية و الثروة الحيوانية في بلاد المغرب الأوسط من خلال مصادر الجغرافية ،مجلة المواقف للبحوث و الدراسات في المجتمع و التاريخ ،العدد 09 ،ديسمبر،2014 ،ص:329.

[2]- ابن حوقل ،نفسه،ص:98

[3]- البكري،المصدر السابق،ص:130

[4]-هو مخلد ابن كيدادابن سعد بن سعد الله بن مغيت بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن ورميت بن تبقراسن بن سميدار بن يفرن ، والده كيداد من سكان تقيوس من بلاد قسطيلية ،كان يختلف الى بلاد السودان للتجارة فولد له بها ابو يزيد من جارية صفراء هوارية تدعى سبيكة ،وأتى به الى توزر و بها نشأ و تعلم القرآن ،أشعل أكبر ثورة ضد الحكم الفاطمي ببلاد المغرب وإقتطع أجراء كبيرة من المغربين الأوسط و الأدنى ، و تحالف مع العديد من القبائل و الزعامات و حتى فقهاء المالكية ،وامتدت ثورته حتى بلغت قصر الحكم الفاطمي بالمهدية إلا أنه فشل في الأخير و تم القبض عليه ،أنظر بالهواري فاطمة ، الفاطميون وحركات المعارضة في بلاد المغرب الإسلامي ، دار المسك للطباعة و النشر ،الجزائر ،2011،ص:75.

[5]- الدرجيني،المصدر السابق،ص:355.

وزاد الاهتمام بتربيتها خلال عهد الدولة الزيانية ،لأن استخداماتها تعددت من الاستخدام الفلاحي إلى المتاجرة بجلودها التي كانت تدبغ وتصدر إلى أوروبا[1].

أما عن أغنام وأبقار الأندلس فقد وردت عند الإدريسي عن جبل الشارات في طليطلة:"وفي هذا الجبل من البقر والغنم الشيء الكثير الذي يتجهز به الجلابون إلى سائر البلاد،ولا يوجد شيء من أغنامه وأبقاره مهزولا،بل في نهاية السمن ويُضرب بها في ذلك المثل في جميع أقطار الأندلس"[2].

2- **استخداماتها:**

مثلت الحيوانات عصب الحياة في الفترة الوسيِّطية إذ كان أهل المغرب والأندلس آنذاك في حاجة دائمة لها من الجانب الاقتصادي و الفِلاحي منها وهذا ما سنفصل فيه لاحقا.

2_1- التجارة:

كانت الحيوانات من السلع المهمة التي يتم تداولها داخل المغرب وخارجه ،وقد تحدثت المصادر المختلفة عن رخص أسعارها ،حيث ذكر ابن عذارى أن موسى بن نصير قال للخليفة سليمان بن عبد الملك ،وهو يحدثه عن بلاد المغرب بعد عزله عن ولايتها "... لقد كانت الألف شاه تباع بعشرة دراهم ،كل مائة بدرهم ولقد كان الناس يمرون بالبقر والغنم فلا يلتفتون إليها ولقد رأيت الذود من الإبل بدينار ..فعجب سليمان" [3]،ويقول ابن حوقل (ق.4 هـ/10م) عن بلاد المغرب" ولهم الخيل

[1]- محمد بن عربة ،أحلام بوسالم ،ثروات المغرب الأوسط النباتية و الحيوانية خلال العصر الوسيط ،مجلة مدارات تاريخية مجلة دورية دولية محكمة ربع سنوية ، مج2 ،العدد السادس ،جوان 2020،ص:334-344.

[2]- الإدريسي،نزهة المشتاق في إختراق الآفاق،المصدر السابق،ص:276.

[3]- ابن عذاري ،المصدر السابق، مج2،ص:22.

النفيسة من البراذين والبغال والإبل والغنم وما لديهم من ماشية البقر وجميع الحيوان الرخيص ،فأما أسعارهم على تنائي مدنهم وديارهم فعلى غاية الرخص.."[1] ويذكر ابن أبي زرع أن الكبش كان بياع في أيام الأمير إدريس وذريته بدرهم ونصف والبقرة بأربعة دراهم والعسل خمسة وعشرون رطلا بدرهم ...ودام ذلك خمسين سنة"[2].

وسجل الإدريسي (ق.6هـ/12م) ،رخص أسعار الماشية بمدينة تدلس فقال :".. وبها الغنم والبقر موجودة كثيرا وتباع جملتها بالأثمان اليسيرة " ،وذكر نفس المؤلف أن السمن والزبد والبقر والغنم بمدينة وهران رخيصة بالثمن اليسير[3] ،أما صاحب كتاب الاستبصار(ق.6هـ/12م) فيقول:"إن مدن المغرب الأوسط كثيرة الخصب والزرع كثيرة الغنم والماشية ،طيبة المراعي ومنها تجلب الغنام إلى بلاد المغرب وبلاد الأندلس لرخصها [4]،وهذا يدل على رخص أسعار الحيوانات في أكثر مدن المغرب الأوسط في هذه الفترة ، وأفاد الحميري (ت727هـ/1327م) أن ثمن الدجاجة مع عشرين بيضة بمدينة دكالة التي تقع بين مراكش والبحر المحيط ،بلغ في بعض الفترات بنصف درهم فقط[5].

وقد اتخذت أسواق لتجارة الحيوانات ،تسمى بأسواق الدواب وهي التي ورد ذكرها في أمثال العوام بالمغرب والأندلس ،حيث قالوا : "أخرج لسوق الدواب تتعلم الجواب[6] ،ومنها ما خصص لنوع واحد من الحيوانات ،فوجد في مدينة القيروان مثلا سوق الدجاج ،وسوق الجمال [7]. إضافة إلى الأسواق الأسبوعية التي تقام في جميع مناطق بلاد المغرب والتي تباع فيها مختلف أنواع الماشية ،مثل سوق

[1]- ابن حوقل ،المصدر السابق ،ص:94-95.

[2]- ابن أبي زرع الفاسي ،المصدر السابق ،ص:44.

[3]- الإدريسي ،المصدر السابق ،ص:254.

[4]-مجهول ، المصدر السابق ،ص:179.

[5]- الحميري ،المصدر السابق ،ص:613.

[6]- الزدجالي، المصدر السابق،ص:

[7]- الخشني ،المصدر السابق ،ص:188.

أغمات ووريكة الذي "..يقوم يوم الأحد بضروب السلع وأصناف المتاجر يذبح فيه أكثر من مئة ثور وألف شاه وينفذ في ذلك اليوم جميع ذلك ،وسوق مدينة مكناس الذي يعقدخارج المدينة قرب الأسوار كل يوم اثنين ،فيحج إليه عدد كثير من أعراب المناطق المجاورة ،يأتون بأبقارهم وأغنامهم وسائر أصناف الماشية ويحملون كذلك السمن والصوف بأبخس الأثمان"[1].

وذكر الحميري(ق.8هـ/14م) أن المواشي مدينة برقة كانت تنقل إلى مصر حيث أصبحت أكثر ذبائح أهل هذه الأخيرة منها[2] ،وقد استمرت على هذه الحال إلى زمن الحسن الوزان(ق.10هـ/16م) الذي شاهد بمدينة الجيزة على ضفة النيل عددا كبيرا من باعة المواشي أتى بها الأعراب من جبال برقة [3].

ومن مدينة مرسى فضالة الواقعة على البحر المحيط الغربي كانت المواشي تصدر إلى الأندلس حيث يقول صاحب الإستبصار أن المراكب تردها".. من بلاد الأندلس وحائط البحر الجنوبي فتحمل فيها ساقها طعاما وحنطة وشعيرا وفولا وحمصا وتحمل منها الغنم أيضا والمعز والبقر ، ومن المغرب الوسط كانت تحمل الأغنام إلى بلاد الأندلس [4]، ويخبر ابن الخطيب أن المنصور بن أبي عامر ترك بإسطبلاته في مدينة قرطبة ، في الصائفة التي توفي فيها سنة 392هـ/1002م فقوله عنها " ألف فرس عدوية كانت في طريق العبور استغنى عنها وأمر بالقيام عليها ،ومن الواضح أن أكثر هذه الخيول التي نقلت من بلاد المغرب حديثا_ إذ استثنيا منها الخيل التي كان يهديها زيري بن عطية إلى الحاجب المنصور ، و وصلت إلى الأندلس عن طريق التجارة البحرية[5].

---

[1]- حسن الوزان ،المصدر السابق ،ج1 ،ص:216.

[2]- الحميري ،المصدر السابق ،ص:91.

[3]- حسن الوزان ،المصدر السابق ،ج2،ص:146.

[4]- مجهول ،الاستبصار ، المصدر السابق ،ص:179.

[5]- ابن الخطيب ،أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام و ما يتعلق بذلك من الكلام ،(ت.776هـ) ،تح السيد كسروي حسن ،منشورات محمد علي بيضون ،دار الكتب العلمية ،دون طبعة ،بيروت ،لبنان ،ص:154-155.

وكانت الخيول تنقل إلى بلاد السودان ،فهذه المنطقة حارة لا يمكن تربية الخيول بها ،وكان يملكها الميسرون فقط ،ويذكر الوزان أن الجيَّاد التي كانت تأتي مع قوافل من بلاد المغرب تعرض للبيع بعد عشرة أو اثني عشر يوما من وصولها[1].

وكانت السلع الحيوانية هي الأخرى تصدر إلى الخارج ، مثل الحرير والأكسية والجباب الصوفية وغيرها ،فكان الصوف والعسل يحملان من مدينة برقة إلى مصر ،بينما يحمل من مدينة قسطيلية[2] جهاز الصوف من الشقة والكسى والحنبل إلى جميع الأقطار ، وكانت المراكب تصدر عن مدينة أجدابية[3] القريبة من البحر المغربي "... بضروب من التجارة وأكثر ما يخرج منها الأكسية المقاربة وشقة الصوف..."[4] ، ويفيد البكري (ق.5هـ/11م) أن الكساء الطراقي المنسوب إلى مدينة طراق الواقعة في منتصف الطريق من قفصة إلى فج الحمار وأنت تريد القيروان كان من جهاز مصر [5]، ويذكر صاحب كتاب الاستبصار أن التفاصيل الصوفية التي تحمل إلى الإسكندرية وإلى بلاد الدروب ،تجلب من بلاد نفزاوه[6] وكان التجار يحملون من مدينة سوسة العمائم الرفيعة المنسوبة إليها ،وإلى جميع البلاد شرقا و غربا[7].

[1]- حسن الوزان ، المصدر السابق ،ج 2 ،ص:162.

[2]- مدينة فتحها عقبة بن نافع كانت تسمى تَوْزر أو تُوزر وهي مدينة حدودية وظهر لها مسمى آخر في القرن الثامن و تدعى الجريد،ينظر:ابن خلدون،المصدر السابق،ج2، ص:56

[3]تقع مدينة أجدابية على الطريقالساحلي على بعد 160كلم جنوبي مدينة بنغازي،بليبيا،ينظر:فاطمة بلهواري،التبادل التجاري بين مدن بلاد المغرب خلال القرن 4هـ/10م.

[4]- ابن حوقل ،المصدر السابق ،ص:70.

[5]- البكري ،المصدر السابق ،ص:47.

[6]- تنتسب تسميتها إلى قبيلة نفزاوة وهي من أكبر القبائل البربريةوهي كثيرا ماذكرها ابن خلدون لمكانتها في شمال إفريقيا خاصة تونس،ينظر :ابن خلدون،المصدر السابق،ص:114.

[7]- مجهول ، الإستبصار ،ص:119.

وإلى مدينة جيمي قاعدة بلاد الكانم ببلاد السودان ،كانت الثياب تحمل من الحضرة التونسية ، كما كان أهل أغمات يدخلون بلاد السودان بقناطير الأموال من النحاس الملون والأكسية وثياب الصوف والعمائم وغيرها[1].

2_2- النقل:

لعبت الحيوانات دورا مهما في نقل السلع داخل بلاد المغرب ،أو نحو الخارج ،حيث كانت الوسيلة البرية الوحيدة ،وقد استعملت في ذلك الخيول والبغال والحمير ،لكن الإبل كانت الأكثر استعمالا في النقل ببلاد المغرب ،خاصة في المناطق الصحراوية الجافة ،حيث يقول البكري عن مدينة باجة :"يردها كل يوم من الدواب والإبل العدد العظيم ،الألف والأكثر " أما مدينة توزر فيخرج منها في أكثر الأيام ألف بعير موفورة تمرا وأزيد"[2]، وذلك لان الإبل تكتفي في الصيف بالشرب مرة كل أسبوعين ،وأطول من ذلك في الشتاء ولها القدرة على تخزين الماء مدة ثلاثين يوما أو أكثر ،وهي تستطيع قطع مسافة 50كلم دون توقف ،وقد يسر لها اتساع المناسم في أرجلها للسير في التربة الرملية دون الغوص فيها ويستطيع الجمل أن يحمل ثقلا يتراوح من 120 إلى 160 كلغ[3].

وقد كان المسافرون إلى بلاد السودان يصطحبون جمالاً خالية لا أحمالاً عليها ،ويعطشونها قبل ورودهم الماء نهارا وليلا ،ثم يسقونها إلى أن تمتلئ أجوافها بالماء فإذا احتاجوا إلى الماء نحروا جملا وشربوا ما في بطنه [4]،يقول البكري :(ق.5هـ/11م) "إن المسافرين في الصحراء التي بين سجلماسة وغانا ،هي طويلة عريضة يكابدون فيها شدة العطش ووهج الحر ،وربما هبت ريح جنوبية ونشفت

[1]- عبد القادر زبايدية ،مملكة سونقاي في عهد الأسقين 1493_1591م ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر 1971م دط ،ص:222.

[2]- البكري ،المصدر السابق ،ص:48.

[3]- خالد زنيد ،الإبل و أهميتها الحضارية في شبه الجزيرة العربية خلال القرن الأول هجري –السابع ميلادي ، مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة منتوري ،قسنطينة ،الجزائر،2002 ، العدد 18،ص:181.

[4]- خالد زنيد ،المرجع نفسه ،ص:182.

الماء التي في القرب ،فهم يعيدون إليها المياه التي في بطون الإبل ،ويجعلون على أفواهها الكمائم لئلا تأكل شيئا ،فإذا نشف الريح مياههم نحروها جملاً جملاً وشربوا ما في بطنها[1] .

ويذكر المالكيعن أبي عثمان سعيد بن محمد بن صبح الغساني المعروف بابن الحداد (ت302هـ/914م) ،أنه قدم من طرابلس في رفقة فيها سبعون جملا ،يملكها رجل واحد يقال له أبو عوانة ،لما نزل هذا الأخير بالقيروان اشترى ثلاثين جملا حتى كملها مائة جمل حمل بأحمالها وأعوانها ثم توجه يريد السودان[2].

ويتضح من هذه الرواية أن التجار إذا أرادو التوجه إلى بلاد السودان زادو على عدد الإبل التي ينتقلون بها داخل بلاد المغرب إبلا أخرى حتى تصل إلى حدود المائة.

2_3- المجال الحربي:

رفع الإسلام منذ البداية من شان الخيل باعتبارها وسيلة حربية قوية ،بدليل أن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف أوصيا بإعداد الخيل لمواجهة العدو كما يتبين من قوله تعالى﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾[3]وفي الصحاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:﴿الخَيْلُ مَعقُودٌ بِنَوَاصِيْهَا اَلخَير إِلى يَوْمِ اَلقِيَامَةْ﴾[4] ،وبناءا على ما ورد في الكتاب والسنة أجمعت المذاهب الفقهية على تخصيص سهمين للفارس وسهم للراجل في الغنائم ،أي أن الفرس يتساوى مع صاحبه في المعارك ،حتى البغال كان لها

[1]- البكري ،المصدر السابق ،ص:114.

[2]- المالكي ،المصدر السابق ،ج 2 ،ص:102.

[3]- سورة الأنفال ،الآية:60.

[4]- صحيح مسلم ،المصدر السابق ،حديث رقم3592 ،باب الإمارة،

من الأهمية ما لا يمكن تجاهله ،لا سيما ببلاد المغرب ،إذ يقول عنها ابن أبي زرع إن "خيار ما يحتاج إليه من البغال للسرايا والمراكب وللركض من الخيل وبغال الجزيرة و إفريقية"[1].

وفي كل الأحوال استخدمت الدواب في الحروب والتوسعات بمناطق المغرب،كما لم تقل مساعدتها للإنسان عما وفرته الأسلحة المختلفة ،وقد أسندت لها أدوارا مختلفة ،فكانت تستعمل للركوب والمناورة أو للحمل والجر ، كالخيول التي برزت سنة312هـ/925م بقيادة مصالة بن حبوس (قائد عبيد الله الشيعي) لما خرج من تاهرت إلى زناتة حيث قتل و سبى ،وأخرج خيلا إلى بعض نواحي ابن خزر، وكذا سنة 347هـ/958م بلغ الخليفة المنصور الفاطمي أن قبائل زناتة والبربر رفضوا دعوتهم ودخلوا في بيعة بني أمية في الأندلس ،فعظم عليه الأمر وبعث بقائده جوهر الرومي في جيش عظيم يزيد على عشرين ألف فارس من قبائل كتامة وصناجة وغيرهم ، وأمره أن يطأ بلاد المغرب ويذللها ويستنزل بها من الثوار ويشد وطأتهم عليهم[2].

كما اعتمد حماد (ت419هـ/1028م) عم باديس (ت406هـ/1016م) على الفرسان ،وهذا ما يخبرنا به ابن الخطيب بقوله:"وصلت – حماد-إلى إفريقية في ثلاثين ألف فارس ،ليس منهم إلا من بالغت لهم في الإحسان والأنعام وعدت إلى القلعة وليس معي منهم إلا أقل من ستمائة [3]، والحقيقة أن حماد بن بلكين خرج آخر سنة 405هـ/1015م من القلعة لملاقاة ابن أخيه باديس في ثلاثين ألف فارس ،غير أن قسما كبيرا من الفرسان لم يعد معه ،وبقي منهم أقل من ستمائة ،ومما شك فيه أن الدواب التي رافقت هذا العدد سيتقلص عددها لا محالة بسبب عقرها وإبادتها أثناء الحرب ،إذن

[1]- ابن أبي زرع ،المصدر السابق ،ص:89.

[2]- ابن عذارى ،المصدر السابق ،ج1،ص:166.

[3]- ابن الخطيب ،المصدر السابق ،ص:324.

نقص العدد بأكثر من النصف ،ويفيدنا المؤلف نفسه أن القلعة كان يسكنها اثنا عشر ألف فارس من فرسان صنهاجة ،علما أن الفروسية من أحد اهتمامات سكان المغرب الأوسط[1].

كما يشير ابن الخطيب إلى استخدام الدواب في الاستعراضات الملكية حين ذكر وفاة باديس بن المنصور المكنى أبا مناد(406هـ/1016م) ،إذ رفع في تابوت تقدمه البنود ،واتحف به الجنود ،وتهتز خلفه الطبول ،وتتزاحم بسيقته الخيول على أكمل هيئة وأجمل تعبئة"[2].

والظاهر من النصوص المشار إليها أن الحاجة للدواب كانت متزايدة ،ويكمن ذلك في تضخم مقدار الحمولات التي غدا الجيش يصطحبها في تنقلاته ،إذ فرض بُعد المسافة وكثرة الجيش توفر مختلف المستلزمات التي يتطلبها العسكر ،من عدة وطعام وأعلاف ،بالإضافة إلى الآلات المتخذة للمطبخ والوضوء ،وأخبية الضيافة والنوم ،حتى الرعاة برزوا كعنصر فعال في الحروب ،إذ كانوا يسيرون وراء الجيوش ويقودون قطعان الماشية لتوفير اللحوم اللازمة للجند[3].

2_4- الزراعة:

تجمع بعض المصادر على أن الزراعة "أصل معاش الناس ،والبهائم" ،وتبرز هذه الأهمية من خلال تعهد الأفراد لخدمة الأرض وتطيبها بالحرث والزبل قبل زرعها أو معه ،من أجل توفير الضروري من غذائهم ،وتعد الفلاحة جزءا منها [4]،والتي ارتكزت حسب ابن خلدون على "القيام على إثارة الأرض لها و أزراعها وعلاج نباتها وتعهده بالسقي والتنمية إلى بلوغ غايته ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه وإحكام الأعمال لذلك وتحصيل أسببه ودواعيه ،في كل الأحوال كما يعد الحيوان أهم

[1]- نفسه ،ص:332.

[2]- ابن الخطيب ،نفسه،333

[3]- أعمال الأعلام ،المصدر السابق ،ص:323.

[4]- ابن ليون التجيبي ،إختصارات من كتاب الفلاحة ، نص أندلسي من العصر المرابطي ،تح،أحمد الطاهري ،مطبعة النجاح الجديدة ، دار البيضاء ،ط1 ،2001،ص:85

عنصر في مثل هذه الأنشطة ،لاستخدامه في أعمال عدة متعلقة بالحرث والدرس ونقل المحاصيل إلى البيوت،وسقي النبات ،وأشياء أخرى كثيرة.[1]

كما يرى أحد الباحثين أن ملكية الماشية له أهمية بالنسبة للأرض ،حيث يشمل المفهوم الأول للماشية الآلة أو المحراث والحيوان المعد للإنتاج من زوج بقر أو جملين إذا كانت الأرض صلبة ،وحيوان واحد بالنسبة للتربة اللينة في المناطق الساحلية ،أما المفهوم الثاني فهو يخص مساحة الفدان التي تقدر هذه الطاقة الحيوانية على حرثها مدة فصل كامل ،وهكذا تعد الزراعة دعامة اقتصادية ،فلا حاجة إذن إلى عناء كبير لإثبات أهمية العلاقة بين الزراعة والثروة الحيوانية[2].

2_5- التسميد و السقي:

تثبت النصوص الفلاحية في الفترة الوسيطية أن عملية التسميد تتم بإضافة الفضلات الحيوانية قبل الحرث وبعده ليجود نبات الأرض ،ويستعمل على "ضربين أحدهما زبل على جهته والأخر زبل يستعمله الناس ويركبونه بخلط شيء على شيء ويجمع زبل إلى غيره[3] وهذه الزبول أو السرقين كما تسميها كتب الفلاحة تنقسم إلى سبعة انواع :"فزبل الخيل والبغال والحمير نوع واحد ،ثم زبل الآدمي ثم زبل المضاف وهو المؤلف من الكناسات وغيرها ،ثم زبل الغنم ثم زبل الحمام ،ثم رماد الحمامات ،ثم المولد وهو زبل يتخذ عند عدم الزبول من الحشيش والتراب"،وإذا خلطت كل هذه الأنواع كان أحسن[4].

---

[1]– ابن خلدون ،المقدمة،المصدر السابق،ص:123.

[2]- عبد الملك بكاي ،المرجع السابق ،ص19.

[3]- الطغنري ،زهر البستان و نزهة الأبدان ،تح، محمد مولود المشهدان ،دار الدولية للإستثمارات الدولية ،ط1 2005،ص94.

[4]- ابن الحجاج الإشبيلي ،المقنع في الفلاحة ،تح ،صلاح جرار ،منشورات اللغة العربية الأردنية ،الأردن ،دط ،1986 ،ص11.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الأنواع كلها تحتاج إلى تدبير يصلحها ،وقوانين تعد لها حتى تصلح فتقابل كل أرض بما يصلحه منها ،وكل غلة بما يوافقها وينميها[1] ، حيث يكشف لنا ابن ليون أهمية زبل الضأن بقوله :"حار ورطب...يكثر فيه العشب إذا استعمل قبل التعفين من أجل أن الضأن تأكل الحشيش وتستكثر منه ، فلا ينضج في بطونها فتبقى زريعته لم تتغير فتلقيه في بعرها كما أكلته ، فإذا استعمل قام مع النبات وغلب عليه فإن هو ترك قليلا حتى يعفن ويطيب وتموت تلك الزريعة التي فيها كان حسنا"[2].

ومن الواضح أن زبل الحمام يبقى " غياث النبات الذي قد ضعف وتحير من شدة البرد ،فتجعل منه يسيرا فإنه يقوم من يومه ويحيا من حينه ،وينبغي أن يستعمل منه...إلا اليسير لأنه بمنزلة النار إذا غلب ،ولا يستطيع إصلاح ما فسد "[3]،فهو أجود ما يصلح التربة "لشدة حره وأنفعه وأذهبه لكل آفة تصيب الشجر وغيره فيما يسمدون به.

إذن فضلات الحيوانات لا تستعمل مباشرة ،إنما تحتاج إلى فترة من الزمن حتى تجف وتنخفض درجة حرارتها لأنه إذا استعملت لينة تحرق الزرق وتسبب له الكثير من الآفات وفي ذلك يقول ابن حجاج الإشبيلي:"لا ينبغي أن تزبل الأرض بفضلات حيوانية لم يأت عليها أقل من عام واحد ، فإنها لا تنفع كثير نفع، ولكنه يضر ويتولد منه دواب كثيرة فأما زبل ثلاث سنين أو أربع سنين فإنه كثير الصلاح والمنفعة"[4].

غير أن الحصول على الفضلات الحيوانية لم يكن بالأمر السهل حسب ما تكشف عنه النصوص النوازلية ،فعن ابن لبابة(314هـ/926م) ذكر قائلا:" إن أعطى أرضه يزبلها على أن يزرع معه ثلاث

---

[1]- الطغنري ،المصدر نفسه ،ص99.

[2]- ابن ليون التجيبي ،المصدر السابق ،ص83.

[3]- الطغنري،المصدر السابق،ص:96.

[4]- أبو الخير الإشبيلي ،المصدر السابق ،ص12.

سنين ،جاز إذا وصفت الأحمال وعلم عددها ،فإن لم توصف لم يجز وله قيمة زبله ، وكذا إن باعها وبهازبل في هذه المعاملة فله ذلك وأعطاه قيمة زبله ويلزمه عملها معه إذا وضعها إلا أن تكون غير مأمونة فله قيمته أو قلعه إن قدر عليه ولم يخلطه بالأرض[1].

فالظاهر من هذه الفتوى أن قيمة الزبل كانت تحسب في المعاملات بين المزارعين من شراكة ومزارعة وغيرها .

كما سئل ابن أبي زمنين عن الغنم المؤلفة تجتمع في شبكة التزبيل يمسكها كل واحد في أرضه على قدر غنمه ،فتفتق الشبكة ليلة من الليالي وترعى ماحولها من الزرع،على من يجب الضمان؟ أعلى صاحب الغنم أو على الذي زالت الغنم من شبكته في أرضه؟[2].

النص يشير إلى جمع الفلاحين لتقطيع الغنم كل حسب عدد الرؤوس التي يملكها ،وكان يتم الاستفادة من فضلاتها لتسميد الأرض بالتناوب بينهم ،والظاهر أن هذه التقنية من أفضل التقنيات الفلاحية في تخصيب الأرض ،وتحسين مردودها.

وبعد تسميد الأرض لابد من الاهتمام بعملية سقيَّها ،خاصة خلال فترات الجفاف،ولا مجال للشك في أن أصحاب الأراضي الزراعية قد اعتمدوا عدة طرق في عملية السقي ،مستغلين مياه الأنهار والآبار ،ومنهم من كان ينتظر ما تجود به السماء من غيث ،وما كان يسقى بالدلو ،وكان الدلو المخصص لاستخراج الماء من البئر مصنوعا من الجلد ،وكان يتم رفعه بحبل ملفوف على بكرة من

[1]- البرزلي ،المصدر السابق ،ج3 ،ص422.

[2]- البرزلي،نفسه،ص:426.

طرف حيوان يبتعد عن البئر على مستوى منحن ،أو بواسطة قواديس ناعورة مدورة يحركها حيوان [1].

واستعمال البهائم في عملية السقي يؤكده الونشريسي من خلال السؤال الذي طرح على اللخمي حول من "اشترى بقرا من العرب يستعمله في السقي والحرث وغير ذلك من الأعمال الفلاحية ويستعين بذلك على ضروریاته وأداء مغرم السلطان وعادته أن يتحرى عن التباعات فهل يخرج قيمته يتصدق بها وتطيب له أم لا"[2]؟.

فالحيوان يحرك قواديس الناعورة في مدار بواسطة دواليب والدولاب شكله كالناعورة يستقى به الماء ،والتي اختلفت تسميتها بين الدولاب أو الناعورة وهي دولاب ودلو يسقى بها أو السانية ،وهذه التقنية استعملت بالمغرب الأوسط والأندلس[3].

ويؤكد ابن العوام إلى أن هذه التقنيات تعد الأساليب المعتمدة في عملية السقي ،ويقول عنها "...فالقسم الثاني شاق ومتعب ،وهو السقي بالآلات من النواعير والسواقي و الدلاء التي تدور بها الإبل والحمير والبغال"[4].

2_6- الدّراس:

سخرت الحيوانات للحرث والدرس ونقل الإنتاج ،والدراس آخر المراحل التي تنتهي بها العملية الزراعية ،تهدف لاستخراج حب السُّنبل من غلافه بعد الحصاد[5] ،وهو ما يوضحه الوسياني من

---

[1]-محمد بن عميرة ، الموارد المائية و طرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين ، رسالة لنيل شهادة دكتوراه دولة في تاريخ المغرب الإسلامي ،اشراف، موسى لقبال ،جامعة الجزائر،سنة2005/2004،ص226

[2]- الونشريسي ،المصدر السابق ،ج8،ص560.

[3]- محمد بن عميرة ،المرجع نفسه،ص216.

[4]- ابن العوام ،المصدر السابق ،ج1،ص45.

[5]- ابن خلدون ،المقدمة ، المصدر السابق ،ص450.

خلال قول أبي زكريا مفاده أنَّ " من حرث زرعا وحصده ودرسه وذراه وطحنه وطبخه وأطعمه للجياع اتقاء جوعهم خير ممن فعل "[1]، وعملية الدرس تتم باستخدام الحيوان خاصة البقر ،وهو ما يشير إليه ابن أبي زرع عندما اتجه أبو عبيد الله الشيعي حيث أرسل إلى المغرب يدعوا الناس إلى التدين بأهل البيت بمنزل شيخ قبيلة كتامة ،قائلا:" ومر في الطريق بالأندر والبقر فيه تدرس الزرع"[2].

غير أن الأفراد كانوا يستعيرون هذا النوع من الحيوان في حالة عدم توفره لديهم ،لكن الإعارة كانت تحدث المشاكل، من ذلك ما يفيدنا به ابن كنانة(ت186هـ/802م) بقوله :"سألت مالكا عن الرجل استعار بقرا ليدرس عليها زرعه ،فدرس بها زرعه يوما ،فلما أمسى حلها و سرحها ، ولم يدخل دار سيدها ، فهلك بعضها أو أكلها السبع أو سرقت، فقال :إن كان حال أهل بلدكم إذا استعاروا الماشية للدرس إذ فرغوا سيبوها في المراعي فلا ضمان عليه ،وإن كان أمرهم أن يردها إلى دار أهلها أو يحفظوها في دورهم أو يعلموا سادتها بفراغهم من حاجتهم إليها فلم يفعل ذلك المستعير ،فأرى عليه غرم ما ذهب منها[3] ،وربما أن حكم النازلة صادر عن المالك مباشرة .

كما سئل الفقيه أبو مروان عن رجلين اشتركا في زرع ،فلما حان حصاده غاب أحدهما فعمد إليه صاحبه فحصده ودرسه وصفاه ،ثم أراد أن يقسمه ويعزل نصيبه ،دون أن يرفع نصيب الشريك الغائب ،وربما كلف الخماس بحرث وينقي ويرفع الأغمار ويحصد وينقل السنبل إلى الأندر،وإن شرط عليه غير ذلك فلا[4].

---

[1]- عبد السلام بن حسان الوسياني،سير الوسياني،ج1، تح،عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصابة، وزارة التراث والثقافة،ط1 ،2009،ص383.

[2]- ابن أبي زرع الفاسي ،المصدر السابق ،ج1،ص124.

[3]- ابن عذارى ،المصدر السابق ،ج1 ،ص125.

[4]- الونشريسي ،المصدر السابق ،ج8 ،ص561.

وعليه نستنتج أن الحيوانات وعلى اختلاف أنواعها سواء الماشية أو ذوات الحوافر من الدواب كانت ترتبط ارتباطا وثيقا بأنشطة الإنسان ،فعلى سبيل المثال وفرت أجود الزبل للزراعة كما كانت خط الدفاع الأول في الحروب والأزمات و عصب رواج التجارة المربحة في الأسواق.

كانت الحيوانات عرضة للكثير من الأمراض التي تعطُبها وتؤدي بها إلى الهلاك ،و في الغالب هي عيوب ترد لأجلها الدواب .

المبحث الثاني :أمراض الحيوان.

جمعها البرزلي في فتاويه قائلا:"وعيوب الدواب منها الانْتِشَّار...وهو إنتفاخ العصب ،ومنها الشَّنْطِي وهو عظم نَتِنَ بالذراع،....ومنها الدَّحْسُ وهو ورم يكون في حافره ومنها الزوائد وهي أطراف عصب تبرق عند العُجَالة فيقطع عنها ويلصق بها ،والحَّرْدُ وهو ما كان يصيبه في عرقوبه من الترهل وانتفاخ عصب ،والسَّرطان وهو داء في الرَّسغِ فتَّيبَسُ عروق الرَّسْغ حتى ينقلب حافره ومنها الإرْتِهَاشُ وهو أن يصل بعرض حافره عَقَافَتَهُ من اليد الأخرى فربما أدماها وذلك لضعف يده".[1]

وحتى كتب الحسبة اهتمت بعيوب الدواب،منها السُّلاَقُ يمنع أكل الدابة للعلف والتبن،بالإضافة لععارض أو عيب ذكره السقطي تمثل في أنّ الدابة إذا لم تقبل اللجام فهو عيب ترد به .[2]

والغدد في الدابة عيب ترد به ،فإن هلكت الدابة بسبب الغدد ،وكان البائع قد دَلس به فمصيبتها من البائع المُدلس ،وقيل أن رجلا دفع لرجلا ليبيعه حمارا وأخبره بعيب فيه فقال له : " أره للمشتري

[1]- فتاوى البرزلي ،ج3 ،ص:292-293.

[2]-السقطي ، آداب الحسبة ،ص:68.

فباع الحمار ،وأخبر بالعيب ولم يريه له ،فقال له : أردد عليَّ حماري إذا لم ترى العيب وتضع يدك عليه"[1] ، وهذه الأمراض يجب أن ينظر فيها أهل الاختصاص ،إذ يؤكد ابن سهل على أن يكون رجلين بيطريين ذوي خبرة بعلل الدواب وعلاجها ، وعلى معرفة بالقطع أو الكي"[2] ، وأكثر ما تعلقت به أنشطة بمداواة علل الحيوانات ،التي اتسمت بتنوع أسبابها وأعراضها ومخاطرها.

ومن أمراض الدواب العَّرن وهو تشقق يصيب الخيل في أيديها وأرجلها من المشقة ، والنَّفْخَه وهو داء يصيب الفرس ،والشقاق وهو تشقق يصيب أرساغ الخيل وربما ارتفع إلى أوظفتها ،والمَشَّشُ وهو شيء يُشخص في وظيفي الحصان حتى يكون له حجم ليس له صلابة العظم الصحيح ،والنُّملة شق في الحافر من ظهر الخيل ،والمَلَح داء يصيب الخيل في قوائمها ،والفِأْرة ريح تكون في رسغ الفرس تنفش إذا مسحت وتجتمع إذا تركت ،والنَّصل خروج حافر الخيل من موضعه ،والخُّمال داء يصيب الفرس فلا يبرح حتى يقطع من عرق أو يهلك ،والظِلاع داء يصيب قوائم الخيل يغمز منه والقُفَاص داء يصيب الدواب فييبس قوائمها والعُقال داء يكون بالفرس ضلع الساعة ثم تنبسط والشَرج هو أن تكون إحدى بيضتي الحصان أعظم من الأخرى والفرس الأفرق الذي تكون إحدى وركيه شاخصة والأخر مطمئنة وفرس الحصيص قليل الشعر واللَّوى التواء في ظهر الفرس، والقِمْع غلظ يكون في إحدى ركبتي الفرس والحِلَّة استرخاء في عصب الدابة والكِحْلة رخاوة كعب الفرس والدابة الجهراء التي لاتبصر في الشمس والحقلة وجع يصيب الفرس في بطنه من أكل التراب ،والنَّحْطة داء يصيب الخيل في صدورها لا تكاد تسلم منه [3].

هذه الأمراض كانت تعرض للخيل كثيرا وهذا ما حاولت تبيانه باختصار حتى لا يطول الشرح.

---

[1] ابن الإخوة،المصدر السابق،ص،65.

[2] – ابن سهل ،الأحكام الكبرى ،المصدر السابق،ص:232.

[3] _ الناصري،كامل الصناعتين في البيطرة والزردقة ج1،تح،عبد الرحمان ابريق،منشورات جامعة حلب،معهد التراث العلمي العربي،1413هـ_1993م،ص257.

أما داء الإبل فيتمثل بعضها فيما كانت تصاب به من كسور في أحد عظام قوائمها منها ما كان يجبر ولا يلتَّئِم جبره من شدة الحمل عليه فوق طاقته كما كان يصيبها الجرب،وهو (بثر يعلو أبدان الإبل)،ومنه العِرْ وهو قرح يصيب أعناقها مثلما يصيب ذنبها ،وأحيانا يكون متفرقا في جلدها إلى درجة يؤدي إلى سقوط وبرها،وقد يسلخ منه الجمل ،ومما يلحق الإبل من أمراض (الغدة)،هو نوع من الطواعين والجدرة التي تصيب عنق البعير والشوكة وهو مرضه كالطاعون والدارىء وهو ورم مع الغدة يكون في ظهر الجمال،والتهيج ورم الضرع و الخزب ورم في الجلد من غير ألم[1].

ورغم هذه الأمراض فقد اختصت الجمال بالصبر من الجوع والعطش كما أن لها إحساس يجعلها تتذكر كل من أذاها ،وقد تهاجمه في أوائل الشتاء و يدوم هيجانها أربعين يوما ، وهو ما جعل العلماء يفتون بإبعاد الجمل الصائل عن الناس تجنبا للإضرار بهم في تلك هذه الحالات أو قتله عند الضرورة[2].

ومن جهتها لم تسلم الأغنام من الأمراض ، ومنها الآبى وهو داء يصيبها في رؤوسها عندما تشرب أبوال الإبل ، والأمْهَة وهو جدري ،كما يصيبها في جلودها وتسترخى بطونها أو تهزل أو تنتفخ ، وقد تعاني من قروح في رئتها وكبدها بسبب الرعي في شدة الحر،والمذح وهو داء يصيب الخروف في خصيتاه بسبب الاحتكاك فتشققان والخُّمال والعُقاف مرضان بقوائم الشَّاه حتى تعوج ، والنقار داء يأخذها حتى تموت ،والنوال شبيه بجنون الغنم يقع في الشاة فلا تدفع القطيع وتستدير في مرتعها[3].

[1] _ سعيد بن حمادة،البيطرة والبيزة بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط،دراسات تاريخية _ مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية_الجزائر ،دار المنظومة ،مج 1،العدد 1،ص 102.

[2] _ الحسن الوزان ،المصدر السابق،ج1 ص261

[3] _ سعيد بن حمادة ،المرجع نفسه،ص104

كما كانت الدواب تصاب أيضا بالرطوبة التي تنزل من الدماغ في الدابة من نزلة تعرض لها من برد يصيبها ، فإن كانت تلك الرطوبة منتنة أعدت الدواب التي تقف معها ،وأهلكت الدابة في الغالب ، وإن كانت غير منتنة فقد تسلم[1] .

ومن النوازل المرتبطة بأمراض الحيوانات وما أصاب بعضها من حوادث محدثة للعلل ما أستفتي فيه أبو عبد الله بن مرزوق " عن ثور مرض وصار يرمي مصارينه قطعا قطعا من دبره ،كما سؤل عبد الله الصائغ عن شاة مريضة تأكل وترقد ،وربما مشت أيام فخاف عليها إبابها الموت ، في حين استفتي أبو سعيد بن لب في بقرة انكسر صلبها وشك في سلامة نخاعها فكشف عنه فإذا هو يشكل ، لكنه إذا اختبر وجدها قد انقطع ما في ذلك الغلاف[2]

وبعض هذه العلل كانت تحتاج إلى تدخل البياطرة[3] على أساس تجريبي قوامه " القياس الطبي" من قبيل عصب القوائم للدواب من بعض ما يصيبها من داء ،أو كيّها في مفاصل عنقها لمداواتها من الذباب الذي يصيبها ،أو تجمير الخيول لمداواتها مما يصيبها من الحَفا وذلك بحرق الرمل وفرشه في الأرض ،ويطأه الحصان بحوافره لمدة ثلاثة أيام[4].

وأما علاج الجمال من الجرب فكان يتم دهنها بالحناء والنفط وهما نوعان من القطران يتخذان من بعض النباتات كالعرعار ،يلين جلد الإبل وهذا الزيت كأنه دهن ألبان قليل السواد خفيف الرائحة يخالطه ماء، كما يخلط بول الإبل ببعرها وزهر الأعشاب وتترك لمدة حتى تعقد ثم يطلى بها البعير

[1]_ السقطي ،المصدر السابق،ص66.

[2]_ ابن لب الغرناطي ،تقريب الأمل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد (ت782ه)تح،حسين مختاري،هشام الرامي،منشورات محمد علي بيضون ،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان ،ط1424،1ه_2004م،ص:59

[3]_ معنى البيطرة :يعرف داوود بن عمر الأنطاكي (ت950_1008ه)علم البيطرة في تصنيفه أولى الألباب و الجامع للعجب العجاب،بقوله:"البيطرة علم بأحوال بدن المواشي وما يصلحها وما يحفظ عليها الصحة من جهة أخرى،ومن العلوم المحتاجة إلى الطب قطعا"فمعنى البيطرة:بطر الشيء أي شقه والبطر :الشقو يُبيطِر الدواب:يعالجها ومعالجته البيطرة ،والبيطار والبيطر والمبيطر:معالج الدواب وجراحها.أنظر:الناصري،كامل الصناعتين ،المصدر السابق ج1،ص8.

[4]_ سعيد بن حمادة،المرجع السابق،ص:105

المصاب بالجرب ،كما كانوا يداوون صغار الإبل من داء القرح وهو بثر يكون في قوائمها وأعناقها ،ينضحها بالماء ثم جرها بالتراب ،في حين كانت تهدأ الجمال التي في حالة هيجان بتقطير عصير الفودنج[1] في أنوفها[2].

حتى الأوبئة أو الموتان كان لها جانب لا يستهان به في إحداث الضرر بالحيوانات ،حيث ذكرت في النوازل "أن الناس تحرز من الموتان الذي يكون عاما في المواشي وغيرها من الحيوان "،يضاف إلى الوباء "الطاعون"وهو مرض بكتيري حاد مشترك بين الإنسان والحيوان ،مثل الوباء العظيم الذي ضرب المغرب والأندلس سنة(344هـ_955م)[3].

كانت المهن البيطرية تخضع للمراقبة من قبل المحتسب ،لذا فقد أوصى ابن عبدون البيطري بأن تكون صفائح الدواب وافرة الرؤوس ،ومكابير التسمير يجب أن تكون مطبوخة قاطعة جدا فإن زيادتها مع شدة الضرب عليها تصدع الحافر وتبطل الدواب[4].

ومما يحتم مداواة الحيوان أن لحومها وبعض أطرافها كانت تستخدم أدوية للعديد من الأمراض فرئة الجمل كانت تستخدم لعلاج الكلف ،و الإفراط في تناوله يسبب العمى و وبره يوقف الرعاف والنزيف إذا أحرق وأن مخ ساق الجمل يساعد المرأة على الحمل وبوله نافع من الإستسقاء والجروح ،والمقصود ببول الإبل ،حسب الزهراوي هي أقراص مستخرجة من تجفيف أبوال الجمال بعد

[1]– أجناسه ثلاثة بري ونهري وجبلي ،فأما البريفهو نبات معروف وهو اللبابة ،ورقه مدورة شبيهة بورق الزعتر ،وهو نبات ملطف للأخلاط الغليظة اللزجة التي تخرج بالنفث من الصدر والرئة،ينظر:ابن البيطار،المصدر السابق،ص:233.

[2]_ سعيد بن حمادة ،نفسه،ص:106

[3]_ نوال بلمداني،نظام الرعي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (4_5هـ/10_11م)،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي، إشراف ،فاطمة بلهواري،جامعة وهران،كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية،2014،2013،ص:63.

[4]_ ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة،المصدر السابق،ص:36.

علفها نوع من الحشائش الموجودة باليمن[1]، وحسب ابن بيطار هو شيء يوجد في جبال مكة وغيرها قطع سود متحجرة تعرف بصَنِ الوبر، تجلبه العربان فتأخذه التجار في قترصونه ، ويسمى إذ ذاك بول الإبل ،وكانت هذه المستحضرات الصيدلية الحيوانية تعكس البعد التجريبي للبيطرة و الصيدلة بالمغرب و الأندلس[2].

2- الرفق بالحيوان والعناية به:

وردت هذه المعلومات شحيحة في كتب الفقه والنوازل وفي كتب الحسبة ،وكتب الفلاحة وبينت هذه الإشارات أن فقهاء ببلاد المغرب ،وهم الذين كانوا يمثلون السلطة التشريعية حيث وقفوا بصرامة وحزم ضد أي انتهاك في حق الحيوانات ، واعتبروا هذا واجبا شرعيا فأنكروا على من يعذب الحيوان أو يؤذيه ويسيء معاملته، سواء كان معتمدا أو غير معتمد ولم يقبلوا حجة صاحبها في كونها ملك له ، فحق ملكيتها لا يبيح تعذيبها وقال الونشريسي صاحب كتاب المعيار" إن الحيوان محترم وحفظ النفس واجب[3]" ولم يتوقف عملهم في هذا الباب على الإفتاء والإنكار بل تجاوز إلى الرقابة وتسليط العقاب على من يعذب الحيوان وينتهك حقه ، وظهرت ممارستهم لهذا العمل الرقابي في أكثر الأماكن التي ترتكب فيها إساءات للحيوان، مثل مذابح الجزارين والأسواق التي يكثر فيها النقل على الدواب والمزارع التي يعتمد فيها الفلاحون على الحيوانات في العمل كما وأولو أصحابها العناية الفائقة بها لحاجتهم الشديدة لها وهذا ما سنفصل فيه في المتن التالي.

---

[1]– أبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي(325هـ-404هـ)،الزهراوي في الطب لعمل الجراحين،تح،محمد ياسر زكور،منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ،دمشق،دط،2009.

[2]_ سعيد بن حمادة ،المرجع السابق،ص:106.

[3]- الونشريسي ،المصدر السابق ،ج2 ،ص501.

2_1- الرفق بالحيوانات عند الذبح:

خضعت عملية ذبح البهائم في أسواق بلاد المغرب للمراقبة ، ولم تترك لأهواء الجزارين و نزواتهم لأن الإسلام فرق بين ذبح الحيوانات لأكلها والانتفاع بها وبين قتلها للمتعة أو التنافس أو غيرها[1] ،فحرم الثانية وأباح الأولى ،لكنه اوجب على المسلم مراعاة الإحسان إليها حتى عند ذبحها لقوله صلّى الله عليه و سلم ﴿إنَّ الله كَتَبَ الإحْسَان عَلَى كلِّ شَيءْ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوْاَ القِتْلَة، وَإِذَاْ ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوْاَ الذَّبْحَ، وَليُحِدَّ أَحَدَكُمْ شَفْرَتَه، فَليُرِحْ ذَبِيْحَتَهُ﴾[2]،ذلك حرص المحتسبون ببلاد المغرب على حسن معاملة المواشي عند الجزارين ،فيراقبون طريقة معاملة الحيوان قبل ذبحه ،ويلزمون الجزارين بألا يجروا الشاه برجلها جرا عنيفاً وأن يضجعوها برفق[3] وكان من مهام المحتسب الأساسية أن يقف على الجزارين وحوانيتهم "...ويعلمهم سنّة الذبح ومن سنته حد الشفرة ويتوارى عنها إذا قدمها للذبح ويرفق بها عند ضجعها ولا يعنف عليا ولا يقرع قوامها بالسكين قبل أن تموت كما يفعل بعض الجزارين ،فإنه مكروه ويؤمرون ألا يذبحوا شاة وأخرى تنظر إليها... ويؤمرون بصرف الذبيحة على شقها الأيسر والرفق بها ،وهذه كلها أمور شرعية ملزمة يؤجر فاعلها وتضمن التخفيف على الحيوان[4].

واهتم فقهاء المالكية ببلاد المغرب بآلة الذبح ،فاشترطوا أن تكون السكين المستعملة في الذبح من الحديد وأجمعوا على كراهية الذّبح بغير الحديد مع وجود الحديد لأنه أكثر راحة للحيوان عند

---

[1]- موسى لقبال ،الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها و تطورها ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،طبعة 1971م ،ص20-21.

[2]- البخاري ،صحيح البخاري ، دار ابن كثير ،دمشق ،بيروت ،ط1423ه/2002م ،كتاب المساقات ،باب فضل سقي الماء ص501.

[3]- ابن عبد الرؤوف ، المصدر السابق،ص93.

[4]- عبد الرحمان بن نصر الشيرزي ، نهاية الرتبة بطلب الحسبة ،تح، السيد الباز العريني ،دار الثقافة ، بيروت ،لبنان ،ط2 1401ه/1981م ،ص27.

ذبحه ،واشترط بعضهم أن تكون سكاكين الذبح طويلة[1] ،وكانوا يلزمون الجزارين بأن يحدو الشفرة أو السكين الذي يذبحون به لأن حد السكين سنّة أمر به النبي الكريم صلّى الله عليه وسلم رحمة الذبيحة و نهوا أن يذبح أحدهم بسكين كآلة[2]، وهي السكين غير حادة ،لأن الذبح بها يعذب الحيوان ،ولهذا اعتبر أجاب أحد فقهاء المالكية بأن الذبح بمنجل الحصاد المضرس أو المنشار قتل للبهيمة وليس ذبحا ،و نهى عنه النهي الشديد لأنه يعذبها ،لكن بعض المتأخرين أفتى بجواز تذكية المنجل الذي دثر سنه وأصبح كالسكين شرط أن يذبح به ذبحا حسنا[3].

وفي حال وجدت مخالفة في الذبح ،لا يتوانى الفقهاء عن تأديب مرتكبيها،فعندما سُئل الفقيه أبو الحسن القابسي(ت403هـ/1012م) ،عن رجل أراد أن يذبح تيساً فعمد عن موضع منبت الشعر من شدقيه ،فسلخ الجلد من ذلك الموضع إلى أن بلغ المذبح ثم ذبح ،فأفتى بأن يؤدب هذا الرجل الأدب الوجيع حتى يصبح عبرة لغيره ولا يعود واحد إلى هذا الفعل[4] .

2_2- الرفق بالحيوانات في الأسواق :

حرص المحتسبون في أسواق بلاد المغرب أيضا على منع أي أذى يقع للحيوانات خاصة تلك التي كانت تستعمل في النقل ،ومن الشواهد على ذلك ،أن الإمام عبد الرحمن بن قاسم المصري (ت.191هـ/806م) أفتى بتضمين الرجل الذي يرش بين يدي حانوته رش كثيرا فتنزلق الدواب وتنكسر إلا أن يكون الرش شيء خفيف وهي عقوبة مالية من شأنها أن تردع صاحب الحانوت لكي

[1]- ابن الإخوة محمد القرشي ،معالم القربة في أحكام الحسبة ،تح ، روبن ليوى ،مطبعة دار الفنون باكوبرج ،1637م دط ،ص89.

[2]- كالة: السيف و السكين و غيره من الشيء الحديد إذا لم يقطع فيقال له كَلّ يكِلّ كَلاً و كِلَةً فهو كليل و كَلٌ أي بين الكِلة انظر ابن منظور ،المصدر السابق ،مج 3،ص879.

[3]- ابن عبد الرؤوف ، المصدر السابق ، ص93. الشيرزي ، المصدر السابق ،ص27.

[4]- الونشريسي ، المصدر السابق ،ج 2 ،ص30

لا يعود إلى أمر يؤذي الدواب[1] ،كما اعتاد بعض من سمتهم المصادر جلابي الحطب والتبن ونحوهم أن يقفوا بدوابهم في الدروب والطرقات وربما يطيلون الوقوف والحيوان مثقل بحمله فكان على المحتسب أن يمنع ذلك ،ويأمرهم بوضع الأحمال عن ظهور الدواب لأنها إن وقفت والأحمال عليها أضرتها وكان في ذلك تعذيب لها[2]،كما ارتكب حمالو الزرع والنقالي الحجارة والجس والخدمة من الزمالين وغيرهم ،كثيرا من المخالفات إذا كانوا يؤذون البهائم ويعنفونها ويرهقونها في سرعة المشي بالضرب والزجر الشديد ،فمنعهم الفقهاء من هذه الممارسات بأن يتقوا الله سبحانه و تعالى في استعمالها، وأن يريحوها في كل يوم وليلة في حاجاتها للراحة والسكون[3] .

أما ابن عبدون[4] فقد أمرهم في رسالته بأن لا يترك منهم أحدا يثقل على الدواب"... وإن ظفر المحتسب بمن يفعل ذلك أدبه ،كما منعوا أن يحمل على أحدهم على الدواب دون إكاف[5].

2_3- الرفق بالحيوانات في الفلاحة:

تجاوزت عناية الفلاحين بمواشيهم خوفهم على ضياع أموالهم بضياعها إلى إكرامها والرفق بها في سائر أحوالهم ،ومن الأمثلة على ذلك ،أنهم كانوا يشترطون في عقود الاستئجار التي يوقعونها مع الرعاة أن يلتزم الراعي بالرفق بالحيوان وتخير المسارح لها [6]، ومن المعروف أن هناك أنواع من الحيوانات كانت هي الآلة الأساسية التي تستخدم في أعمال الفلاحة المختلفة من حرثٍ و سقيٍ ودراسٍ ونقل وغيرها، واختلفت الأنواع المستخدمة باختلاف المناطق وبثرائها الفلاح أو فقره ،إذ

[1]- أحمد بن سعيد المجليدي ،التسير في أحكام التسعير ،تح، موسى لقبال ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،ط1 1970م ،ص70.

[2]- ابن الإخوة ، المصدر السابق ،ص78.

[3]- ابن الإخوة ، المصدر نفسه ،ص:79.

[4]- المصدر السابق ،ص:41.

[5]- إكاف هو رحل صغير على قدر السنام و يعرف أيضا بالقتب و القتب ، و هو معروف عندنا بالبردعة و دوره هو حماية ظهر الدابة من الأشياء الثقيلة أو الحادة التي تحمل عليه ، أنظر ابن منظور ، المصدر السابق ،ج1 ،ص:66.

[6]- عبد الواحد المراكشي ،وثائق المرابطين و الموحدين ،تح، حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،1997م ص:485.

كانوا بالمغرب الأقصى يحرثون بالخيل والحمير ،بينما شاع في بعض الجهات استخدام الإبل لجري المحراث، وكان بعض الفلاحين من أهل الصحراء يحرثون الأرض بزوج من فرس وجمل لأنهم لا يملكون البقر[1]،و نبهت المصادر أكثر من مرة إلى ضرورة العناية بالبقر ونصحت الفلاحين بعدم إرهاقه بالعمل لكي لا يمرض و يتلف ومن ذلك أهل الخبرة بالفلاحة ، نصحوا بالعمل ليلا في الأرض الصلبة التي تحرث بأيام الصيف الحارة ،لأن الشمس القوية قد تمرض البقر وأن تحرث عوضاً عن ذلك بالمعاول الوثيقة الكبار[2]،وإذا ما اضطر الفلاحون إلى الحرث نهاراً ، فعليهم أن يقرنوا البقر أربعة في محراث واحد ولا يقرنوا زوجا واحدا فقط لصلابة الأرض وشدتها ولم يتوقف الرفق بالبقر المستعمل في الحرث أيام الحّر الشديد عن هذا الحد ،فقد كان الفلاحون يحملون معهم أثناء عملية الحرث ماءاً باردا ليمسحوا وجوه البقر و أعناقها بالماء ويرش منها على رؤوسها فتتروح بذلك ويخف عليها ثقل التعب [3]، كما نصح أهل الفلاحة بتجنب بعض أنواع الحرث التي تتعب البقر مثل نوع اشتهر في الأندلس باسم "الرتيلة" وهو حرث يعمله بعض الناس في أول نزول المطر متباعد الخطوط يتعب البقر ولا خير فيه [4]، وقد يحدث أن يرقد الثور أو الزوج معا ويرفضا القيام بالعمل ،وفي هذه الحالة على الفلاح أن "...يجعل له ما يقيمه به ،ومن غير أن يقصد إلى مضرته أو ما يفسده من الجرح والكسر وغيره من المضار[5]، وكان المحراث يربط في أعناق الإناث من البقر ،أما الذكور فيربط في رؤوسها ،وإذا كان ربطه في رأس الثور لا يسبب مشكلة لكون الحبل يلف على قرنيه ،فإن ربطه في عنق البقرة أو في أعناق الدواب الأخرى مباشرة ،فقد يجرح أعناقها ويؤذيها ،لذلك استعان الفلاحون بلا شك بشيء يربط فيه حبل المحراث ،لكن المصادر لا تذكر شيء عن هذا

[1]- الحسن الوزان ،المصدر السابق ،ص:117.

[2]- ابن العوام ،المصدر السابق ،ص:65.

[3]- ابن وحشية ،الفلاحة النبطية ،ج2، تح ،توفيق فهد ، منشورات المعهد للدراسات العربية بدمشق ،دمشق 1993، ص:334.

[4]- ابن العوام ، المصدر السابق ،ج2 ،ص:38.

[5]- نفسه ،ص:39.

الموضوع إلا أن ابن منظور الإفريقي يذكر خشبة توضع على أعناق الثيران يسميها المضمدة ،يكاد وصفها ينطبق على طوقٍ يستعمله الفلاحون الجزائريون الذين مازالوا يحرثون بالحيوانات إلى اليوم ،وهو طوق يصنع من الخشب ويلف بقماش أو جلد ناعم ،يوضع على عنق الدابة ،ويخرج من هذا الطوق خشبتان تشبهان قرني الثور ،في نهاية كل قرن منها حلقة من حديد يربط فيها المحراث بحبل[1].

2_4- تغذية الحيوان:

واعتنى أهل بلاد المغرب بغذاء الحيوان المستغل في الحرث ،لكونه يقوم بواحد من أكثر الأعمال صعوبة على الإطلاق ،لذلك اشترطوا على الخمّاس القيام بالبقر والاحتشاش لها ويكشف لنا السخاوي عن ذلك بقوله :" اقتناء الماشية على أصنافها صالح حسن نافع مع الأمن الشامل وقلة الأعداء وكثرة الناصر وتفقد المالك لها ومراعاته مصالحها في كل وقت ووجود الأعوان الخبيرين بسياستها وادخار ما ترفق به من علوفتها في صميم الشتاء وما يصلح رعاتها به من المؤن والكسوة[2].

وتمثلت أهم مادة للتعليف في الشعير والعشب والحشائش الخضراء و التبن ، فقد وردت إشارة لدى ابن الصغير عن تقديم الخادم علفا لفرس أبي اليقظان محمد بن أفلح(ت281هـ/894م) من بيت المال[3] ، لكن دون تحديد نوع هذا العلف.

قدمت بعض النصوص النوازلية أهمية علف الشعير من خلال طرح علي ابن لبابة عن البقر التي لا تأكل العلف أو التبن،فأجاب"هو عيب إلا إن عرفه البائع ببلده وعلم أن ذلك البلد لا تعلف فيه

[1]- الونشريسي ،المصدر السابق ،ج6 ،ص:55.

[2]- السخاوي ،تحرير الجواب عن ضرب الدواب ،تح، أبو عبيدة مشهور حسن ،أبو حنيفة السيقرات ،بحث منشور في مجلة الحكمة ،1415هـ/1994م ،ع4،ص:230.

[3]- ابن الصغير ،أخبار الأئمة الرستميين ، تح ،محمد ناصر الأستاذ ،إبراهيم بحاز،دارالغرب الإسلامي، بيروت ،لبنان،1986م ص:101.

البقر فليس له القيام وهذا ما ذكره الونشريسي كذلك [1] ، وتزداد الحاجة إلى العلف في فترة الحرب أكثر من غيرها ،لأن الحيوانات تبذل مجهودا مضاعفا وتزيد الحاجة إلى قوتها ونشاطها ،لذا كان التبن من المواد التي يجب الاعتناء بتحصيلها في أوانها وحفظها.

ولأهمية فضل التبن وما يقع من اختلاف حولها سئل ابن أبي يزيد عما بقي منه بالأرض المغصوبة ،هل يجوز رعية بمنزلة الكلأ أم لا؟فكان جوابه :" إن كان مالا يرجع إليه فلا بأس برعيه ،والفقير به أسعد وأحب إلى من الغني " ضف إلى ذلك الإشارات الواردة ضمن بعض المصنفات الاباضية الدالة على اهتمام الأفراد بإطعام دواب الضيوف باعتبار أن "علف دابة الضيف أهم من طعامه "[2]،لكنها لم تحدد نوع العلف.

وكانت هذه الأقوات المخزنة تظهر وقت الشدة من مجاعات وحروب ،لذا حرص الخليفة الفاطمي أبو القاسم (322هـ_334هـ) على أن يُدخر بالمسيلة كل ما يحتاج إليه وقت الضرورة من حبوب وهذه الأخيرة مثلت أهم مخزون للأهالي ،على رأسها الشعير كمادة أساسية لعلف الدواب،وتعيش البهائم عليه في كل الأوقات إلى غاية بداية فصل الأمطار ،حيث تزرع بعض الحقول بالشعير المبكر،حتى إذا ظهرت خضرته وغطت الأرض ترك المواشي والدواب لترعاه ويعرف عندئذ بالقصيل[3]

.

[1]_ المعيار ،المصدر نفسه،ج6،ص:190

[2]_ ابن الصغير المالكي ،المصدر السابق،ص101.

[3]_ القصيل : القصل وهو القطع،والقصيل ،ما إقتصل من الزرع الأخضر،أنظر ابن منظور ،المصدر السابق، ج3ص:105

وينوه الغبريني إلى أنه "علف الدواب"،ويترك في الغالب للفترة التي يعاني خلالها الرعاة المستقرون بسبب استهلاك المراعي و تقلصها خلال فترة الصيف"[1] ،والقصيل "يجب أن يعتمد بزراعته الأرض الطيبة الكثيرة الدمن ،وأن تكون قد أزبلت زبلا جيدا قويا"[2].

ولو قسمنا حاجة الحيوان للغذاء سنجد أن البقر والأغنام تحتاج إلى التبن في الشتاء ،وهو ما يؤكده ابن العوام بقوله:" وينبغي أن يدخر للأغنام والأبقار من العلف ما يقوم بها في أيام اشتداد البرد ونزول الثلج والجليد ،وأجود العلاف ورق شجر البلوط وأتبان الفول...فإذا اشتد البرد ونزل الثلج أعطيت هذا العلف وجعلت في أماكن كنينة تقيها من الأمطار وخاصة المعز فإنه لا فلاح له في زمان المطر والبرد و الثلج إلا في الكن الكنين الدافئ فإنه أن تمكن منه البرد قتله"،غير أن أبقار الحليب وثيران الجر اللازمة للحرث تكلف طعاما كثيرا لثقل عظامها وحبها للماء ،لذا وجب توفير الحشائش والذرة والشعير لها في بعض الأحيان .

وذكر ابن البيطار[3] ،نبات الكرسنة[4] وحبه فهو مفيد يقوي البقر ،فإن أعلفت الإناث منه و إناث الماعز وغيرها من ذوات الأربع كثر لبنها ،وليس يوافق حوامل الضأن ،أما الغنم ،فالداخن منها تعلف الفواكه والحبوب والراعية تأكل الحشيش الرطب ،وبالمقابل لا يتساوى الخيل في العلف إذ يحتاج المستخدمة للركوب من ثلاثة عشر إلى خمسة عشر رطلا ،مع العلم أن الدابة ليس لها حد محدود في العلف ،بل تأكل حتى ترفع رأسها عن شبع،خاصة وأن منها الرغيب فيه ومنها الزاهد فيه ومنها قليل الأكل من الشعير "،ويفضل تعليف الدواب الشعير الجديد في فصل الشتاء ،والشعير البالي في زمن الحر ،وكيفية إطعام الفرس وسقيها يفسدنا ابن العوام "ينبغي أن يكثر عليه سقي الماء في كل

[1]_الغبريني ،عنوان الدراية،المصدر السابق،ص165.

[2]_ الطغنري،المصدر السابق،ص405.

[3]_ ابن البيطار،الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ج1،دار الكتب العلمية،بيروت،دط،2001،ص،340.

[4]_الكرسنة شجيرة صغيرة دقيقة الورق والأغصان لها ثمر في علف،أننظر:ابن البيطار ،نفسه،ص341.

وقت وساعة ،وأول النهار و آخره ثم يعلف بالغداة ثلث علفه من الشعير وفي وسط النهار يشبعه اللفت[1] وفي آخر النهار يعلفه ثلثي الشعير "،كما أن الدواب تشبع من البقل فينفعها ذلك وينفع ما في بطونها[2] .

علفت البهائم ببلاد المغرب نوى التمر حسب ما أفاد به الونشريسي قائلا "سئل السيوري (460هـ_1067م)عمن دق نوى التمر ببيته لبقره وبيتهم في الشتاء في بيته أراد الجار منعه من ذلك ،فأجاب يمنع من دق النوى لأنه يضر بالبناء وحس سماع الضرب يضر بالساكن إلا في بعض الأوقات وإذا تكرر الأمر منع منه،أما تبيت البقرة في بيت المالك فلا مقال له وليس عليه ضرر "[3].

وعليه نستنتج أنه كانت هناك طريقة أخرى لتوفير العلف للدواب ،والظاهر من خلال إحدى النصوص النوازلية أنها كانت تباع في الأسواق بثمن معقول ،أما بالنسبة للمغرب الأوسط فلا نستبعد تعليف النوى ، بالمناطق الصحراوية المعروفة بقلة حبوبها ووفرة تمورها .

2_5- إيواء الحيوانات:

ومن أوجه الرفق بالحيوانات والرعاية بهم عمل سكان المغرب الأوسط على إيواء حيواناتهم حفاظا عليها من السرقة والسِبَاعْ أو العوامل الطبيعية المختلفة ،فقد ذكر الجغرافي البكري[4] (ق5هـ/11م)حين تحدث عن أهل مدينة "تبسا" ،أنها كانت وافرة الماشية وأن أهلها كانوا يدخلونها زمن الثلج و الشتاء في أقباء ،يسع القبو الواحد ،ألفي دابة و أكثر ،وهذا لحمايتها من البرد الشديد وهو نفس الأمر الذي كان يفعله رعاة الجبال في المغرب الأقصى حيث يدخلون مواشيهم أيام الثلج في كهوف ،ويجعلون فيها كميات كبيرة من العلف ،لأن الثلج يستمر هناك لفترات طويلة ،ويذكر

[1]–داوود الأنطاكي،تذكرة داوود الأنطاكي،ج2،الرقم828، كتابخانه مجلس شوراي ملي،رقم 23.

[2]_ مجهول، البيطرة وما يتعلق بالدواب ،الرقم،45،مكتبة جامعة الرياض،قسم المخطوطات ،ورقة61

[3]_ الونشريسي،المصدر السابق،ج

[4]_البكري،المصدر السابق،ص:145.

حسن الوزان[1] (ق10هـ/16م)أن بعضهم يقوم ببناء شبه إسطبلات منخفضة مغطاة بأغصان الشجر ليخبئوا فيها حيواناتهم بالليل ،في حين يوقد البعض الآخر نارا شديدة قرب الزرائب لتدفئة المواشي ،وهؤلاء لم يكونوا يحيطون هذه الزرائب بسياج عال لأن الرياح تحمل النار إليها أحيانا ،فيسهل خروج المواشي.

كما وعرف مكان وضع الحيوانات بالعريش[2] وهذا المصطلح مكان تخييم الدواب ،قال الزمخشري"قال أبو عبد الله محمد بن بكر ،أنظروا العَريش :يعني بها عريش داره ،فنظروا فإذا فيه كبش عظيم "[3]،إذا العريش هو الزريبة التي تؤخذ عادة جنب البيت لوضع الماشية من الغنم والبقر وغيرها.

كما منع المحتسبون الناس من اتخاذ مرابط الدواب على الطرق ،وعنه يفيدنا ابن عبد الرؤوف قائلا:"ويمنع حمال الحطب وغيرهم عن توقيف الدواب بأحمالها حتى يباع ما عليها ويؤدبون إن عادوا"[4]،فالأحكام الفقهية كانت متشددة في ذلك ،وظهر تأثيرها على تحديد مواضع الإسطبلات المستقلة أو الملحقة بمنشآت أخرى ،وتوجيهها توجيها معماريا معينا ليمنع حدوث الضرر.

وإذا تحدثنا عن مرابض الإبل فيجب أن نؤكد على نظافتها ،لما في ذلك من ضرر لها ،لذا كان أحمد ابن الحاج اليبدري"يخدم فرسه بيده ،يرمي عليها الزبل ،ويعلف لها الشعير"،مع العلم أن الخيول تحتاج إلى فرش إسطبلها بسرجين يابسا مغربلا ،أو مرملا ولا يترك في البيت روث ولا بول وإذا حدث شيء من هذا ،يرمى ما ابتل من الرمال ويعاد مكانه آخر يابسا أو سرجينا ،ويضيف الأصمعي أن

[1] _ حسن الوزان،ج 1،المصدر السابق،ص:187.

[2] _العَريش بفتح العين هو مكان تخيم الدواب ،جمع عريش عرش ،المظلة من القصب ونحوه،أي بنى بناء من خشب يستظل به،أنظر:أبن منظور ،المصدر السابق،ج1،ص665.

[3] - عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري،الكشاف ،مكتبة العبيكان ،الرياض،ج1418،1هـ،ص:22.

[4] _ابن عبد الرؤوف،المصدر السابق،ص،106.

الناقة التي تبرك على بول أو ندى فإن لبنها يتعقد في ضرعها فيخرج خاثرا متقطعا أما الرعاة فلم يكونوا بحاجة لبناء إسطبلات لتنقلهم الدائم ،وحافظوا على حيواناتهم بطرق تتلائم مع ظروفهم ،فيحيطها بعضهم بسياجات عالية جدا من الأشواك[1].

ويتضح مما سبق أن أهل بلاد المغرب في العصر الوسيط،كانوا حريصين على العناية بالحيوانات والرفق بها وأنهم عملوا على تطبيق النصوص الشرعية ،وحولوها إلى ممارسات يومية في أسواقهم وحقولهم وجعلوا الرقابة في الأسواق تراعي حقوق الحيوان كما تراعي مصلحة الإنسان وتعاملوا مع الحيوان باعتباره كائنا ذا روح يتألم ويشعر ،ولم ينظروا إليه كشيء من المتاع وهذه نظرة راقية لا نعتقد أن أمة سبقت إليها ،حيث قوبلت المخالفات والاعتداءات على حقوق الحيوان ،من طرف الفقهاء والإنكار والزجر ،وتراوحت العقوبات بين المعنوية ،والمالية ،وحتى الجسدية أحيانا[2].

المبحث الثالث :أسعار الدواب.

تشير المصادر التاريخية إلى تباين أسعار الدواب بالمغرب الإسلامي نتيجة تزايد الاهتمام بهاوأهميتها في النقل والتنقل [3] ،في العصر الوسيط ،ناهيك عن استعمالها في المجال الزراعي والتجاري كما ذكرنا سالفاً.

فقد بلغت في الأندلس مستويات قياسية منتصف القرن الهجري سنة 337هـ ،حتى ترواح سعر البغل الحسن والسريع من مائة100 إلى مائتي 200 دينار ، وكانت سعر البغال :"تجلب من قرطبة بغال قيمة الواحد منها تبلغ خمسمائة دينار 500 شكلها وألوانها وعلوها وصحة قوائمها ،سعر لبود

[1]_ هواري موسى،نماذج من الرفق بالحيوان في بلاد المغرب خلال العصر الوسيط،مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والإجتماعية،مج12،عدد1،جانفي2020،ص:74.

[2]_هواري موسى ،المرجع السابق،ص،76.

[3]- استعملت الحمير المسرجة في التنقل من البيوت إلى الأسواق وقد شدد المحتسبة على منع ذلك،كما كان الباعة يجهزون البغال والخردوات والعطور بالأوعية باللازمة للمشترين،ينظر:ناصر خسرو،سفرنامة ،تر،يحي الخشاب،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1993،ص:120.

ثلاثينية من 50 إلى 60 ديناراً ،واشتهرت بغال مدينة ارنسيا سعر الواحد منها 700 ريال ،كما اشتهرت ألبيسو بالبغال الجيدة[1].

كان النخاسون يشرفون على البيع بالخيار،شاع البيع بالخيار*[2] في الحيوانات والعبيد والجواري ،فقد يشتري الرجل الدابة على أساس الخير مدة ثلاثة أيام أو أسبوع أو أكثر من ذلك حسب الاتفاق بين المتابعين على أن تتم البيع ولا يقبض البائع نقده إلا بعد مرور مدة الخيار وربما كان بعض المتابعين يقومون ببيع ما اشتروا في مدة الخيار وذلك لأنه يريد أن يختبر ثمنا ليعرف رخصها من غلائها أو لأنه يريد الربح وكان في هذه الحالة أن يحلف على أنه باع بعد أن اختار[3].

وأمثلة البيع بالخيار والذي استفتى فيها فقهاء المغرب الأوسط عن "مبتاع نصف رمكة*[4]بشرط تحمل مؤونتها كلها و مؤونة ما تنتجه مدة شركتها ويختص المبتاع بركوبها هل البيع فاسد أم لا؟ فأجاب بأن البيع فاسد ،لأن الشرط في أصل البيع ،ويكون البيع فاسداً ،لشرطه المجهول.[5]

أثارت مسائل الشراكة في البهائم بعض المشاكل بين الشركاء و هذا ما ذكره المازوني في فتاوى تتعلق بهذه المسائل حيث سئل أبو عزيز عن رجل اشترى ثوراً أو نحوه ويولي آخر نصفه بثمنه مؤجلاً ،على أن يخدم له ذلك الثور ويعلفه ويسمنه ويبيعانه معاً ،ويأخذ المشتري نصف الثمن ثم يقسمان

---

[1]- أحمد بن المهدي الغزال،نتيجة الإجتهاد في المهادنة والجهاد ،رحلة الغزال وسفارته إلى الأندلس،تح،إسماعيل العربي،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1980،ص:108.

[2]- الخيار أو خيار الشرط: و يسمى خيار القروي و هو ما يشترطه العاقدين أو كلاهما عند العقد ينظر هل يمضي في البيع أو يتركه و ذلك من خلال مدة معلومة لا يجوز تجاوزها ،فالخيار إلى أمد تفوت فيه السلعة بيد المشتري غالبا ما تكون ثلاثة أيام فإن زاد بطل البيع كما يجوز دون ثلاثة أيام ،و رأى الفقهاء المالكية جواز خيار التروي على قدر الحاجة و كل مبيع بحسبه نظرا لإختلاف أجناس المبيعان (عروض ، دواب ،عبيد) فعن الدواب تكون مدة الخيار فيها من يوم إلى ثلاث من وقت إمضاء عقد البيع ،أنظر ،الونشريسي ،المعيار ،ج5،ص247.

[3]- جمال أحمد طه ،مراقبة الأسواق الإفريقية و تنظيمها و طرق التعامل المختلفة بها خلال العصر الأغلبي 184هـ/800م - 297هـ/909م مجلة العصور ،مج5،ج1، 2005، ص:65.64.

[4]-*الرمكة: مصدر رمك ،وهي الفرس المتخذة للنسل و البردوذة ،أنظر ابن منظور ،لسان العرب ،مج3 ،ص173.

[5]- الونشريسي ،المعيار ،ج5 ،ص94.

الزرع هل يجوز أو لا؟ ،الجواب إن كان اشتراه من مالكه ثم باع نصفه منه واشترط عليه سياسته مدة ملعونة والى أجل معلوم وكذلك الثمن صح البيع وإلا فلا.

وفي نازلة أخرى سُئِل أبو عزبز البجائي رجل بينه وبين آخر بهيمة ،باع أحدهما حقه ،هل للشريك الدخول معه فيما باع نصيبه ،الجواب :ليس لدخول الشريك مع شريكه إلا فيما يكون بينهما وفي نازلة أخرى و رد عنوانها "شراء حماره فوجدها عاقراً."سُئِل أبو الفضل العقباني :"عن رجل اشترى أتاناَ ،فألقاها عاقراَ هل يجب الرد؟ الجواب هذا عيب مما يوجب نقص ثمن البيع لا ترد إلا بعد إقرار البائع ذلك[1].

شدد الفقهاء على التروي في شراء الدواب و براءة مالكيها من الغصب وفي هذا سُئِل الوغليسي هل تجوز المعاملة في الدواب أم علم أنها مغصوبة؟

الجواب: لا يجب استخدامها ولا شراؤها إلا بإذن المغصوبة منه والتخلص من التبعات بدفع قيمتها وقيمة أمهاتها إلى المالك الأصلي[2].

أما عن الخيول كما ذكرت سالفاً أن أفضل الخيول في مناطق المغرب الأوسط هي خيول الراشدية إذ لها فضل على سائر الخيل فقد بلغت أسعار الخيل غلاءاً فاحشاً ،في مناطق السودان حتى بلغ الأصل الواحد منها ،100 مثقال ذهب ،وأقد أشار العمري إلى غلاء الخيل في مملكة مالي التي قاعدتها مدينة بني بلاد مغازة التبر يحملون إليه التبر كل سنة [3]وغلاء أثمان الخيل أم الشعير فلا ينبت عندهم[4] ،مما لا شك فيه أن التجار المغاربة على غرار تجار المغرب الأوسط كانوا يسرقون خيلهم في هاته المناطق لغلاء أسعارها وحصد أرباحه فائضة علاوة على الأرباح التجارية ولعل إشادة

[1]- المازوني ،الدرر المكنونة في نوازل،مازونة ،تح، مختار حساني ،دار الكتاب العربي،ج3 ،دط،دس،ص150.

[2]- المازوني،المصدر السابق،ج4،ص:121.

[3]- العمري ،مسالك الأبصار ،ج4 ،المصدر السابق ،ص60.

[4]- نفسه ،ص66.

الوزان بتجار المغاربة إلى تمبكتو دليل قوي على تأكيد هذا الطرح بقوله "تصل أيضا إلى تمبكتو أقمشة أوربا يحملها تجار بلاد البربر[1]" وهناك يتم شراء الخيل من تجار البربر مع القوافل[2].

أشارت النوازل إلى مسائل هامة تتعلق بالشراكة في الخيول ،فقد سئل عبد الرحمن الوغليسي مفتي دلس[3] عن شراكة بين رجلين في 05 خمسة من الخيل كانت القسمة لرجل03 والآخر 02 ،متفاوتة القيمة ،قيمة الخيل الخمسة320 ديناراً و قيمة أحدها من حصة 03 ،20 دينارا ،ظهر بالخيل ذات 20 دينارا عيب ؟" عن رجلين كانت بينهما شركة في خمسة من الخيل بالإنصاف فتقاسماها فجاء ثلاثة من جهة و اثنان في جهة و هي متفاوتة في القيمة و قسمة الجميع ثلاثة مائة و عشرون دينارا فما يكون بينهما في المعيب مشاحة و مع أن الخيل وقع الفوات فيها[4].

جدول يوضح أسعار الخيل

[1]- الوزان ،وصف إفريقيا ،ج2 ،المصدر السابق ،ص165-166.

[2]- نفسه ،ص166.

[3]- دلس: تبعد عن بجاية 70 ميلا في البر و 90 ميلا في البحر تبعد عن الساحل 39 ميلا تشتهر بالصباغة تتوفر على والأسماك ،حسن الوزان ،ج2 ،ص42/الإدريسي ،م1 ،ص259.

[4]– المازوني ،الدرر المكنونة ،المصدر السابق ،ج4 ،ص58.

المادة	النوع و الكمية	مكان البيع	السعر	الزمن	المصدر
الخيل	01واحد	السودان الغربي	في المغرب10دوكات و في السوادان من40-50دوكا	ق7-8هـ/13-14م	الوزان،ج2،ص167
الخيل	01واحد	السودان الغربي	100مثقال ذهب	ق8هـ/14م	رحلة ابن بطوطة،ص696
الخيل	01واحد	السودان الغربي	مقايضة ب15إلى 20عبدا	ق8هـ/14م	لطيفة بشاري،201.

الإبل:

وجد سوق الإبل بتكيورارين[1] و ريغ و واركلة [2]،وقد تردد أهل تيكورارين على تجار السودان"أغنياء لأنهم اعتادوا الذهاب كثيرا بسيعهم إلى بلاد السودان" كما احترفوا تجارة الشحم المالح " الشحم المالح" الذي يأتي به تجار فاس وتلمسان و يجنون منه أرباحا طائلة" ويتاجرون في الإبل من الاعارب الواردين على الأسواق التي تقام بها[3].

شهدت أسعار الإبل ارتفاعا محسوسا نظرا لتضاعف أهميتها في نقل البضائع وصبرها على مشاق السفر في طرق القوافل التجارية المتجهة نحو بلاد السودان الغربي ،ومن هذا نذكر شراء ابن بطوطة جملين بتكدا بسعر سبعة وثلاثين 37 مثقال و ثلث سنة 754هـ [4].

2- النزاعات الحاصلة في سوق الدواب:

[1]- تيكورارين تبعد 120ميلا عن تبسة ويعني اسمها المعسكرات،

[2]- ريغ وواركلة :مدينتان داخلتان في الصحراء "وهم من فرار وشيخهم طلحة بن معهود "،تنتهي أرضهم في المدية ويلي بلدهم سوف،وشيخهم عريف بن عبد الله،أبو يزيد ،العمري،مسالك الأبصار،ج4،المصدر السابق،ص:217.

[3]- الحسن الوزان،ج2،ص:133.

[4]- محمد بن عبد ابن بطوطة،رحلة ابن بطوطة،تجفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،تر،محمد عبد المنعم ،دار إحياء العلوم،بيروت،،1987،1407،ص:706.

سُئِل عمن ضعفت دابته ،فأراد أن يبيعها لرجل يحفظها ،و يشاركه فيها؟ ،فأجاب :قال ابن القاسم وابن عبد الحكم عن مالك: لا يجوز ،وقال ابن الماجشون وابن مزين ،يجوز ،وأنا أرى إن سمياً جزءا أو ضرباً بينهما أجلاً أن يجوز وإلا فلا.[1]

سُئِل من باع بغلاً بُين بعيوب فظهر به مشش ،وهي من وثائق { القرن الرابع هجري /10م} وتدور أحداثها حول بائع و مشتري لبغل ظهر أن به عيبا ليس من العيوب التي بينها له البائع ،والمشش ورم يأخذ مقدم عظم الساق ،أو باطن الساق ،وقال البائع أنه لا يعرف أن بالبغل مششاً،ودور أهل الرأي في هذه المسألة وهم البياطرة ،فإن قالوا: إن العيب قديم رد البغل إلى البائع ،وإن كان العيب حديثاً كان من المشتري ،وإن كان العيب حديث ويقدم حلف البائع أنه لا يعلمه حين باعه ،وإن كان خفياُ ،وإن كان ظاهراً فتبعته تقع على البائع.[2]

ومن بين المسائل التي أوردها إبن سهل في باب العيوب أنه ورد إلى فقهاء قرطبة " في رجل إشترى بغلة بطليطلة ،فسار بها إلى بلنسية واطلع فيها على عيوب بعد شهرين ،وأثبت عند القاضي بأنها قديمة بالبغلة قبل أمد التبايع، وخاطب بذلك القاضي، (قاضي طليطلة) مع وكيل المشتري ،وصرف البغلة مع نفسه ،وأعذر على بائعها فأتى بشاهدين من البياطرة ،فحضروا وشهدا عند القاضي أنها كانت سليمة من هذه العيوب يوم عقد الصفقة ،أي الشهادتين أعمل وأولى بالقبول" فجاوب ابن عتاب "شهادة الذين شهدا في السلامة عند البيع أعمل،إذا كان عالمين بما شهدا به" ،وجاوب الفقيه ابن مالك بقدم العيب أنه أولى ، وإن كانا القائمون بها أقل عدالة من الآخرين[3] .

---

[1]- ابن أبي زيد القيرواني ،مالك الصغير ،فتاوى للإمام ابن ابي زيد القيرواني ،ج2 ،تح ، حميد لحمر ،دار اللطائف للنشر و التوزيع ،القاهرة ،مصر ،ص244.

[2]- سيف الإسلام أحمد السمان ،الأوضاع البيئية في الأندلس ،مؤسسة شباب الجامعة ،كلية الآداب ،جامعة الإسكندرية ،ص302.

[3]- ابن سهل، أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأسدي القرطبي (ت486ه)،الإعلام بنوازل الأحكام أو الأحكام الكبرى،تح،نورة محمد عبد العزيز التويجري،ج1،ط1413،1ه -1999 م،ص:418.

ومسألة أخرى في هذا الخصوص ،أن رجلا قام لرد فرسه الذي اشتراه لعيوب قديمة ظهرت به وتم التبايع ،فكانت إجابات الفقهاء بأن هذا العيب يحط من قيمة الفرس[1] .

وفي مسألة أخرى و هي من القرن الرابع هجري /10م تدور أحداثها حول إدعاء من اشترى رمكة (أي فرس) من شخص ووجد بها حس أي مرضاً ،لم يعلمه البائع ،فالواجب في ذلك أن يكشف أهل البصر من البياطرة في هذا العيب من عدمه ،ويختلف الحكم فيما يتعلق بالعيب الظاهر عنه والخفي منه[2].

كذلك مسألة أخرى تتعلق بشهادة لشهودٍ في قدم بيع حيوان ،حيث سُئِل الإمام البرزلي في هذه المسألة وهي " شهد شهودٌ بقدم عيب كان في حيوان مبيعٍ، أو غيره هل يحتاج الشهود أن يقولوا أنه يحط من ثمنه كثيراً و نحو هذا ،ولا يكتفي بقولهم بأنه عيبٌ قديم ولا يحتاج مع ذلك المريد لفظٌ يحط من ثمنه" ،فأجابني قول الشهود في العيب القديم ،ينقص الثمن إذ لا بد منه في الشهادة ونحوه، ونص عليه في التنبيهات في قوله :"...وجب على النخاسين إحكام البيع اليسير الذي ينقص من الثمن مما يوجب الرّد به فلا يفتقر لهذه الزيادة ولا يجب الرّدُ[3].

وفي وثيقة أخرى من المسائل، وثيقة بيع الدابة الفالتة، يشهد من تسمى في هذا الكتاب من الشهداء أنهم يعرفون فلان(بن فلان الفلاني) بعينه وإسمه ،وأنه أحضر لهم بغلاً أشهب صفة كذا أو حماراً كذا أو فرساً (أو ما كان) ،قارحاً في سنه صفته كذا، وذكر أنه وجده و عرفه و لم يُلْفِ له صاحباً ،وطال عليه نفقته وعلفه ومؤونته ،فعرفه للبيع بحضرتهم وطلب فيه الزيادة فكان أقصاها ما بلغه كذا وكذا ،وظهر السداد في بيعه بهذا الثمن ،فأنفذ فيه البيع وقبض الثمن المذكور ،وصار بيده

[1]-ابن سهل ،المصدر نفسه،ص:413.

[2]- أحمد بن سعيد ابن بَشْتَغير (ت516هـ)، نوازل أحمد بن سعيد بن بشتغير اللورقي المالكي،تح،قطب الريسوني،دار ابن حزم،ط1،بيروت ،لبنان،2008/1429،ص:134.

[3]– المازوني،الدرر المكنونة،ج3،المصدر السابق،ص:151.

الدابة المذكورة إن جاء بها ، وإن يئس منه تصدق به عنه في هذا الكتاب ،وهو مجال الصحة وجواز الأمر ،وممن عرف السداد في البيع المذكور بالثمن المسمى وكان ذلك كله وإيقاع من أوقع شهادته في هذا الكتاب على معرفة ما فيه في شهر كذا من سنة كذا[1].

وتعقد مثل ذلك في البقر إذا وجدها وكان الموضع مخوفاً من السباع ولا يصلح من ذلك تسريحها وإطلاقها ،وإن باع الضالة أعني ضالة الإبل واجدها ،وترك تسريحها لأمر يعذر فيه عقدت فيها مثل هذا ولواجد الدابة الرجوع بعلفها على صاحبها إن جاء ،ويأخذه بالثمن إن لم يأت إذا نوى باتفاقه الرجوع بنفقته[2].

وفي وثيقة عطب الدابة ،يشهد من تسمى في هذا الكتاب من الشهداء أن فلان بن فلان سألهم الوقوف معه إلى جيفة دابة كذا ،ذكر أنه استعارها ونفقت بقرية كذا من موضع كذا ،فوقفوا معه إلى ناحية كذا ،من القرية المذكورة ،فألفوا فيها فرساً أو بغلاً أو حماراً صفته كذا قد عطب فستحفظهم الشهادة وسألهم القيام بها عند احتياجه لها ،إن شاء الله تعالى ،شهد على ذلك كله من عرفه ووقف عليه و ذلك في شهر كذا من سنة كذا[3].

نستنتج من خلال هذه القضايا بأن ظاهرة الدواب الفالتة والتي ليس لها صاحب كانت ظاهرة منتشرة بكثرة ،بالإضافة لكونها مكلفة ويصعب على المفتي إيجاد الحل المناسب في هاته الحالة لهذا يضطر من يجدها إلى بيعها أو إبقاءها عنده والانتفاع بها إلى أن يظهر مالكها الحقيقي.

3- عيوب الدواب في النوازل:

[1]- ابن سلمون أبو محمد عبد الله بن عبد الله الغرناطي(ت741ه)،العقد المنظم للحكام فيما يجريبين أيديهم من العقود والأحكام،تح،محمد عبد الرحمان الشاغول،دار الآفاق العربية ،القاهرة،مصر،2011،ص:145.

[2]- عبد الواحد المراكشي ،وثائق المرابطين و الموحدين ،المصدر السابق ،ص135.

[3]- ابن العطار ،كتاب الوثائق و السجلات ،(ت330-399ه) تح،ب.شالمينا ،ف،كورينطي ،مجمع الموثقين ،المجريطي،المعهد الإسباني العربي للثقافة ،مدريد ،1983

اختلفوا في ثبوت العيب والتدليس به وفي حدوثه وقدمه ،كما أن الخلاف اشتد أيضا حول آجال القيام بالعيب .

في مسألة وردت في إذا كان أصل المذهب "أن العيب إذا لم يعلم به المشتري ثم اطلع عليه بعد أن ضمن له الرجوع ولا يحد ذلك بشهر ولا غيره لا في الدواب ولا في سائر الحيوان ،فإن عمل أهل فاس جرى بعدم رد الدواب بعد مضي مدة شهر عن يوم التبايع قال صاحب نظم العمل

وَ بَعْدَ شَهْرِ الدَوَابِ بِالخُصُوصِ بِالعَيْبِ لاَ تُرَدِ فَافْهَمْ النُصُوصِ[1]

وقد أفتى بهذا إلى جانب الفقيه عبد القادر الفاسي كل من الفقيه العبدوسي وأبي عبد الله القوري والمكناسي وسيدي علي بن هارون و عللوا فتواهم بمايلي:

إن مدة الشهر كافية لظهور العيب لما جاء في المدونة "لا يكاد الحيوان يبقي على حال.

إنه إذا مضى أجل شهر يصعب التميز بين العيب القديم والعيب الحديث ،سيما وأن الجهة الموكول إليها إثبات ذلك وهي البياطرة لا تقوى على ذلك لجهلهم وكثرة جرأتهم وقلة صدقهم.

إنه بعد مرور شهر يمكن أن تظهر عيوب جديدة لم تكن معهودة في الدواب قبل البيع وذلك بفعل احتيال النخاسين و استهانتهم للدواب بالخدمة.

استغراب ابن هارون من كون الرجل يشتري الدابة و يسخرها و ينهكها و يقضي بها وطره ثم يلطم بها وجه صاحبها.

رغبة المفتين في تقيل التنازع ورفع الشغب عن الحكام.

رعاية العلماء للمصلحة العامة[2].

---

[1]- الطيب لمنوار،عيوب المبيع في ضوء المذهب المالكي والنوازل الفقهية والقضائية،مجلة الحقوق،العدد2016،31،دار نشر المعرفة،الرباط،المغرب،ص:86،ينظر الإحالات رقم ،413،412،411،409. ،المرجع السابق ص:86.

[2]- ابن بشتغير ،المصدر السابق،ص:419.

3_1- نوازل في عيوب البقر:

من عيوب البقر الركض ،النطاحة ،منع الحرث والدراس ،أكل الثوب والحبل ،اقتحام البيوت أكل الخبز على النار ،القلزوم في الأسنان (وهي أن يكون بعضها أكثر من بعض) ،شراؤها على أنها حامل ،وكذلك إذا وجدها خالية من اللبن فإنه يرد به [1].

سئل أبو عمران الفاسي "عمن اشترى ثورا للحرث في إبان الحرث و إشترط أنه للحرث فوجده لا يحرث فأجاب ،أن له الرد ،وفي النوازل الجديدة الكبرى وقع السؤال عمن اشترى بقرا في غير إبان الحرث فكان الجواب :" إذا اشترى بقرا في غير إبان الحرث لم يرجع على البائع بأنها لا تحرث إلا أن يشترط عند الشراء أنه حراث ،فإن كان غير حراث رجع به على البائع وإن كان اشتراه في إبان الحرث ولم يجده حراثاً فله الرجوع إلا أن يشترط البائع أنه غير حراث ،وفيه أيضا وقع السؤال عن البقرة التي لا تأكل العلف ولا التبن فأجاب "هو عيب إلا إن عرفه البائع ببلده أو علم هو أن ذلك البلدلا تعلف فيه البقر فليس له القيام إن شاء الله[2].

3_2- نوازل عيوب الغنم:

سئل ابن الفخار عمن ابتاع شاة ليضحي بها فألقاها عجفاء لا تنقي (النقي هو المخ) فأجاب ليس له صرفها ولا القيام بشيء على بائعها قال فإن سمح بائعها بقبضها منه مذبوحة وصرف ثمنها عليه لم يجز لأن ذلك بيع الحيوان باللحم[3].

وأجاب ابن دحون بأنه "يجوز قبضه إياها منه مذبوحة لأنها شاته بعينها وليست بغيرها وأجاب ابن القطان :"بأن لا رجوع له بشيء" ،وأجاب ابن عتاب :"بأن له القيام بعيب هذا ،أما ابن النشار

[1]- ابن أبي زيد القيرواني،المصدر السابق،ج2،ص:247.

[2]- ابن سهل ،الأحكام الكبرى،المصدر السابق،ص:346.

[3]- الونشريسي،المعيار المغرب،ج6، السابق،ص:268.

فأجاب :"يردها بالعجف إذا علم بائعها أنه إنما يشتريها ليضحي بها كالمدلس بعيب في ثوب يطلع المشتري عليه بعد قطعه يرده و لا شيء عليه في القطع[1].

وسئل بعض شيوخ ابن سهل عمن اشترى شاة فوجد بلحمها جذريا فقال:" رأى بعض من سمعت من العلماء أنه عيب ترد به قبل الذبح ،ويرجع بقيمتها بعده ،وقولنا وقول بعض أصحابنا لا رد له كعيب باطن الخشب[2].

3_3- نوازل عيوب الإبل:

قال أصبغ سمعت ابن القاسم يقول في بيع العصاب من الإبل وهي لا توخذ إلا بالأوهاق[3] ،ولا يعرف ما فيه من العيوب ،وربما عطبت في أخذها فكره ذلك وكره بيعها وقال في أخذها غير في انكسارها فهو ر يحل ،وبين محمد بن رشد كلام ابن القاسم قائلا:" إن بيع الإبل العصاب التي لا تُوخذ إلا بالأوهاق على البراءة مما بها من العيوب لا يجوز لوجهين أحدهما يخشى من انكسارها في أخدها ،والثاني أنه لا يعرف ما فيها من العيوب لصعوبتها ولا إن كان بها عيب أم لا فوجب ألا يجوز[4].

وفي الأخير نستنتج من خلال استقراء هذه القضايا أن البحث يدور فيها حول وجود عيوب خفية أو ظاهرة في الحيوان المباع ،وأن القضاء كان يلجأ فيها إلى أهل الخبرة من ذوي البصر المتخصصين ليقروا صحة قيام العيب أو عدمه ،ويحدد الفترة الزمنية التي نشأ فيها هذا العيب ومدى ظهوره وخفائه.

---

[1]-ابن القطان المراكشي،نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان،المصدر السابق، ص:256.

[2]- ابن سهل،المصدر السابق،ص:421.

[3]- الأوهاق:جمع وهق وهي الحبل التي تؤخذ به الدابة،ينظر:طيب لمنوار،المرجع السابق،ص:90.

[4]-أحمد الونشريسي،المعيار ،ج6،ص:266،50.

خاتمة:

من خلال البحث في موضوع سوق النخاسة في الغرب الإسلامي ،توصلت لجملة من النتائج يمكن حصرها فيما يلي:

_ إن منطقة الغرب الإسلامي قد عرفت أنواعا عدة من الأسواق ،فكان استقرار الناس يتطلب بناء أسواق ثابتة تغنيهم عن الترحال وتلبية احتياجاتهم.

_ ظهور أنواع من الأسواق اليومية والأسبوعية داخل المدن وكذا القرى وبعض الحصون واختص كل سوق بسلعة معينة ،وعادة تقام بالقرب من أبواب المدن والقرى لما تتطلبه من مساحات واسعة يقصدها أهل الأرياف وتقام على فترات متباعدة ويقصدها التجار من كل حدب وصوب .

_ ظهور الأسواق العسكرية المصاحبة للجيوش في حروبها وتنقلاتها وكذا أسواق قوافل الحجاج التي كانت هي الأخرى مصاحبة لها وكانت ممتدة تقريبا على طول الطريق لتزويد الحجاج بما يحتاجونه في السفر.

_ للسوق وظائف أخرى غير البيع والشراء أو العرض والطلب ،اذ كانت وظيفته تربوية واجتماعية وسياسية وعلمية....،ففي الأسواق ترد الأمانات وتقام المناسبات والاجتماعات وتلقى الخطب...الخ.

_ازدهار السوق سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، وفق عوامل مساعدة ،ولعل دولة المرابطين كنموذج كانت خير مثال في ازدهار الاقتصاد بفضل استتباب الأمن بها وتوفر سبل الراحة ومحاربة الغش و الاحتكار بالأسواق.

_ كانت الأندلس نموذجا لأسواق النخاسة ،لما تحتويه من مبيعات وهو الرقيق والدواب، أن النخاسين جابوا مختلف البلاد باحثين عن الرقيق لإدماجهم في البداية في الأرض والأعمال الزراعية فيصبح استعمال الرق بعدها شائعا في مختلف الديانات والحضارات القديمة .

_أن السبي ،كان المصدر الأساسي للتزود بالرقيق من خلال الحروب ،وهذا ما خلق نوعا من الوفرة نتيجة توسع الفتوحات الإسلامية ،فولد ذلك نوعا من التعود على وجود الرقيق .

_ بتوقف اتساع حركة الفتوحات أصبح من اللازم إيجاد مصدر آخر للرقيق ،فكان رقيق الشراء وبتنوع مصادر الرق تنوعت أصنافه بين الصقالبة والروم والسودان ،وبين الفحول والخصيان ،وبين الجواري والعبيد من الذكران.

_ خلقت هذه التجارة الرائجة مراكز تجارية كبرى في المغرب باعتباره الوسيط التجاري لتصدير العبيد السودان ،ومراكز أخرى في الأندلس ،باعتبارها الممر لتوريد العبيد الصقالبة خاصة الخصيان .

_ لم تتوقف حركة التزويد بالرقيق مما يدل على أهميتها من الناحية المادية ومن ناحية ربط العلاقات .

_ كثرت حيل تجار الرقيق من أجل رواج تجارتهم بالرغم من خضوع تلك التجارة للرقابة الشديدة لما تدره من أرباح على الدولة،إذ كانوا يبيعون صنفا بدل الآخر ،والتخلص من العيوب الخلقية في الرقيق من النساء بتغير اللون وتغطية النمش وإخفائه ببعض الدهون ، تغيير لون الشعر ،وإخفاء الروائح الكريهة عن طريق الدهن بالبنفسج والطيب أو يبيعون العبد وفيه عيب خفي أو مرض فلا يفطن إليه الشاري ،أو يكون العبد مسروقا أو يكون له أهل يمكن هروبه إليهم ،أو يكون حرا قد استعبد ،لذلك كان تشدد الرقابة على تلك الأسواق من قبل المحتسب وأمين السوق ،وفرضهم على النخاسين القسم في أن لا يكتموا عيبا.

_ ارتبطت الحيوانات هي الأخرى بمفهوم سوق النخاسة ،إذ كانت كتب الحسبة والكتب البيطرية تبين أوجه الغبن الذي تتعرض له البهائم من أمراض كانت تصيبها والتي اتسمت بتنوع أسبابها وأعراضها ومخاطرها ،كأمراض الخيل .

_ العناية والرعاية من طرف المغاربة للحيوان ،حيث كانوا يُولون بها عناية في أيام العمل الشاق والحروب حتى لا تضعف ،وعملوا على توفير ظروف أحسن لها بتوفير إسطبلات وزرائب لها خاصة عهد الرستميين ،إذ أولو رعاية بالخيل ،فكانت أجودها وأحسنها آنذاك .

_ كانت أسواق الرقيق من تدليس كانت الحيوانات هي الأخرى تخضع لممارسات من بيع الغش ،فكم من دابة مريضة بيعت على أنها سليمة .،

_ راجت تربية الحيوانات ،ومنه راجت تجارتها لما فيها من ازدهار للنشاط الاقتصادي ،والصناعة لما توفره من مادة أولية من جلود ،وصوف ولبن ،إذ أن الأسواق في الداخل ازدهرت بفضل المنتوجات المصنوعة من مواد حيوانية .

اعتبرت الدواب وسيلة وحيدة لنقل البضائع برا ،كما و كانت محل نزاعات بالأسواق كعقود البيع

صورة من مخطوط لثور و ما فيه من خواص،

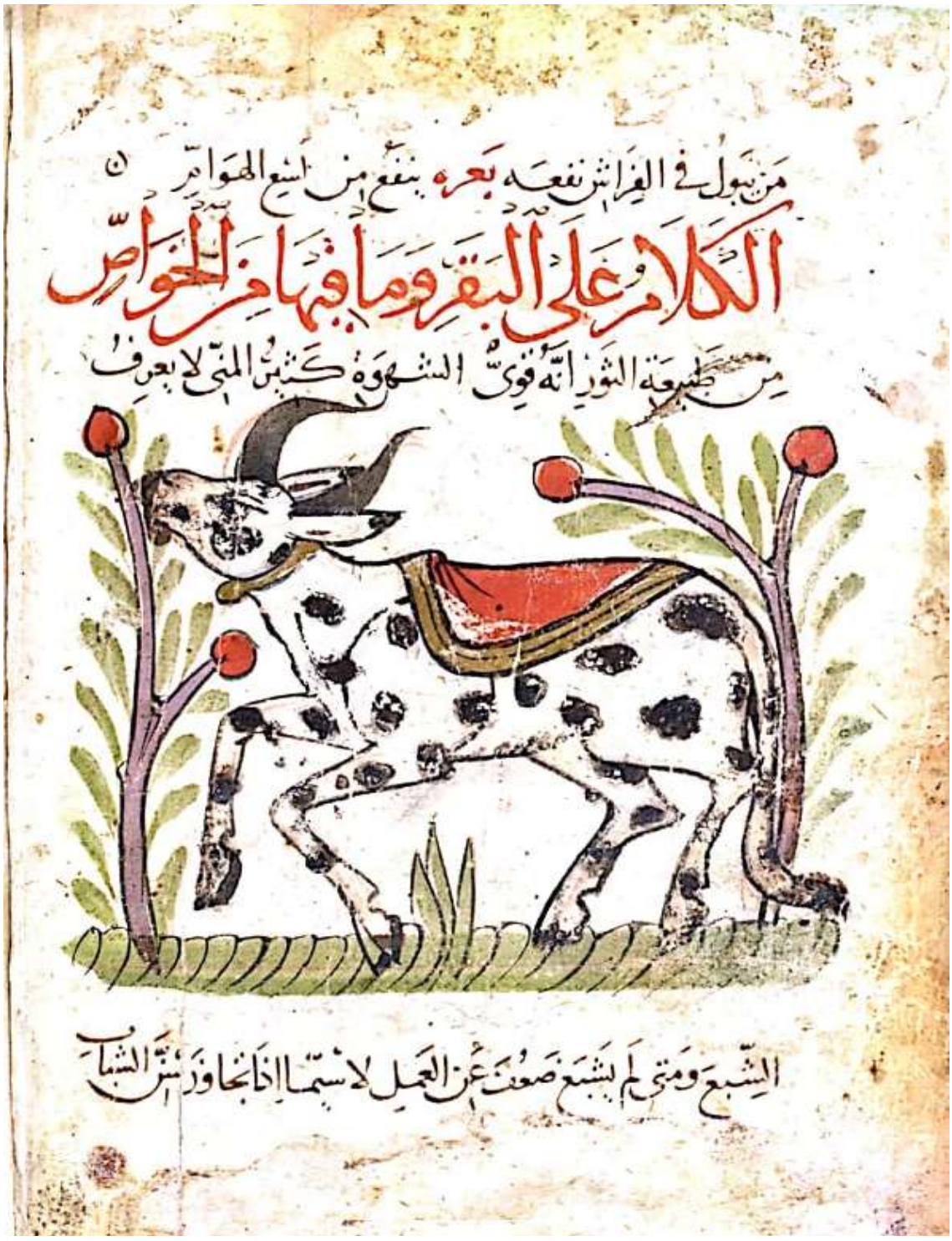

https://www.marefa.org/index.php?%22%22title#/media/File:بختيشوع بن جورجيس

ابن بختيشوع، كتاب منافع الحيوان، bibliotheque regia،رقم 13..

صورة من مخطوط للكلام عن البغل وما فيه من خواص.

https://www.marefa.org/index.php?%22%22title#/media/File:بختيشوع بن جورجيس

ابن بختيشوع، كتاب منافع الحيوان، bibliotheque regia،رقم19.

صورة من مخطوط لدابة و ما فيها من خواص

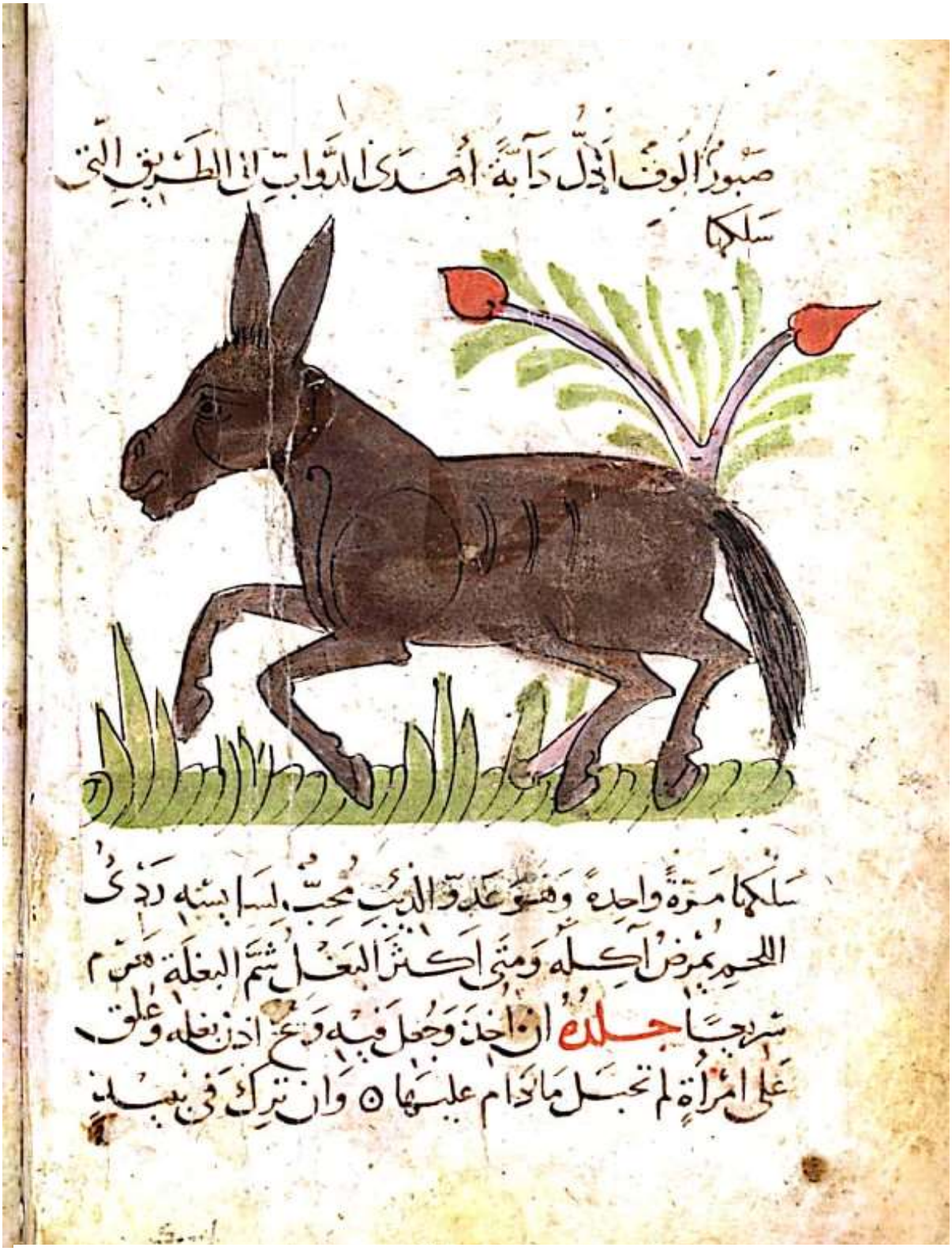

https://www.marefa.org/index.php?%22%22title#/media/File:بختيشوع بن جورجيس

ابن بختيشوع، كتاب منافع الحيوان، bibliotheque regia،رقم18.

صورة من مخطوط لفرس و ما فيه من خواص

https://www.marefa.org/index.php?%22%22title#/media/File:بختيشوع بن جورجيس

ابن بختيشوع، كتاب منافع الحيوان، bibliotheque regia،رقم18.

ملحق رقم 01:

بعض أسماء الايماء في الغرب الإسلامي.

	الإسم	الموطن	المصدر
01	سعاد	الأندلس	الخشيني , قضاة قرطبة,ص:20.
02	هنا العيش	الأندلس	الونشريسي , المعيار ,ج7 ,ص:463.
03	ميمونة	الأندلس/المغرب الأقصى	الونشريسي ,ج10, ص:360 ,مثل شعيب.
04	سرية	الأندلس	الونشريسي ,ج7 ,ص:463.
05	زهر	الأندلس	ابن رشد , فتاوى ,ج2,ص:109.
06	لذيذة	الأندلس	ابن سبام ,الذخيرة,ج4,ص:735.
07	زاد المال	الأندلس	ابن قزمان , ديوان , ص:134.
08	الياسمين	المغرب الأقصى	رواية شفوية
09	مباركة	المغرب الأقصى	رواية شفوية/إشماعو, مئة و ألف مثل ,3 ,ص:91.
10	الغالية	المغرب الأقصى	رواية شفوية
11	مسعودة	المغرب الأقصى	رواية شفوية/إشماعو, مئة و ألف مثل, ص:64.
12	أم الخير	المغرب الأقصى	ابن الزيات , التشوف ,ص:162 /رواية شفوية
13	وردة	المغرب الأقصى	إشماعو, مئة و ألف مثل, ص:97.
14	خلة	الأندلس	الخشيني , قضاة قرطبة,ص:19.
15	خلوة	الأندلس	الخشيني, ص:478 / ابن حزم , طوقالحمامة,ص:24
16	فراطيس	الأندلس	القاضي عياض, ترتيب المدارك ,ج5 , ص:108.
17	عفرا	الأندلس	الزجالي , ري الأوام ,ص:391.
18	بلاغ	الأندلس	القاضي عياض , ج3 , ص:339
19	ليلى	الأندلس	ابن عبد الملك , الذيل و التكملة , ص:566.
20	هندة	المغرب الأقصى	إشماعو , ص:97.
21	جلاجل	إفريقية	ابن عذاري , البيان1 , ص:92.

عبد العزيز عينوز، الرق في تاريخ المغرب، المرجع السابق،ص57.

ملحق رقم 02.

جدول أسعار العبيد بالمغرب الأوسط.

الجنس و الصنف	السعر	الزمن	مكان البيع	المرجع
العبد الواحد	02 أوفيتان	ق.09هـ /15م	توات	عبد القادر زبادية مملكة صنغاي ص202 -203.
ذكر	20 دينار	ق.7-9 هـ/13-15م	تلمسان	
أنثى	25 دينار	ق.7-9 هـ/13-15م	تلمسان	
الخصي	40 دينار	ق.7-9 هـ/13-15م	تلمسان	
جملة من 500 عبد	5000 مثقال	ق.10هـ/16م	من السودان الغربي	
عبد واحد	50 مثقال	ق.10هـ/16م	من السودان الغربي	

الجنس	مكان التبايع	الوقت	السعر	المصدر
أمة	وارجلان	ق.5هـ	5 دنانير من ثمنها	الدرجيني ،ج1 ص،189
عبد	بونة	ق.6هـ	30 دينار	السقطي ،ص86.
غلام أسمر	سنبة	ق.6هـ	10 مثاقيل	الونشريسي
مملوكة	درعة	ق.6هـ	أقل من دينار	ابن الزيات ص244.
حرة جميلة	مراكش	ق.6هـ	مقابل دجاجة	ابن دحبة ،المغرب ص27.
طباخة سودانية	جنوب المغرب الأقصى	ق.6هـ	100 مثقال أو أكثر	البكري المغرب ،ص238.

عبد القادر زبادية، مملكة سونقاي ،ص202 -203.

القرآن الكريم .

كتب السيرة والحديث:

1) البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه و سلم وسننه و أيامه،تح،محمد زهير بن ناصر ،دار طوق النجاة ،ط1 ،1422 هـ ، باب البيوع رقم الحديث 3968 .

2) إمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابورى أبو الحسين، صحيح مسلم، حديث رقم3592 ،باب الإمارة.

المصادر:

1) ابن أبي دينار أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم (المتوفى نحو 1111هـ/1699م)،المؤنس في أخبار إفريقية وتونس،تونس:مطبوعة الدولة التونسية،ط1 ،1286م.

2) ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي (ت658هـ) ،**الحلة السيراء**، ج 2 ، تحقيق: حسين مؤنس، دار الكتاب العربي، القاهرة،ط1، 1963م.

3) ابن الأثير عز الدين أبي الحسن (ت360هـ/1232م) الكامل في التاريخ،تح:أبي الفداء عبد الله القاضي،مج4،بيروت :دار الكتب العلمية ،ط1، 1987م.

4) ابن بختيشوع، كتاب منافع الحيوان، bibliotheque regia،.

5) ابن الإخوة محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد القرشي(ت 729هـ)،**معالم القربة في أحكام الحسبة** ،تح ،روبن ليوى ،مطبعة دار الفنون باكوبرج ،1637م.

6) الأنطاكي داوود ،تذكرة داوود الأنطاكي،ج2، الرقم 828 ،كتابخنة مجلس شوراي ملي،رقم23.

7) ابن البيطار ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي (ت646هـ)،**الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**،ج3،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،دط،دت.

8) ابن الحجاج أبو عمرو أحمد بن محمد الإشبيلي(400هـ)،**المقنع في الفلاحة** ،تح ،صلاح جرار ،الأردن:منشورات اللغة العربية الأردنية ، ،دط ،1986 .

9) ابن الخطيب لسان الدين السلماني الغرناطي(ت776هـ)، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام و ما يتعلق بذلك من الكلام (ت.776هـ)** ،تح السيد كسروي حسن ،منشورات محمد علي بيضون ،بيروت،دار الكتب العلمية ،د.ط.

10) ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبارغرناطة** ،مصر ،مطبعة الموسوعات،ط1، 1319هـ.

11) ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت741هـ) ،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس)،الرباط:دار المنصور،1972م.

12) ابن أبي زيد القيرواني أبو محمد عبد الله(ت386هـ)،مالك الصغير ،**فتاوى للإمام ابن أبي زيد القيرواني** ،ج2 ،تح ،حميد لحمر ،دار اللطائف للنشر و التوزيع ،القاهرة ،مصر.

13) ابن الزيات أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي(ت617هـ)،**التشوف إلى رجال التصوف** وأخبار أبي العباس السّبتي،تح:أحمد التوفيق،الرباط:مطبوعات إفريقيا الشمالية ، ط2، 1958م.

14) ابن الصغير المالكي(توفي في حدود القرن3هـ)**أخبار الأئمة الرستميين** ،تح ، أحمد بكير بحاز،ابراهيم فخار،تونس:دار الغرب الإسلامي،د.ط،1988م.

15) ابن العباس أحمد بن يحي الونشريسي(ت419هـ)،**المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى افريقية والأندلس والمغرب**،تح،محمد حجي،دط،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية،الرباط ،ج1401،6هـ/1981م .

16) ابن العطار علاء الدين أبو الحسن ابن ابراهيم بن سليمان الدمشقي ،**(ت724هـ)**،**كتاب الوثائق والسجلات** تح،ب.شالميتا ،ف،كورينطي ،مجمع الموثقين ،المجريطي،مدريد:المعهد الإسباني العربي للثقافة ،1983م.

17) ابن القطان حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي،**نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزّمان**،تح:محمود علي مكي،بيروت:دار الغرب الإسلامي،ط2، 1990م.

18) ابن النديم أبو الفرج بن إسحاق بن محمد بن إسحاق (ت384/380هـ)، **الفهرست**، بيروت:دار المعرفة ،،1997م.

19) ابن بشتغير أبو جعفر أحمد بن سعيد الأندلسي اللورقي(ت516هـ)،**نوازل أحمد بن سعيد بن بشتغير**،دراسة وتحقيق:قطب الرّيسوني،بيروت:دار ابن حزم،ط1، 2008م.

20) ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال(ت578هـ) ،**الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم**، تح، معروف بشار عواد ،دار الغرب الاسلامي،ط1 ،2010.

21) ابن بطلان أبو الحسن مختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون البغدادي(ت455هـ)،**رسالة في شري وتقليب العبيد**،تحقيق عبد السلام هارون،سلسلة نوادر المخطوطات،ط 1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة،القاهرة، 1945 م.

22) ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي(ت779هـ)،رحلة ابن بطوطة (تحفة النّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)،بيروت:دار صادر،د.ط.

23) ابن بلكين بن باديس بن حبوس عبد الله (ت483هـ)،مذكرات الأمير عبد الله بن بلكين آخر ملوك بني زيري بغرناطة(_483هـ) المسماة **بكتاب التبيان**،تح: ليفي بروفنصال،دار المعارف،مصر ،1955.

24) ابن حزم أبي محمد علي بن سعيد بن حزم الأندلسي(ت456هـ)،رسائل ابن حزم الأندلسي،تح:إحسان عباس.ج2.بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،(ط2)،1987م.

25) ابن حزم الأندلسي ،**طوق الحمامة في الألفة والآلاف** ،بيروت،المكتبة العصرية صيدا ،دط.

26) ابن حماد أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى أبي بكر الصنهاجي (ت628هـ)،**أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم** ،تح،عبد الحليم عويس،القاهرة:دارا لصحوة ،دط،دت.

27) ابن حوقل أبو القاسم محمد النصيبي (ت367هـ)،**صورة الأرض** ،بيروت : منشورات مكتبة الحياة، 1979م.

28) ابن حيان أبي مروان القرطبي(ت469هـ)،المقتبس في أخبار بلد الأندلس،تح:عبد الرحمن علي حجي.بيروت،دار الثقافة(د.ط)، 1965م.

29) ابن حيان أبي مروان حيان بن خلف الأندلسي(ت469هـ)،المقتبس في أخبار بلد الأندلس،شرح:صلاح الدين الهواري.بيروت:المكتبة العصرية ،(ط1) ،2006م.

30) ابن خاقان أبو نصر الفتح بن محمد ابن عبد الله القيسي الإشبيلي (ت 569هـ)، , **قلائد العقيان و محاسن الأعيان**،ج1 ، تح، حسين يوسف خريوش ،مكتبة المنار،ط1 ، 1409هـ/1989م .

31) ابن خرداذبه، ابو القاسم عبد الله(ت 300 هـ/912 م) **المسالك والممالك** ،تح ،حما الله ولد سالم ، بيروت:دار الكتب العلمية ، دط .

32) ابن خلدون عبد الرحمن(ت808هـ)،**العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ، دار الكتب العلمية ،مج1،ط3، بيروت ،لبنان ،2006.

33) ابن سلمون أبو محمد عبد الله بن عبد الله الغرناطي(ت741هـ)،**العقد المنظّم للحكام فيما يجري بين أيديهم منالعقود والأحكام**،تح:محمد عبد الرحمن الشاغول،القاهرة:دار الآفاق العربية،د.ط،2011م.

34) ابن عبد الحكم،**فتوح إفريقية والأندلس**،تح،،عبد الله أنيس الطباع،دار الكتاب اللبناني،ط1987،1 م.

35) ابن عذارى المراكشي(كان حيا سنة 712ه)،**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**،ج1،ج4،تح:ج.س كولان،إ.ليفي بروفنسال،بيروت :دار الثقافة ،ط3، 1983م.

36) ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم الدينوري(ت276ه) ،**الإمامة والسياسة**،ج2،منشورات علي بيضون،بيروت:دار الكتب العلمية ،.

37) ابن لب أبو سعيد فرج بن قاسم بن أحمد الغرناطي **(ت782ه)**،**تقريب الأمل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد (ت782ه)**تح،حسين مختاري،هشام الرامي،منشورات محمد علي بيضون،بيروت:دار الكتب العلمية، ط1424،1ه_2004م.

38) ابن ليون أبو عثمان سعد بن أحمد بن ابراهيم التجيبي(ت750)،**إختصارات من كتاب الفلاحة (**نص أندلسي من العصر المرابطي)،تح،أحمد الطاهري المغرب:،مطبعة النجاح الجديدة ، ،ط2001،1م.

39) ابن وحشية أبو بكر أحمد بن علي بن قيس بن المختار بن عبد الكريم (ت318ه)،**الفلاحة النبطية** ،ج2، تح ،توفيق فهد ، دمشق:منشورات المعهد الدراسات العربية ،1993م..

40) ابن وردان عيسى، **تاريخ مملكة الأغالبة** ،تح: محمد زينهم ،محمد عزب ،القاهرة ،مكتبة مديولي ط1 ،1988م.

41) أبي الأصبع عيسى بن عبد الله الأسدي(ت654ه)،**الأعلام بنوازل الأعلام** ،تح،نورة محمد بن عبد العزيز التويجري،ج2،ط1، دم،1415ه/1990م .

42) أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني(ت542ه)،**الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تح،سالم مصطفى البدري،ج3 دار الكتاب العلمية،دط،دس.

43) أبي المزايا محمد إبراهيم بن أحمد بن جعفر الكتاني الحسيني، **الاجتهاد والمجتهدون بالأندلس والمغرب**، تح: حمزة الكتاني، د.ط، د.ت.

44) أبي بكر محمد بن حسن المرادي الحضرمي (ت489هـ)، **الإشارة في تدبير الإمارة** ، تر ، احمد طريق الزبيري ، دار الكتاب العلمية ، صيدا ، بيروت.

45) أبي زكريا يحي بن أبي بكر الوارجلاني (ت471أو بعد474هـ)، **سير الأئمة وأخبارهم**، تح ، اسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي ، ط2، 1982م.

46) أبي زكريا يحي بن عمر بن يوسف الكناني الأندلسي(ت289هـ) ، **أحكام السوق أو النظر والأحكام في جميع أحوال السوق**، تح، محمود علي مكي، مكتبة الثقافة الدينية، دط.

47) أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف(من أهل القرن6هـ)، **ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب**، تح، ليفي بروفنصال ، مج2، دط ، القاهرة: مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، 1955 م.

48) الإدريسي ، **المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس** ، مطبعة بريل، مدينة ليدن، 1963م.

49) الإدريسي أبو عبد الله الشريف(من أهل القرن6هـ)، **نزهة المشتاق في إختراق الآفاق** القاهرة: ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط1، 2008م .

50) الأزهري أبو منصور محمد بن محمد بن الأزهر بن طلحة(ت370هـ)، **تهذيب اللغة**، تح، رشيد عبد الرحمان العبيدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي ، دط، ت

51) الأنصاري محمد بن القاسم السبتي، **اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سنى الأثار**، تح: عبد الوهاب بن منصور، الرباط: ط2، 1983م.

52) **البرزلي أبو القاسم بن أحمد المالكي (ت844هـ)، نوازل البرزلي فتاوى البرزلي** ، تح: محمد الحبيب الهيلة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ج3

53) البكري أبو عبيد (ت487هـ/1094م)، **المغرب في ذكر إفريقية والمغرب** وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ،القاهرة ،دار الكتاب الإسلامي.

54) التبسي أبوالعباس أحمد العزفي ،**حقيقة الديناروالدرهم والصاع والمد**،تح محمد الشريف،أبو ظبي:المجمع الثقافي،1999م.

55) التجاني أبو محمد عبد الله(توفي نحو717هـ)، **تحفة العروس ونزهة النفوس**، تحقيق أبوهاجر.بيروت:دار الجليل.د.ط.1981م.

56) التركماني يوسف بن عمر بن علي الغساني،**المعتمد في الأدوية المفردة**،تح:محمود عمر الدمياطي،دار الكتاب العلمية،ط1، 2000م.

57) الجاحظ عمرو بن بحر البصري(ت255هـ)،**كتاب الحيوان**، تحقيق فوزي عطوي دار صعب.ط،19681 م.

58) الجاحظ،**رسائل الجاحظ**،تحقيق عبد السلام هارون،ج 2 ،مكتبة الخانجي،القاهرة، .1964

59) الجزنائي أبو الحسن علي (كان حيا سنة 766هـ)،**جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**،تح،عبد الوهاب بن المنصور،ط2،الرباط:المطبعة الملكية،1991م.

60) الجوذريعلي منصور العزيزي،سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات **الأئمةالفاطميين**،تح:محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة.مصر:دار الفكر العربي،

61) الحميري أبي عبد الله محمد بن الله بن عبد المنعم ،**صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطارفي خبرالأقطار**،تصحيح وتعليق:ليفي بروفنسال.بيروت :دار الجيل،ط2، 1988م.

62) الحميري عبد المنعم(حدد ابن حجر وفاته ب727هـ)،**الروض المعطارفي خبرالأقطار**، تح:إحسان عباس ،بيروت : مطابع هيد لبرغ ،ط1، 1975م

63) خسرو علوي ناصر، **سفرنامة**، تر:يحيى الخشاب، مصر:الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية ،د.ط، 1993م .

64) الخشني أبي عبد الله محمد بن حارث بن أسد القروي (ت371هـ)، **قضاة قرطبة**، مرا:السيد عزت العطار الحسني، ط2، القاهرة:مكتبة الخانجي، ،1994م.

65) الداودي أبي جعفر أحمد بن نصر المالكي (ت 402هـ)، **كتاب الأموال** ،تح،رضا محمد سالم شحادة ،ط1،لبنان:دار الكتب العلمية ،2008 م.

66) الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف , **طبقات المشايخ بالمغرب**.تح ابراهيم الطلابي , قسنطينة:مطبعة البعث , ,دط, د ت, ج2 .

67) الرقيق أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم(ت420هـ)، تاريخ إفريقية والمغرب، تح:عبد الله الزيدان، عز الدين عمروس، بيروت ،دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990م

68) الزجالي أبو يحيى عبيد الله بن القرطبي(ت694هـ)، **أمثال العوام في الأندلس**، تح:محمد بن شريفة.

69) السخاوي محمد بن عبد الرحمن شمس الدين(ت902هـ)، **تحرير الجواب عن ضرب الدواب** ،تح، أبو عبيدة مشهور حسن ،أبو حنيفة السيقرات ،بحث منشور في مجلة الحكمة ،1994م، ط4.

70) السقطي أبو عبد الله محمد بن أبي محمد الأندلسي المالكي(من أهل القرن 6هـ) ، **في آداب الحسبة**، نشر كولان وليفي بروفنسال، مكتبة إرنست لورو، باريس، 1931

71) سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي(ت180هـ)، **كتاب سبويه**، تح:عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط3، 1988م.

72) السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين(ت911هـ) .**المستظرف من أخبار الجواري**.تعليق أحمد عبد الفتاح.شركة السهاب.الجزائر . 1991

73) السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين(ت911ه).**تاريخ الخلفاء**.تحقيق محمد أبو الفضل.دار الفكر العربي القاهرة 1991

74) الشيرزي عبد الرحمان بن نصر (ت590ه)، **نهاية الرتبة بطلب الحسبة** ،تح، السيد الباز العريني ،دار الثقافة ، بيروت ،لبنان ،ط2 1401ه/1981م

75) الطبري أبو جعفر بن جرير(ت310ه)،**تاريخ الطبري**،ج1،بيروت:دار الكتب العلمية،،1971م.

76) الطغنري أبو عبد الله محمد بن مالك ،**زهر البستان و نزهة الأبدان** ،تح، محمد مولود المشهدان القاهرة:دار الدولية للإستثمارات الثقافية ،ط1 2005

77) عبد الرحمن الرازي بن محمد بن إدريس أبي حاتم ،**تفسير القرآن مسندا عن رسول الله والصحابة التابعين** , تح , أسعد محمد طيب : صيدا لبنان, ط2 ,1999 , مج 3

78) الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله (ت714ه) ، **عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح: عادل نونيض، ط 1، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 2002 م

79) الغزال أحمد بن المهدي ،**نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد**(أحمد بن المهدي الغزال وسفارته إلى الأندلس)،تح،إسماعيل العربي،بيروت: دار الغرب الإسلامي،د.ط،1980.

80) القاضي النعمان ، **رسالة افتتاح الدعوة** ،**تح** ،**فرحات الدرشاوي** ،الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية ،ط1986،2م.

81) القاضي عياض وولده محمد ،**مذاهب الحكام في نوازل الأحكام**،تح،محمد بن شريفة،ط2،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1997م

82) القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي(ت821ه)،**صبح الأعشى في صناعة الإنشا**.المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة.القاهرة.ج 5.

83) المازوني أبو زكريا يحي بن موسى المغيلي (ت833ه)،**الدرر المكنونة في نوازل مازونة** ،تح، مختار حساني ،الجزائر:دار الكتاب العربي،ج3 ،دط،2009م.

84) المالكي أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله (ت967ه) ،**رياض النفوس** ،تح، بشير البكوش ،دار الغرب الإسلامي،دط دس ج 1.

85) مجهول، البيطرة و ما يتعلق بالدواب ،الرقم45 ،مكتبة جامعة الرياض،قسم المخطوطات ،ورقة 61.

86) المجليدي أبو العباس أحمد بن سعيد(ت1094ه) ،**التسير في أحكام التسعير** ،تح، موسى لقبال الجزائر:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،ا ،ط1، 1981م .

87) محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي(من أهل القرن 6ه)،**ثلاث رسائل في آداب الحسبة والمحتسب**،تح،ليفي بروفنصال،مج3،مطبعة المعهد العلمي الفرنسي،للآثار الشرقية،القاهرة،1955.

88) محمود بن احمد العنابي الأمشاطي ،(ت903ه/1492م) ،**القول السديد في اختيار الإيماء والعبيد** رسالة نادرة في شري و تقليب العبيد ،تح، محمد عيسى صالحية ،ط1 ، مؤسسة الرسالة ،بيروت 1917ه/1996م .

89) المراكشي عبد الواحد بن علي (ت647ه)،**المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ، تح، محمد سعيد العريان ،مطبعة الاستقامة ، القاهرة ط1، 1426ه ، .

90) المقدسي محمد بن أحمد (ت380ه), **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط2 , بيروت:دار الصادر للطباعة و النشر،

91) المقّري أحمد بن محمد التّلمساني(ت1041ه)،**نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب**،تح:إحسان عباس،مج1،بيروت:دار صادر،(د.ط)،1988م.

92) مؤلف مراكشي مجهول من القرن 6هـ/12م ، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تح سعد زغلول ،دار النشر العربية، الاسكندرية1985

93) الناصري أبو بكر بن البدر البيطار ،**كامل الصناعتين في البيطرة والزردقة** ج1،تح،عبد الرحمان ابريق،منشورات جامعة حلب،معهد التراث العلمي العربي،1413هـ_1993م.

94) النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/1332م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تح: المجيد ترحيني،ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1334 م40.

95) اليماني محمد بن محمد ، **سيرة جعفر الحاجب** ،تح ،حسام خضور ،دط ،دار الغدير ،سوريا .

المراجع:

1) الأفغاني سعيد ،أسواق العرب في الجاهلية و الإسلام، دار الفكر ،دمشق،ط2 ،1960

2) الباشا حسن , دراسات في الحضارة الإسلامية , دار النهضة العربية : القاهرة , 1975

3) بليع أحمد فؤاد ،**مؤسسة الرق من فجر البشرية حتى الألفية الثالثة** ،ج1 ،المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة ،2003.

4) بن مليح عبد الإله ،**ظاهرة الرق في الغرب الإسلامي** ،دط ،منشورات الزمن ،2002م.

5) بوتشيش ابراهيم القادري ،**الإسلام السري في المغرب العربي** ،ط1،سينا للنشر،مصر ،1995

6) بوتشيش ابراهيم القادري،**مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين** ،دارالطليعة،بيروت،ط 1 ، 1998 م.

7) الترمانينيعبد السلام ، **الرق ماضيه وحاضره** ،سلسلة عالم المعرفة ،الكويت ، ط2

تواتي دلال،**هامة القيروان في عصر الأغالبة**،القاهرة:دار رؤية.ط1، 2015.

8) حركات ابراهيم ،**النشاط الإقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط** ، مطابع إفريقيا الشرق، دار البيضاء ، المغرب الأقصى ،د.ت ،د.ط .

9) حسن أحمد محمود ،**قيام دولة المرابطين (صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى)**، دط، دار الفكر، العربي

10) الخزاعي كريم عاتي ،**أسواق بلاد المغرب من القرن 06هـ حتى نهاية القرن 09هـ** ،الدار العربية للموسوعات،بغداد،2009

الخطابي محمد العربي،**الأغذية والأدوية عند الغرب الاسلامي**،بيروت:دار الغرب الإسلامي،ط1، 1990م.

11) زبايدية عبد القادر ،**مملكة سونقاي في عهد الأسقين 1493_1591م** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1971م دط

12) زناتي محمود سلام ،**حقوق الإنسان في مصر الفرعونية**،دار النهضة العربية ،مكتبة القاهرة، 2003

13) السرجاني راغب،**كتاب قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط** ، مؤسسة إقرا للنشر و التوزيع ،ط1 ،1432هـ/ 2011

14) السلاوي أبو العباس الناصري،الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،دط،دار الكتاب،الدار البيضاء،ج2

15) السمان سيف الإسلام أحمد ،**الأوضاع البيئية في الأندلس** ،مؤسسة شباب الجامعة ،كلية الآداب ،جامعة الإسكندرية.

16) شبلي احمد ،**مقارنة الأديان المسيحية** ،ط2،مكتبة النهضة المصرية ، 1965

17) شوقي أبو خليل ،**الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين** ،دار الفكر المعاصر ،بيروت .

18) طه جمال أحمد ،**مدبنة فاس عصري المرابطين والموحدين (448هـ_1056م إلى 668هـ_1269م)**،(دراسة سياسية وحضارية)،دط،دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر،الاسكندرية

19) **العابدي مختار احمد ،قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام** ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر الاسكندرية بدون تاريخ

20) عبد العزيز سالم السيد ، **تاريخ العرب في عصر الجاهلية** ، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية ،1989

21) عبد الكريم يوسف جودت،**الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنيين الثالث والرابع هجريين (9-10م)** ،ديوان المطبوعات الجامعية , الساحة المركزية ، بن عكنون ،الجزائر ، د.ت

22) عينوز عبد العزيز ، و آخرون ، **الرق في تاريخ المغرب** ،ندوة نظمها مختبر تاريخ التراث في جهة الغرب،الشراردة بني حسن ،جامعة القنيطرة، 2010 .

23) قدورة الشامي فاطمة،**الرق والرقيق في العصور القديمة والجاهلية وصدر الاسلام** ،دار النهضة العربية ،ط1 ،2009

24) لقبال موسى،**الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي**، نشأتها و تطورها ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،ط1، 1971

25) متز آدم، **الحضارة الإسلامية في القرن 04هـ ،ج1**، تر محمد عبد الهادي أبو ريدة ,المركز القومي للترجمة , 1203م

26) محمد عبد الوهاب خلاف ، **قرطبة الإسلامية في القرن 11 ميلادي والخامس هجري ، الحياة الإقتصادية والإجتماعية**،دار التونسية للنشر ، أفريل 1984 .

27) مقديش محمود، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**. تح، علي زواوي ومحمود محفوظ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،لبنان، مج1، 1988م

28) ياسين مصطفى خزعل ، **الصقالبة الخصيان في الأندلس عصري الإمارة والخلافة (138_422هـ /755 _ 1030 م)** ،دط،دس.

الرسائل والأطروحات الجامعية:

1) بشاري لطيفة، **الرق من الفتح الإسلامي الى رحيل الفاطميين ق1-4 هـ/7 -10م**،أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط: جامعة الجزائر ،2008/2007

2) بلمداني نوال،نظام **الرعي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (4_5هـ/10_11م)**،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي، إشراف ،فاطمة بلهواري،جامعة وهران،كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية،2014،2013م

.

3) بن عميرة محمد بن عميرة ،**الموارد المائية و طرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين** ، رسالة لنيل شهادة دكتوراه دولة في تاريخ المغرب الإسلامي ،اشراف، موسى لقبال ،جامعة الجزائر،سنة2005/2004.

4) بوتشيش أمينة ، **دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع هجري**، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة أبي بكر بلقايد ،تلمسان، 1428-1429هـ /2007-2008م.

5) البياتي بان علي محمد ،**النشاط التجاري في المغرب الإسلامي خلال القرن (03-05هـ/09-11م)** رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير, بغداد

6) شبانة جانان عز الدين ،**الجواري و أثره في الشعر العربي في الأندلس** ،رسالة ماجستبر من جامعةالخليل،2005 .عزي بوخالفة ،تغريبة بني هلال بين التاريخ والروايات الشفهية ،رسالة دكتوراه ،غير منشورة،جامعة الجزائر،سنة،2003/2002م.

7) عيدة سلام محمد سلمان ،**ألفاظ الطرق في لسان العرب**،لرسالة لنيل درجة ماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة الخليل ،أيلول،2011.

8) عيساني حسن،**دور الأوقاف الإسلامية و أثرها الاقتصادي و الاجتماعي في الحضارة الإسلامية ،عهد المرابطين و الموحدين(448هـ_668هـ/1056_1269م)**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية تخصص حضارة إسلامية،الجزائر،1432هـ_2011

9) عيوني محمد ،**دور الرقيق في الحياة السياسية و الثقافية ببلاد المغرب و الأندلس خلال ق 4 و5 هـ**.،مذكرة لنيل شهادة ماجستير في العلوم الإسلامية ،جامعة الجزائر ،2013.

10) غربي بغداد ، **العلاقات التجارية للدولة الموحدية** ،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه ،علوم في التاريخ و الحضارة الإسلامية جامعة وهران ، 2015/2014 .

11) مسعد محمد عبد الله،**أسواق المغرب الأقصى عصر دولة الموحدين**،من سنة (609/541هـ- 1212/1145م)،كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالإسماعيلية جامعة قناة السويس

12) مطهري فاطمة ،**مدينة تيهرت الرستمية ،دراسة تاريخية حضارية (القرن 2_3هـ/8-9م)**،مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي،جامعة أبي بكر بلقايد ،تلمسان،قسم التاريخ والآثار،1430-1431هـ/2009-2010.

13) منصور احمد ،**استرقاق الأسرى و أثر ذلك في العلاقات بين دول المغرب و أوروبا خلال ق 18 م** ،مجلة عصور،دار المريخ للنشر،لندن: العدد 28

14)هواري موسى،**نماذج من الرفق بالحيوان في بلاد المغرب خلال العصر الوسيط**،مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والإجتماعية،مج12،عدد1،جانفي2020..

المجلات والدوريات

1) بلباشير عمر ،**بعض المعطيات عن المحاصيل الزراعية و الثروة الحيو انية في بلاد المغرب الأوسط من خلال مصادر الجغر افية** ،مجلة المواقف للبحوث و الدراسات في المجتمع و التاريخ ،العدد 09 ،ديسمبر،2014

2) بلعربي بالعربي، **الأسواق في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني**،مجلة كان التاريخية ،ربع سنوية،عدد 6 ،دم،ديسمبر، 2009

3) بلهواري فاطمة ، **الأسواق نظمها و ضو ابطها ضمن كتاب النظم التجارية لدويلات المغرب الأوسط منذ ظهور الرستميين إلى نهاية الزيانيين160-962 هـ**، منشورات CRASC , وهران ,2014

4) بن حمادة سعيد ،**البيطرة والبيزة بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط**،دراسات تاريخية _ مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية_الجزائر ،دار المنظومة ،مج 1،العدد 1

5) بن عربة محمد ،**أحلام بوسالم** ،**ثروات المغرب الأوسط النباتية و الحيو انية خلال العصر الوسيط** مجلة مدارات تاريخية مجلة دورية دولية محكمة ربع سنوية ، مج2 ،العدد السادس ،جوان 2020،

6) الخليفات محمد عطى الله ،**أسو اقالأندلس في عصر الدولة الأموية**،مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية و الاجتماعية ،مجلد 01 ،العدد 01 ربيع الأول 1435 هـ/كانون الثاني 2014

7) زنيد خالد ،**الإبل و أهميتها الحضارية في شبه الجزيرة العربية خلال القرن الأول هجري –السابع ميلادي** ، مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة منتوري ،قسنطينة ،الجزائر،2002 ، العدد 18

8) صباح ابراهيم ،**النشاط التجاري في بلاد المغرب خلال القرن الرابع هجري**، دراسة من خلال كتاب صورة الأرض لابن حوقل ،الجزائر، مجلة التاريخ العربي ،العدد السادس , 1998م

9) طه جمال أحمد ،**مراقبة الأسواق الإفريقية و تنظيمها و طرق التعامل المختلفة بها خلال العصر الأغلبي 184هـ/800م -297هـ/909م** مجلة العصور ،مج5، ج1، 2005.

10) مرزوق بتة،**مدينة بونة وموقعها الإستراتيجي في العصر الوسيط**،محاضرة بجامعة المسيلة.

المعاجم:

1) ابن منظور علي بن أبي مكرم جمال الدين(ت711هـ)، **لسان العرب**، مج6،بيروت:دار المعارف.2011م.

2) أبو حجر أمينة ،**المعجم الجغرافي** ، دار أسامة للنشر و التوزيع ، عمان ،الأردن ،ط1 ،2009 .

3) بطرس البستاني محيط المحيط،**قاموس مطول اللغة العربية**، مكتبة لبنان 1998.

4) الجرجاني علي بن محمد ،**التعريفات** ، ضبطه و فهرسه، محمد بن حكيم القاضي ، دار الكتاب المصري: القاهرة 1403 هـ1990م

5) الشرباصي أحمد ، **المعجم الإقتصادي الإسلامي** ،دار الجيل ، دط،1981

6) مجد الدين محمد بن يعقوب، الفيروز أبادي ،**قاموس المحيط** تحقيق التراث مؤسسة الرسالة ،ط8 بيروت لبنان،2005

7) محمد كتاني ، **موسوعة المصطلح في التراث العربي** ،ج 2 دار الثقافة للغرب: بيروت 2003**الموسوعة الفقهية**، ج23 ،ط 2 :وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الكويت، 2008

8) المعجم الوسيط:**مجمع اللغة العربية**, ط4 ,مكتبة الشروق الدولية, القاهرة، 2005.

الفهرس

مقدمة:..... أ

مدخل :مفهوم السوق و تنظيماته. 13

وظيفة السوق:..... 15
أنواع الأسواق وتشكيلاته:..... 21
أ-الأسواق المؤقتة (الأسبوعية) : 22
ب- الأسواق اليومية (الدائمة):..... 25
ج- الأسواق المتنقلة: 28
العوامل المساعدة على تطور الأسواق: 32
الفصل الأول: الرقيق في الغرب الإسلامي. 36
المبحث الأول : مفهوم الرق و ضبط مسمياته. 37
مفهوم الرّق في المنطومة الفقهية:..... 39
نبذة وجيزة عن الرق في الحضارات الإنسانية: 45
مكانة الرقيق ودوره في الحياة العامة بالمجتمع الغربي وأهمية المتاجرة به:..... 49
المبحث الثاني :مصادر الرقيق و أنواعه..... 54
مصادر الرقيق: 54
أصناف الرقيق: 61
عيوب و تدليس الرقيق: 71
تقليب الإيماء و العبيد:..... 76
عقود التبايع:(تجارة الجواري ،مراحل شراء الجارية، الأسعار) 81
تجارة الجواري:..... 82
مراحل شراء الجارية: 83
أسعار الرقيق:..... 85
الفصل الثاني :سوق الدواب بالغرب الإسلامي. 90
المبحث الأول :الثروة الحيوانية ببلاد الغرب الإسلامي ومجالات استخداماتها. 91

أنواع الدواب: 91
1_الخيل: 91
2_البغال:..... 95
3_الإبل: 96
4_الأغنام و الأبقار: 98
استخداماتها: 100
التجارة:..... 100
النقل:..... 104
المجال الحربي:..... 105
الزراعة:..... 107
التسميد و السقي: 108
الدّراس:..... 111
المبحث الثاني :أمراض الحيوان. 113
الرفق بالحيوان والعناية به: 118
ب_الرفق بالحيوانات في الأسواق : 120
ج_الرفق بالحيوانات في الفلاحة:..... 121
د_تغذية الحيوان:..... 123
هـ_إيواء الحيوانات:..... 126
المبحث الثالث :أسعار الدواب. 128
النزاعات الحاصلة في سوق الدواب:..... 132
عيوب الدواب في النوازل:..... 135
أ-نوازل في عيوب البقر: 137

ب- نوازل عيوب الغنم:..... 137

ج – نوازل عيوب الإبل: 138

خاتمة: 140

انتهى و لله الحمد.